جمعية الحافظ ابن عبد البر
للتعريف بالتراث الإسلامي
بمراكش

بسم الله الرحمن الرحيم

الألمعي

مجلة علمية متخصصة فصلية

المحتويات

- كلمة التحرير. — التحرير.

- أبحاث ودراسات :

1- شذرات من حاشية الحافظ الدمياطي على الجامع الصحيح. — د. محمد بن زين العابدين رستم.
2- مصطلحات حديثية : دراسة وتحليل "الفائدة والفوائد". — د. جمال اسطيري.
3- مصادر محمد بن سعد الرئيسة في المغازي والسير في كتاب الطبقات (2/2). — د. محمد باقشيش.
4- إبراهيم بن محمد بن سفيان : روايته وزياداته وتعليقاته على صحيح مسلم (2/1). — د. عبد الله بن محمد حسن دمفو.
5- نظرات في حديث : القصعة" (1). — د. الحسين أيت سعيد.

- قضايا معاصرة :

1- من أجل فقه راشد للسنة النبوية (2/2). — د. حسن العلمي.
2- أنموذج الشخصية الإسلامية. — د. منصف الكريسي
3- مسؤولية الأطباء الجنائية في الفقه الإسلامي والقانون. — د. محمد فتح الله اسطيري.
4- موقف العلماء والنقاد من شعر الرفث وروايته. — ذ. محمد ويلالي.

- شخصية العدد :

• العلامة : عبد العزيز الميمني الراجكوتي. — ذ. محمد أولاد عتو.

- من كلام السلف — التحرير.

العدد الرابع/جمادى الأولى 1423 هـ/غشت 2002م

المحتويات

ـ كلمة التحرير. التحرير. 5

ـ أبحاث ودراسات:

1 ـ شذرات من حاشية الحافظ الدمياطي على الجامع الصحيح.

د.محمد بن زين العابدين رستم . 9

2 ـ مصطلحات حديثية: دراسة وتحليل "الفائدة والفوائد".

د.جمال اسطيري. 31

3 ـ مصادر محمد بن سعد الرئيسة في المغازي والسير في كتاب الطبقات [2/2].

د.محمد باقشيش. 54

4 ـ إبراهيم بن محمد بن سفيان: روايته وزياداته وتعليقاته على صحيح مسلم [2/1].

د.عبد الله بن محمد حسن دمفو. 74

5 ـ نظرات في حديث: "القصعة"[1].

د.الحسين أيت سعيد. 103

ـ قضايا معاصرة:

1 ـ من أجل فقه راشد للسنة النبوية [2/2].

د.حسن العلمي. 117

2 ـ أنموذج الشخصية الإسلامية.

د.منصف الكريسي. 137

3 ـ مسؤولية الأطباء الجنائية في الفقه الإسلامي والقانون.

د.محمد فتح الله اسطيري. 166

4 ـ موقف العلماء والنقاد من شعر الرفث وروايته.

ذ.محمد ويلالي. 179

ـ شخصية العدد:

- العلامة: عبد العزيز الميمني الراجكوتي.

ذ.محمد أولاد عتو. 197

ـ من كلام السلف. التحرير. 215

بسم الله الرحمن الرحيم

مَتى نَصْرُ اللهِ ؟

في غمرة ازدواجية المعايير، وتكالب الأعداء، وشراسة الألداء، وقلة الناصر، ووفرة المشاقق، يتساءل المسلم عما وعد الله عباده من نصره في قوله: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم - 47].

ولكثرة ما توالى على الضعفة من النكبات، وحُشر على الإسلام وأهله من الويلات: من استعلاء أبناء القردة والخنازير في كل مكان، يذبحون من شاؤوا، ويستحيون من شاؤوا، وعامة شعوب الأرض معهم إما بالمال، وإما بالتسلح، وإما بالتغطية السياسية والإعلامية، وإما بالسكوت عن جرائمهم، ارتفعت أصوات من حناجر تقول: "متى نصر الله؟".

لهؤلاء جميعا نقول: الجواب، هو قول الله تعالى: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة - 214] لكن يحق علينا أن نحقق أسباب ذلك النصر، أفرادا وجماعات، وأمما وشعوبا، إذ تغييب الإحساس بأن أسباب النصر بأيدينا، ومرتبطة بما نملكه من ثوابت ومبادئ، وفي وسعنا أن نستشرف سبلها، وأن نتمكن منها، لن يزيدنا إلا استبطاء، وارتهاكا، وانتظارا في طابور المتواكلين، ولن يطفقنا باللحق بصفوف المجدين، العاملين، المؤثرين، المغيرين.

وغالب المسلمين لا يلج في أولوياتهم أن المرحلة التي تجتازها الأمة، مرحلة حاسمة، إما أن تثبت فيها ذاتيتها، وتبرز مقومات و جودها، وعمق تفكيرها، وإما أن تداس بالأرجل، وتصمى بسلاح الصهاينة المجرمين، والصليبيين الحاقدين، الذين

أعلنوها جهارا، ومكروا مكرا كبارا، فأزاحوا كل الستور، وأفلجوا كل مكنون في الصدور.

"ولا تخفى الصنيعة حيث كانت *** ولا النظر الصحيح من السقيم"

إن المعركة الآن، دائرة بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، واللبيبُ من انحاز فيها وآزر الحق على الباطل، وتفطن لخطط المناوئين، البينة والمستترة، وفت في عضدها، وسعى في دحضها، وفوت الفرصة عليها، وقام بحق النصرة للحق، وفَتَل عقده، وأَحكم نسجه، بقول، أو فعل، أو رأي حصيف، وتسغسغ من أوهام التعايش بين النقيضين، وسراب ضم الضدين.

"أرى حرباً مُفَرَّقَةً وسِلْماً *** وعهداً ليس بالعهد الوثيق"

إن ما ضاع في زمن الغفلة، لا يسترد بالكلام المنمق، والخطب الرنانة، والمَثل العربي يقول: "حلبتها بالساعد الأشد".

إن اندحار الباطل وانكساره، واستجلاب النصر و استدراره، يتوقف على القيام خير قيام بأمور أربعة، كلها في المتناول وفي المستطاع.

أولها: الرجوع إلى الله تعالى، والتوبة له، والندم على ما فُرط فيه، لأن ما حل بالأمة من الهوان، والصغار، والضَّعَة التي لم يسبق لها مثيل، كانت بسبب ذنوبنا، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى. 3] ، وأوسعُ دائرة لنا، هي عفوُ الله ورحمتُه، فلا بد للأمة أن تعقد صلح التوبة مع الله تعالى، ليرفع عنها ما حل بها من المهانة، والفرارُ إلى الله واجب مطلوب، قال تعالى: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات ـ 50].

والفرار إلى الله يعني اللِّياذ بركن شديد، والاحتماء بقوي متين.

وثانيها: التخلص من المظالم المستشرية بين المسلمين، سواء كانت مادية، أو معنوية، بالقول أو بالفعل، إن الظلم طغى وتجذر، واستعلى وتجبر، في الأقوال،

والأفعال، والنيات، فإزاحة الظلم للنفس والغير، شرط للاستجابة، ودلالة على صفاء الطوية، "والحزم حفظ ما و ليت، وترك ما كُفيت".

وثالثها: الفهم السليم لمراد الله منا من خلال وحيه، ذلك أن سلامة الفهم نعمة، تزول بها الشبهات عندما تَدْلَهِمُّ المعضلات، ويُنجَى بها من التورط في المهلكات، وبدون سلامة الفهم، لن يكون هناك سلامة منهج، وإذا لم يسلم المنهج ولم ينضج، تخبط الناس خبط عشواء، على غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وكثير من الناس يزجون بأنفسهم فيما لم يحسنوه، فيخوضون في فهم الإسلام خو ض العارفين، ولا يَصْرِيهِ عن التقول على الله بلا علم نُهْيَةٌ معتمدة، ولاخجلة مستجلبة.

ورابعها: تقويم المسيرة، وإصلاح ما وَهَى من حبالها، والتخلي عن طُفَافَتها، والتحلي بما وُصِلَ من موصولها، واستعاضة ما تشقق منها بصالح متين.

وليس العيب أن يخطئ الإنسان، ولكن الشين كله، في الاستمرار على الخطإ، وغض الطرف عنه، والاستهانة بنتائجه، وذاك أخطر على الأمة من القنابل الذرية، ومن الصواريخ العابرة للقارات، ذلك أن الأول يورث الغفلة والنسيان، ويركز عقلية المقولة الفاسدة المفسدة: "ليس في الإمكان، أبدع مما كان"، وإذا رضي العبد بما عليه من أحوال، ولم يتطلع ويطمح لما هو أجدى منه، فقد مات، وأول ما يموت منه همته، ثم قلبه وشعوره، وإذا ماتت تلك كلها، لم يبق إلا الشبح الذي يطاوَع لما يرام منه، لأنه فقد كل عناصر المناعة، وموت القلوب، أنكى من موت الأجساد، ولذاك استعاذ النبيﷺ من قلب لا يخشع.

إن ما يخطط له المشاكسون، أضخم من أن يواجه بالتشرذم ، واختزال الحقائق، وقلة التخطيط، والإعراض عن فقه الانتماء لدين عالمي رفيع، فالمعركة ضارية، وحامل لوائها إبليس وجنده، والمستهدف فيها دين الله والمنتسبون له، والحاجة ماسة إلى أفئدة قوية، وبصائر نافذة، وربانية مستحكمة، وتضحية في مستوى تضحية سعد بن

الربيع – وهو في سكرات الموت بأُحُد – حين قال للصحابة: "لاعذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم، ومنكم عين تَطرف"، وجلادة تترجمها الأعمال حين يجد الجد، في مستوى موقف أنس بن النضر في غزوة أحد، وقد مر برجال من المهاجرين والأنصار، وقد أَلقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول اللهﷺ، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قُتل.

التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

"شَذَرَاتٌ مِنْ حَاشِيَةِ الحَافِظِ الدِّمِيَاطِيِّ عَلَى الجَامِعِ الصَّحِيحِ"

د.محمد بن زين العابدين رستم

مقدمة:

صرف أهل الحديث قسطا كبيرا من عنايتهم إلى أصول مسموعاتهم، فجَوَّدوا كتابتها، وضبطوا ألفاظها، وأتقنوا طريقة تقييد مشكلها، وابتكروا للتصحيح والإلحاق فيها طرقا أشفت على الغاية في حماية الأصل من التزييف، وبلغت النهاية في صيانته من أن يتسلط عليه مَنْ لا يُحسن.

ولقد كانت قراءةُ أهل العلم بالحديث قراءة تفهُّم وتفقُّه، ولذلك زينوا أُصولهم بحواشي أثبتوا فيها فوائد وتعليقات نفيسة، انتفع بها كل من وقف عليها.

ولقد اعتنى جمع من أهل الحديث بكتابة الحواشي على أصول سماعهم للجامع الصحيح للإمام البخاري، فممن اعتنى منهم بذلك: أبو علي الصَّدَفي (ت 514هـ)، وأبو عبد الله بن أبي الخصال (ت540هـ)، والدمياطي.

وسنفرد هذه الدراسة لحاشية نسخة الحافظ الدمياطي، تعريفا بصاحبها، وبيانا لمحتواها، وتنويها بقيمتها.

1ـ تعريف مختصر بالحافظ الدمياطي:

هو شرف الدين، ذو الكنيتين: أبو محمد وأبو أحمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين بن الخضر بن موسى التوني[1] الدمياطي[2] الشافعي[3]، مولده سنة 613هـ بتونة[4]، وقد كان أول سماعه في سنة 632هـ بالإسكندرية[5]، ثم رحل فسمع من الجمِّ الغفير، والعدد الكثير بدمشق وحلب، ومكة والمدينة وبغداد وغيرها[6]، حتى بلغ عدد مشايخه ألف شيخ، ومائتي شيخ وخمسين شيخا[7]، من بين أجلِّهم: الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل[8].

ولقد أثنى غيرُ واحدٍ من أهل العلم على الدمياطي، فوصفه العبدريُّ ـ وكان لقيه في رحلته ـ بقوله: "الشيخ الفقيه المحدث الراوية المسند المفتي، الثقة الضابط... راوية جمَّاعة، مقيِّد ضابط حافظ"[9].

---

(1) نسبة إلى تُونة بضم التاء المُثناة من فوق، وإسكان الواو بعدها نون، ثم هاء، وهي قرية من عمل دمياط، انظر: " طبقات الشافعية الكبرى" (132/6) - دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.

(2) دمياطي نسبة إلى دِمياط، بدال مكسورة، وبعدها ميم ساكنة، قال ياقوت في وصفها: "مدينة قديمة بين تنِّيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم المالح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب، وعمل ثيات الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام"، وانظر:" رحلة العبدري" (ص133)، وزارة الثقافة – المغرب 1968م - و"معجم البلدان" (472/2)، دار صادر - بيروت - بدون تاريخ.

(3) رحلة العبدري" ص:132 – 133 و "المعجم المختص" للذهبي - ص: 69 دار الكتب العلمية - بيروت 1413هـ.

(4) " فوات الوفيات" : 2/ 410 - دار صادر بيروت ـ تحقيق: إحسان عباس، و "العقد المذهب في طبقات حملة المذهب" لابن الملقن - ص: 386 - دار الكتب العلمية - بيروت 1417هـ.

(5) "البداية والنهاية" : 42/14 - تحقيق مجموعة من الأساتذة - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الثالثة 1407هـ.

(6) طبقات الشافعية الكبرى" : 133/6..

(7) "الدرر الكامنة " : 253/2 - دار االكتب العلمية - بيروت 1418هـ.

(8) "طبقات الشافعية الكبرى" : 133/6.

(9) "رحلة العبدري" ص: 133.

ونعته الذهبي بقوله: "شيخنا الإمام الحافظ النسَّابة، شيخ الأئمة"[10]، ونقَلَ عن الحافظ المِزِّي قوله في الدمياطي: "ما رأيتُ أحدا أحفظ منه لهذا الشأن"[11].

وحَلاَّه التاج السُّبكي بقوله: "كان حافظَ زمانه، وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب، وإمام أهل الحديث، المُجمع على جلالته، الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالي..."[12].

وقدَّم الكتبيُّ لترجمة الدمياطي بقوله: "...الشيخ الإمام البارع الحافظ النسَّابة المُجوِّد الحجة، عَلَمُ المحدثين، عُمدة النقاد..."[13].

ولما ترجم ابن كثير للدمياطي قال في تحليته: "...وهو الشيخُ الإمام العالم الحافظ، شيخ المحدثين... حامل لواء هذا الفن ـ أعني صناعة الحديث وعلم اللغة ـ في زمانه، مع كبر السن والقدر، وعلو الإسناد وكثرة الرواية، وجودة الدراية، وحسن التآليف وانتشار التصانيف، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق"[14].

ولقد حمل العلمَ عن الدمياطي، مشاهيرُ أعلامٌ من بينهم: أبو حيان الأندلسي، وابن سيد الناس، والبرزالي والتقي السبكي، والذهبي[15]، كما عُرفت للدمياطي مُؤلفات منها:

1ـ معجم في أسماء شيوخه، ومن لقيه وأخذ عنه في أي فن كان، قال العبدريُّ: "كبير في أربعة أسفار، وسمعتُه يقول إنهم ينيفون على ألف ومائتين

---

(10) "المعجم المختص" ص: 69.

(11) "تذكرة الحفاظ" : 1478/3 – دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ.

(12) "طبقات الشافعية الكبرى" : 132/6.

(13) "فوات الوفيات" : 409/2.

(14) "البداية والنهاية" : 42/14.

(15) "تذكرة الحفاظ " : 1478/3 و "طبقات الشافعية الكبرى": 133/6.

وسبعين..."[16]، وأفاد عبد الحي الكتاني أن من هذا المعجم نُسخة بخط الدمياطي في مكتبة تونس[17].

2 ـ السيرة النبوية أو مختصر السيرة[18]، وسماه الزركلي: "المختصر في سيرة سيد البشر"، وأفاد أنه مخطوط[19].

3 ـ كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى: ذكره غير واحد من أهل العلم[20]وأفاد الزركلي أنه مطبوع[21].

4 ـ المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح: وهو مطبوع[22].

5 ـ كتاب في الخيل[23].

ولم يزل الدمياطي يُسمع الحديث، ويُفيد الطلبة، إلى أن توفي فجأة في خامس عشر ذي القعدة سنة 705هـ[24]. قال التاج السُّبكي: "ودُفن بمقابر باب النصر من القاهرة"[25]. وقال ابن كثير: "وكانت جنازته حافلة جدا"[26].

---

(16) "رحلة العبدري" ص: 133.

(17) "فهرس الفهارس" : 1/ 407 - دار الغرب الإسلامي 1402هـ وأفاد محقق الكتاب، أن فايدا نشر بالفرنسية تلخيصا لهذا المعجم بباريس سنة 1962م..

(18) "الدرر الكامنة" : 253/2 و"فوات الوفيات" : 411/2.

(19) "الأعلام ": 170/4؛ دار العلم للملايين بيروت؛ الطبعة السابعة 1986م.

(20)" المعجم المختص" ص: 70 و "البداية والنهاية": 14/42 و "الدرر الكامنة" : 253/2.

(21) "الأعلام": 170/4.

(22) "الأعلام" : 170/4.

(23) "المعجم المختص" ص: 70 و "فوات الوفيات" : 411/2.

(24) "الدرر الكامنة" : 253/2.

(25) "طبقات الشافعية الكبرى" : 133/6.

(26) "البداية والنهاية" : 42/14.

2 ـ حَاشيَة الحافظ الدمْيَاطي علَى نُسخَته من الجَامع الصَّحيح:

لم أجد في كلام مَنْ ترجم للحافظ الدمياطي، إشارة إلى حاشيته على الجامع الصحيح، وقد يكون السبب في ذلك أن الحاشية ليست كتابا مستقلا قائم الذات، بل هو عبارة عن فوائد وتعليقات أثبتها الحافظ الدمياطي بطُرَرِ نُسخته من الجامع الصحيح، بيد أن نسبة الحاشية إلى الدمياطي صحيحةٌ لأمرين اثنين:

ـ الأول: وُرود النقل عنها في كلام شُرَّاح الجامع الصحيح، كالحافظ ابن حجر، والبدر العيني، والشهاب القسطلاني[27].

ـ الثاني: ذكر القسطلانيُّ الحاشية في جملة مصادر تقي الدين يحيى بن محمد الكرماني (ت833هـ) في شرحه على البخاري: "مجمع البحرين، وجواهر الحبرين"[28].

ويُستفاد من النُّقول الواردة عند ابن حجر والعيني والقَسطلاني، بعض صفات حاشية الدمياطي على الجامع الصحيح، فمن ذلك:

1ـ علق الحافظ الدمياطي فوائد حاشيته على أصله من الجامع الصحيح، وذلك الأصل مكتوبٌ بخطه[29]، وقد يوجد به ضَرْبٌ على بعض الألفاظ، وذلك من صنيع الدمياطي نفسه[30].

2 ـ قد تطول تعليقات الدمياطي في حاشيته أو تقْصُر، وذلك تبعا للداعي إلى

---

[27] انظر: "فتح الباري": 181/1 و 105/2 و 156/3 دار الفكر بدون تاريخ، و "عمدة القاري": 102/2 و 136/5 دار الفكر، و "إرشاد الساري": 206/4 و 71/5 دار الفكر 1410هـ.

[28] "إرشاد الساري" : 42/1 و "كشف الظنون" : 547/1 دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.

[29] انظر: "عمدة القاري": 204/2 و 225 و 280/7.

[30] انظر: "فتح الباري": 58/11 و "إرشاد الساري" : 155/9.

التعليق[31].

3 ــ حاشية الحافظ الدمياطي عبارة عن مجموعة من التعليقات على مواضع متفرقة من الجامع الصحيح، لذلك يرد العزوُ إليها في كلام من ينقل عنها، بقوله:"...وجزم الدمياطي في حواشيه.."[32].

4 ــ في حاشية الدمياطي تصحيح وإلحاق، كما أن فيها تنبيهات وفوائد ليست من أصل الجامع الصحيح، وكان الدمياطي شديد التمييز بين ما هو سَقَطٌ يستدركه، وبين ما هو فائدة يفيدها.

يقول الحافظ ابن حجر مبينا صنيع الدمياطي في ذلك:"...وذلك أن الدمياطي لم يعمد إلى شرح البخاري وجمع طرقه كما جرت عادة الشُّراح، وإنما صحح نسخته وحشاها، فتارة تكون تلك الحاشية الأصل بأن تكون سقطت أولا من الأصل الذي كتب منه، فيستدركها، وتارة يريد أن يزيد فائدة ليست من صُلب الرواية، بل على سبيل التنبيه والإفادة، فيذكرها ويميزها عن صفة الأصل، بأن يكتب فوقها حاشية وما أشبه ذلك"[33].

ويعلم مما سبق آنفا أن ليس للحافظ الدمياطي شيء على صحيح البخاري، إلا الحاشية التي نوهنا بها[34]، ولقد وهِمَ الأستاذ محمد عصام عرار الحسني، فجزم غير هيَّاب ولا وجِلٍ، بأن للدمياطي كتابا مَوْسُوماً ب: "أوهام الجامع الصحيح للبخاري"،

---

(31) انظر مثالا طويلا من تعليقات الدمياطي في حاشيته في : "عمدة القاري": 99/11.

(32) "فتح الباري": 518/10 و "إرشاد الساري": 13/9.

(33) "انتقاض الاعتراض": 277/2 تحقيق: حمدي السلفي وصبحي السامرائي مكتبة الرشد وشركة الرياض، الطبعة الثانية 1418هـ.

(34) يذكر الكتاني في" فهرس الفهارس" : 407/1 – للدمياطي كتاب الأربعين الأبدال التساعيات للبخاري ومسلم". ويظهر أنه ليس مفردا للجامع الصحيح، بل هو في الصحيحين معا.

وأحال الأستاذ الفاضل على طبقات الشافعية الكبرى، وزعم أن التاج السُبكي ذكر الكتاب للدمياطي[35].

وعندي أن الأستاذ الفاضل ما أصاب ولا أجاد فيما قد زعم، وذلك للأدلة الآتية:

أ ـ ليس في الموضعين اللذين أحال عليهما الأستاذ الفاضل، ذِكْرٌ للكتاب المنسوب إلى الدمياطي، ففي الموضع الأول: نقل التاج السبكي عن الدمياطي[36] أن لابن عبد البر أوهاما في "الاستيعاب"، وذكر جملة منها، ثم قال الدمياطي: "وفي كتاب إمام المشرق والغَرْب[37] أوهام أُخر، تركتُ ذكرها اختصارا، وكنت عزمت على جمعها في كتاب، فإن يسر الله فعلتُ، وأما إمام الدنيا أبو عبد الله البخاري، ففي جامعه الصحيح أوهام..."[38].

ثم شرع الدمياطي في حكاية هذه الأوهام، وبيان الصواب فيها[39].

وأما الموضع الثاني، فلم أقف فيه على ما يشير إلى ما قد جزم به الأستاذ الفاضل[40].

وليس يتهيأ من الموضع الأول، القول بأن للدمياطي كتابا مجموعا في أوهام الجامع الصحيح، وغايةُ المستفاد جملةُ اعتراضات على البخاري، تعقب بها الدمياطي صاحب الصحيح، وربما أدخل الوهم على الأستاذ الفاضل، ما قد ذكره الدمياطي من عزمه على جمع أوهام ابن عبد البر في كتاب، فظن أن عزم الدمياطي متعلق بجمع أوهام البخاري، لا ابن عبد البر.

---

(35) "إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري" ص: 187 اليمامة، دمشق، الطبعة الأولى 1407هـ.

(36) وذلك في جواب عن سؤال بعث به اليونينيُّ إلى الدمياطي، وانظر السؤال والجواب في "طبقات الشافعية الكبرى" : 133/6 – 139.

(37) هو الحافظ ابن عبد البر.

(38) "طبقات الشافعية الكبرى": 138/6.

(39) حاصل الأوهام التي أوردها الدمياطي تسعة أوهام، حكاها الحافظ ابن حجر في "الفتح" وأجاب عن أغلبها، وانظر: "الفتح": 1 /290 و 369) و(149/2) و(216/3) و(77/6) و (57/7 و 222 و 311 و 381.).

(40) أحال الأستاذ الفاضل على هذا الموضع: ج 4 ص: 10 من الطبعة المحققة ل "طبقات الشافعية الكبرى"، بيد أنه لا طائل تحته .

ب ـ لم يذكر من ترجم للدمياطي كتابه في "أوهام الجامع الصحيح للبخاري"، ولو ثبت ذلك عندهم لما أغفلوه، لما لذلك من وقع شديد عند مَن رسَخَتْ في نفسه جلالةُ الجامع الصحيح، وعظم شأنه.

ج ـ لو صح أن للدمياطي كتابا في "أوهام الجامع الصحيح للبخاري"، لكان العزو إليه في بعض ما حكاه ابن حجر والعيني عن الدمياطي من أوهام[41].

3 ـ مَضمُون حاشِية الحَافظِ الدمياطي علَى الجامِعِ الصَّحيحِ:

لما لم أقف على خبر عن حاشية الدمياطي التي أثبت محتواها على أصله من الجامع الصحيح، طفقت أبحث عن مادتها في شروح بعض المتأخرين للجامع الصحيح، فألفيتها بحمد الله مبثوثة عند ابن حجر في "الفتح"، والعيني في "العمدة"، والقسطلاني في "الإرشاد"، ثم عزمت على التقاط ما في هذه الكتب من نقول عن الدمياطي، فخرج لي من ذلك أكثر من مائةو سبعين نقلا، ولما تأملتُ هذه النقول، وجدتها على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: ما قد صرح فيه الناقلون، بالاستمداد من حاشية الدمياطي، فأمره واضح، وهو الذي قصدنا دراسته في هذا البحث.

المرتبة الثانية: ما لم يصرح فيه الناقلون بمورد النقل، لكن يمكن إلحاقه بالمرتبة الأولى، إذا اتضح تعلقه بشيء من الجامع الصحيح، لأنه حينئذ يترجح كونه من حاشية الدمياطي.

---

(41) انظر: "الفتح" : 222/7 و "العمدة" : 32/11.

المرتبة الثالثة: ما قد صرح فيه الناقلون بالرجوع إلى أحد كتب الدمياطي، كـ "السيرة"، أو "كتاب الخيل"،أو "كشف المعطى عن حكم الصلاة الوسطى"[42]، وأمره واضح من حيث عدم إدخاله في حاشية الدمياطي.

ولما كان دخول نقول المرتبتين الأوليين في الحاشية دخولا محقّقا، أقبلت على دراسة هذه النقول، وذلك من أجل الوقوف على محتوى الحاشية.

ويمكن إجمال القول في محتوى الحاشية على هذا النحو:

1ـ ضَبطُ الألفَاظ:

ومنه ضبط ما فيه وجهان من جهة النحو، ومن الأمثلة فيه: ما قد ورد في حديث الرجل الذي كان يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش فقال: "لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي..."[43]، قال الحافظ ابن حجر: "قوله "بلغ هذا مثلَ" بالفتح أي بلغ مبلغا مثل الذي بلغ بي، وضبطه الدمياطي بخطه بضم مثل، ولا يخفى توجيهه"[44].

وقد يضبط الدمياطي ما قد يقع فيه الخلاف من الألفاظ، ففي حديث ابن عمر أنه كان ينام ـ وهو شاب أعزب لا أهل له في مسجد النبيﷺ [45]، قال القسطلاني: "...أعزب بهمزة ثم مهملة، فزاي وهي لغة قليلة، بل أنكرها القزاز، ولأبي ذر عزَبٌ بفتح العين والزاي من غير همزة، وهي اللغة الفصيحة، وضبطها البرماوي وابن حجر في "الفتح" بكسر الزاي، وقال إنه المشهور، لكن حكى في "المقدمة" الفتح، وكذا ضبطه الدمياطي بخطه"[46].

---

(42) انظر: "الفتح": 30/1 و 59/6 و "العمدة" : 107/5 و 130/14 و "إرشاد الساري": 291/5.

(43) أخرجه البخاري في "المساقاة"، باب فضل سقي الماء برقم: 2363.

(44) "الفتح" : 41/5 و "العمدة" : 207/12 و "إرشاد الساري": 202/4.

(45) أخرجه البخاري في "الصلاة"، باب نوم الرجال في المسجد برقم: 440.

(46) "إرشاد الساري": 437/1 وانظر: "فتح الباري": 435/1 ــ 436.

2 ـ شرح معاني الألفاظ:

ومن الأمثلة على ذلك: ما وقع في حديث: "ليكونَنَّ من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ..."[47] ، قال الحافظ ابن حجر: "...وفي حواشي الدمياطي: "المعازف: الدفوف وغيرها مما يضرب به"[48] . وقد يوافق قول الدمياطي في شرح الغريب قول غيره، ففي حديث أنس بن مالك في قتال أهل خيبر، وقوله: "فصارت صفية لدحية الكلبي، وصارت لرسول اللهﷺ ، ثم تزوجها، وجعل صداقها عتقها". قال البخاري:" فقال عبد العزيز لثابت: يا أبا محمد، أنت سألت أنَساً ما أمهرها؟ قال: "أمهرها نفسها، فتبسم"[49]. قال العيني: "قال ابن الأثير: يقال: مهرت المرأة وأمهرتها: إذا جعلت لها مهرا، وإذا سقت إليها مهرا وهو الصداق، وبخط الدمياطي مثل ما قاله ابن الأثير"[50].

وليس بمستغرب أن يعتني الدمياطي بشرح معاني ألفاظ الجامع الصحيح، فلقد كان "جيد العربية، غزير اللغة"[51]، و "حمل عن الصغاني[52] عشرين مجلدا من تصانيفه في الحديث واللغة"[53].

---

(47) أخرجه البخاري في "الأشربة"، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، برقم 5590.

(48) "الفتح" : 55/10، ونقله في "العمدة" : 176/21 و"إرشاد الساري": 318/8.

(49) أخرجه البخاري في "صلاة الخوف"، باب التكبير، والغلس بالصبح والصلاة عند الإغارة والحرب برقم: 947.

(50) "عمدة القاري" : 276/6.

(51) "طبقات الحفاظ" للسيوطي ص: 512 تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة مصر، الطبعة الثانية. 1415هـ.

(52) هو العلامة الفقيه المحدث اللغوي النحوي رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني المتوفى سنة 650هـ.

(53) "فوات الوفيات": 411/2.

3 ـ العناية بالمذكورين في الأسانيد، وذلك من خلال ما يأتي:

أ ـ ذكر أنسابهم وتواريخ وفاتهم وغير ذلك: ومن الأمثلة في ذلك:

أن البخاري قال: "حدثنا أحمد بن محمد...، ثم ساق السند إلى تمامه[54]، فقال العيني: "أحمد بن محمد بن ثابت بن عثمان بن مسعود بن يزيد أبو الحسن الخزاعي المروزي المعروف بابن شبويه، مات بطرسوس سنة ثلاثين ومائتين، قَالَهُ الحافظ الدمياطي"[55].

ب ـ تعيين المهمل من أسمائهم:

ومن الأمثلة في ذلك أن البخاري قال: "حدثنا إسحاق..." ثم ساق الإسناد إلى تمامه[56]، فقال العيني: "...ووجد بخط الحافظ الدمياطي على حاشيته: الصحيح أن إسحاق هذا هو ابن شاهين الواسطي..."[57].

4 ـ العناية ببيان المبهم في المتون:

ومن أمثلة ذلك أن البخاري ساق حديث عائشة وفيه: "أن امرأة سألت النبيﷺ عن غُسلها من المحيض..." الحديث[58]، فاختُلف في اسم المرأة السائلة، فقال الخطيب: هي أسماء بنت يزيد الأنصارية، قال العيني:"وتبعه ابن الجوزي في:"التنقيح" والدمياطي.."[59]

---

(54) انظر: إسناد حديث رقم 1684 من كتاب "الحج" باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة.

(55) "العمدة" : 291/9 وانظر أمثلة أخرى في: "الفتح" : 245/2 و 103/4 و "العمدة" : 106/17 ـ 107.

(56) انظر إسناد حديث رقم 622 و 623 من كتاب "الأذان" ، باب الأذان قبل الفجر.

(57) "العمدة ": 136/5 و "الفتح" : 105/2، وانظر مثالا آخر في "العمدة": 88/16.

(58) أخرجه البخاري في "الحيض"، باب دلك المرأة نفسها...برقم 314.

(59) "العمدة" : 286/3 وانظر: "الفتح" : 256/1 و"إرشاد الساري" : 353/1.

5 ـ الاعتراض على بعض الأقوال الشارحة للحديث:

من ذلك أن البخاري ساق حديث أنس أن النبيﷺ دخل على أم سليم، ثم ذكر الحديث[60]، فاستُشكل ذلك، فقال ابن التِّين: كان النبي عليه السلام يزور أم سُليم لأنها خالته من الرضاعة. وقال ابن عبد البر: إحدى خالاته من النَّسب. قال العيني: "وأنكر الدمياطي هذا القول وذكر أن هذه الخؤولة بعيدة لا تُثْبت حرمة، ولا تمنع نكاحا، قال: وفي الصحيح أنه عليه السلام كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا على أم سليم، فقيل له في ذلك، فقال: أرحَمُها، قتل أخوها حرام معي"، فبَيَّن تخصيصَها بذلك. فلو كان ثمة علةٌ أخرى لذكرها، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وهذه العلة مشتركة بينها وبين أختها أم حرام، قال: "وليس في الحديث ما يدل على الخلوة بها، فلعله كان ذلك مع ولد، أو خادم أو زوج، أو تابع[61]...".

6 ـ الترجيح بين الروايات:

ومن ذلك: أن البخاري ساق عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قوله: " وقعت الفتنة الأولى ـ يعني مقتل عثمان ـ فلم تُبْق من أصحاب بدر أحدا، ثم وقعت الفتنة الثانية ـ يعني الحرة ـ فلم تُبق من أصحاب الحديبية أحدا، ثم وقعت الثالثة ، فلم ترتفع وللناس طَبَاخٌ"[62]، قال الحافظ ابن حجر: "قوله: "ثم وقعت الثالثة" كذا في الأصول، ووقع في رواية أبي خيثمة: "ولو قد وقعت الثالثة"،

---

(60) أخرجه البخاري في" الصوم"، باب من زار قوما، فم يفطر عندهم برقم 1982.

(61) "العمدة" : 99/1 وانظر مثالا آخر في "العمدة" : 234/6 و "الفتح" : 78/11.

(62) انظر حديث رقم 4024 من "المغازي" ، والطباخ: القوة.

ورجحها الدمياطي، بناء على أن يحيى بن سعيد قال ذلك قبل أن تقع الثالثة، ولم يفسر الثالثة كما فسر غيرها"[63].

7- العناية بالاستنباط وذكر فوائد الحديث:

من ذلك أن البخاري أخرج حديث جابر في قصة الجمل وفيه: قال النبيﷺ لجابر: "بل بِعْنِيه، قد أخذته بأربعة دنانير، ولك ظَهْرُه إلى المدينة..."[64]، قال العيني: "...فيه ابتداء المشتري بذكر الثمن، كذا هو بخط الدمياطي"[65].

8- بيان ما في الجامع الصحيح من أوهام:

وهذه الأوهام تكون في التراجم أو في الإسناد، أو في المتن، فمن الأول: أن البخاري ترجم بقوله: "باب من بدأ بالحِلاب أو الطيب عند الغُسل". ثم ذكر فيه حديث عائشة: "كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء نحو الحلاب، فأخذ بكفه..."[66]، قال الحافظ الدمياطي: "ظن البخاري أن الحلاب ضرب من الطيب فوهم فيه، وإنما هو إناء يَسَعُ حَلب الناقة، وهو أيضا المِحلب بكسر الميم، وحَبُّ المَحلب بفتح الميم، من العقاقير الهندية"[67].

ومن الثاني: أن البخاري قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل قال: أخبرني عبد الحميد صاحب الزيادي قال: حدثنا عبد الله بن الحارث ابن عم محمد بن

---

(63) "الفتح" : 325/7 وانظر مثالا آخر في "افتح" : 304/11 وذكره أيضا في "العمدة" : 68/23.

(64) أخرجه البخاري في "الوكالة" باب إذا وكل رجل رجلا...برقم 2309.

(65) "العمدة" : 140/12.

(66) حديث رقم 258 من كتاب "الغسل".

(67) "طبقات الشافعية الكبرى": 138/6. وحكى الحافظ في "الفتح" : 369/1 هذا الاعتراض على البخاري عن جماعة من أهل العلم، وأطال في مناقشته.

سيرين..."[68]، فانبرى الدمياطي معترضا على قوله: "ابن عم محمد بن سيرين"، فقال: "كان زوج بنت سيرين، فهو صهر ابن سيرين، لا ابن عمه"[69].

ومن الثالث: أن البخاري أخرج حديث جابر الذي فيه: "...وكُفِّن أبي وعمي في نَمِرة واحدة"[70]. فقال الدمياطي: "ولم يكن لجابر عمٌّ، وإنما هو عمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام بن كعب، كانت عنده عمة جابر هند بنت عمرو بن حزام بن ثعلبة، وحزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة"[71].

ومن أراد الإمعان في تتبع هذه الأوهام، فعليه بمراجعة الرسالة التي بعث بها الدمياطي إلى اليونيني، ولقد أورد نصها التاج السُّبكي كما أَلْمَعْنَا إلى ذلك آنفا[72].

على أن التحقيق كشف لي أن هذه الأوهام التي ذكرها الدمياطي في هذه الرسالة، من الحاشية الموضوعة على الجامع الصحيح، ولذلك لم أجد غضاضة في النقل منها ههنا.

ومن الدليل على أن ما ورد في الرسالة من أوهام، هو من الحاشية، أن يقال: إنه من المستبعد أن يذكر الدمياطي طرفا من الأوهام الواقعة في الجامع الصحيح، لمناسبة اقتضت ذلك في رسالة أجاب فيها عن سؤال ورد إليه، ثم لا يذكر تلك الأوهام في الحاشية التي وضعها على الكتاب الذي زعم وجود تلك الأوهام فيه!!

---

(68) انظر إسناد حديث رقم 901 من كتاب "الجمعة"، باب الرخصة إن لم يحضر الجمعة في المطر.

(69) "الفتح": 384/2 وانظر أيضا: "إرشاد الساري": 171/2.

(70) أخرجه البخاري في "الجنائز" باب من يقدم في اللحد...برقم 1348.

(71) "طبقات الشافعية الكبرى": 139/6، وأورد الحافظ في "الفتح": 216/3 قول الدمياطي فقال: "...وأما قو ل الدمياطي إن قوله: "وعمي " وَهَمٌ، فليس بجيد، لأن له محملا سائغا، والتجوز في مثل هذا يقع كثيرا".

(72) انظر "طبقات الشافعية الكبرى" : 6/ص : 134و 138 ــ 139. ولعل قائلا يقول: لقد زعمت التقاط مادة حاشية الدمياطي من الثلاثة الشروح التي أومأتَ إليها آنفا، فلم أعرضت عن ذكر التاج السبكي وطبقاته، وأنت ههنا تقرر أن ما دة الحاشية موجودة عنده؟ قلت: لما كانت حاشية الدمياطي موضوعة على صحيح البخاري، آثرتُ تتبع مادتها من مظان وجودها، وهي= =شروح البخاري، والشروح التي التقطت منها مادة الحاشية، نقلت عنها من كتاب بدء الوحي إلى كتاب التوحيد، ونُقول هذه الشروح نقول عامة تشمل الأوهام وغيرها، وأما ما نقله التاج السبكي في طبقاته، فهو في الأوهام خاصة، ولذلك أعرضت عن ذكره في مصادر مادة الحاشية، وذكرته في الموضوع اللائق به عند ذكر الأوهام.

4 ـ التعقبات على حاشية الدمياطي:

اعتنى أهل العلم من الواقفين على حاشية الدمياطي، بالاستفادة منها، والاقتباس من فوائدها، ولقد أحصيت من المستفيدين جمعا منهم: العلاء مغلطاي[73]، والقطب الحلبي[74]، وابن الملقن[75]، والدماميني[76]، والحافظ ابن حجر، والبدر العيني، والشهاب القسطلاني.. بيد أن اقتباس هؤلاء الأئمة الأعلام، لم يمنعهم من الاعتراض على صاحب الحاشية، وتعقبه بما فتح الله عليهم من نظر وتحقيق، ولما كانت اعتراضات الحافظ ابن حجر على الدمياطي كثيرة، رأيت أن أفردها بحديث.

ويمكن إجمال القول في هذه الاعتراضات، على هذا النحو:

1 ـ الاعتراض على الدمياطي في نسبة الغلط إلى بعض الرواة في الصحيح:

من ذلك أن البخاري أخرج حديث ابن مسعود في سؤال قريش النبيﷺ، أن يدعو الله لهم أن يُمْطَروا؛ قال البخاري: "قال: وزاد أسباطُ عن منصور: فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعا، وشكا الناس كثرة المطر، فقال: اللهم حوالينا ولا علينا..."[77]. قال الحافظ ابن حجر: "وقد تعقب الداودي وغيره هذه الزيادة، ونسبوا أسباط بن نصر إلى الغلط في قوله: "وشكا الناس كثرة المطر إلخ"، وزعموا أنه أدخل حديثا في حديث، وأن الحديث الذي فيه شكوى كثرة المطر وقوله: "اللهم حوالينا ولا علينا" لم يكن في قصة قريش، وإنما هو في القصة التي رواها أنس، وليس هذا التعقب عندي بجيد، إذ لا مانع أن يقع ذلك مرتين"، ثم أخذ ابن حجر يبين وجه تعقبه ببيانٍ ناصع، ونَفَسٍ عال، وتحريرٍ مُتَنَاهٍ، إلى أن قال: "وإني

---

(73) انظر: "العمدة": 305/20 و 217/21.

(74) انظر: "الفتح": 298/5 و 233/6 و "العمدة": 46/15 و "إرشاد الساري": 211/5.

(75) انظر: "الفتح": 323/8 و 454/10 و "إرشاد الساري": 131/9.

(76) انظر: "إرشاد الساري": 312/6.

(77) أخرجه البخاري في "الاستسقاء"، باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط برقم: 1020.

ليكثر تعجبي من كثرة إقدام الدمياطي على تغليط ما في الصحيح بمجرد التوهم، مع إمكان التصويب بمزيد التأمل والتنقيب عن الطرق، وجمع ما ورد في الباب من اختلاف الألفاظ"[78].

ومن هذا الضرب أيضا، أن البخاري أخرج حديث جابر قال: "شهد بي خَالايَ العقبة"، ثم قال: "قال ابن عيينة: أحدهما البراء بن معرور"[79] ، فتعقَّب الدمياطي قول ابن عيينة فقال: "أم جابر هي أنيسة بنت غنمة بن عدي، وأخواها ثعلبة وعمرو وهما خالا جابر، وقد شهدا العقبة الأخيرة، وأما البراء بن معرور فليس من أخوال جابر"[80]، ولما وقف الحافظ على كلام الدمياطي قال: "قلت: لكن من أقارب أمه[81]، وأقارب الأم يسَمَّوْنَ أخوالا مجازا"، ثم قال بعد حين: "إن حُمِل على الحقيقة تعين كما قاله الدمياطي، وإلا فتغليط ابن عيينة، مع أن كلامه يمكن حمله على المجاز بأمر فيه مجاز ليس بمُتَّجه"[82].

2 ـ الاعتراض على الدمياطي في تعقبه بعض صنيع الإمام البخاري:

ومن الأمثلة في ذلك: أن البخاري عد خبيب بن عدي فيمن شهد بدرا، بناء على حديث أبي هريرة[83]، فتعقبه الدمياطي بأن أهل المغازي لم يذكر أحد منهم أن خبيب بن عدي شهد بدرا، ولا قَتَل الحارث بن عامر، وإنما ذكروا أن الذي قتل الحارث بن عامر ببدر خبيب بن إساف، وهو غير خبيب بن عدي، وهو خزرجي، وخبيب بن عدي أوسي". قا ل الحافظ ابن حجر معترضا: "قلت: يلزم من الذي قال

---

(78) "الفتح": 512/2.

(79) انظر حديث رقم 3890 من كتاب "مناقب الأنصار"، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة.

(80) "الفتح": 221/7 – 222.

(81) أي أقارب أم جابر كما هو واضح.

(82) "الفتح" : 222/7.

(83) أخرجه البخاري في "المغازي"، باب غزوة الرجيع...برقم 4086.

ذلك[84]، رد هذا الحديث الصحيح، فلو لم يقتل خبيب بن عدي الحارث بن عامر، ماكان لاعتناء الحارث بن عامر بأسر خُبيب معنى ولا بقتله، مع التصريح في الحديث الصحيح أنهم قتلوه به..."[85].

ومن أمثلة هذا الضرب أيضا: أن البخاري استظهر من مجيء أبي موسى بعد خيبر[86]، أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد خيبر، قال ابن حجر: "...وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال: جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر... وأما شيخه الدمياطي فادَّعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه، وقد قدَّمتُ أنهم مختلفون في زمانها، فالأَولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح، ..."[87].

والذي استنبطه الحافظ ابن حجر من صنيع الدمياطي في حاشيته، وسائر كتبه، أنه كان ميالا إلى ترجيح ما في السير على ما في الصحيح، وأن ذلك كثيرا ما أدى إلى الاعتراض على الإمام البخاري[88].

ومع ذلك فإن الحافظ الدمياطي كان ـ أحيانا ـ رجَّاعا إلى الحق، مرجِّحا ما في الصحيح، فلقد ذكر ابن حجر عند شرح حديث البراء ـ وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة، أتولَّيت يوم حُنين؟ فقال: أما أنا فأشهد على النبيﷺ أنه لم يولِّ، ولكن عجِلَ سَرَعَانُ القوم، فرَشَقَتْهُم هَوَازِن، وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء"[89]ـ أنه وقع عند ابن سعد وتبعه جماعة ممن صنف السيرة، أنه ﷺ كان على بغلته دلدل، وفيه نظر لأن دلدل أهداهاله المقوقس، وقد ذكر القطب الحلبي أنه استَشْكَل عند

---

(84) كذا، ولعلها: يلزم قائل ذلك برد...

(85) "الفتح" : 382/7.

(86) يعني مجيء أبي موسى الأشعري من الحبشة.

(87) "الفتح": 418/7.

(88) انظر: "الفتح" : 243/7 و 338.

(89) أخرجه البخاري في" المغازي" ، باب قول الله تعالى: "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم...برقم 4315.

الدمياطي ما ذكره ابن سعد، فقال له: كنتُ تَبعتُه فذكرت ذلك في السيرة، وكنت حينئذ سيرياً محضا، وكان ينبغي لنا أن نذكر الخلاف". ثم قال ابن حجر: "ودل قول الدمياطي أنه كان يعتقد الرجوع عن كثير مما وافق فيه أهل السير، وخالف الأحاديث الصحيحة، وأن ذلك كان منه قبل أن يتضَلَّعَ من الأحاديث الصحيحة، ولخروج نُسخٍ من كتابه وانتشاره لم يتمكن من تغييره"[90].

3 ـ الاعتراض على الدمياطي فيما يغيره من لفظ الرواية الثابتة:

من ذلك أن البخاري أخرج حديث أبي موسى الأشعري: "إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل..."[91]، فقال ابن حجر: "قوله: "يدخلون بالليل" بالدال والخاء المعجمة لجميع رواة البخاري ومسلم، وحكى عياض عن بعض رواة مسلم بالراء والحاء المهملة، وصَوَّبَها الدمياطي في البخاري، وهو عجيب منه، فإن الرواية بالدال والمعجمة، والمعنى صحيح فلا معنى للتغيير..."[92].

ولقد وافق ابنَ حجر على هذا الاعتراض، الدماميني، إذ نقل عنه القسطلاني قوله: "لم أعرف ما الموجب لطرح هذه الرواية مع استقامتها، هذا شيء عجيب!!"[93].

ومن هذا الضرب أيضا أن البخاري أخرج حديث أبي بردة في بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذا إلى اليمن، وفيه قال معاذ: "أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم..."[94] فقال الدمياطي في قوله: "وقد قضيت جزئي": "لعله أدبي

---

(90) "الفتح" : 30/8. ولا يخفى على كل فطن لبيب أن كلام الحافظ هنا على كتاب "السيرة" للدمياطي، لكن يستفاد منه ما قد قلناه آنفا من إنصاف الدمياطي، ورجوعه إلى الصواب.

(91) أخرجه البخاري في "المغازي"، باب غزوة خيبر برقم 4232.

(92) "الفتح" : 487/7.

(93) "إرشاد الساري": 373/6.

(94) أخرجه البخاري في "المغازي" باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم: 4341 و 4342.

وهو الوجه"، لكن تعقبه ابن حجر فقال: "وهو كما قال لو جاءت به الرواية، ولكن الذي جاء في الرواية صحيح، والمراد به أنه جزَّأ الليل أجزاء: جزءا للنوم، وجزءا للقراءة والقيام، فلا يلتفت إلى تخطئة الرواية الصحيحة الموجهة بمجرد التخيُّل"[95].

4 ـ الاعتراض على الدمياطي في ادعائه الزيادة في المتن:

من ذلك أن البخاري أخرج حديث ابن عباس الذي يقول فيه: "كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب: فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع"[96]، فقال الدمياطي: "قوله : "والتلث" زيادة هنا، وقد أخرج المصنف هذا الحديث بهذا الإسناد في كتاب الفرائض، فلم يذكرها ". قال الحافظ متعقبا: "قلت: اختصرها هناك، ولكنها ثابتة في تفسير محمد بن يوسف الفريابي شيخه فيه، والمعنى أن لكل واحد منهما السدس في حال، وللأم الثلث في حال، ووِزانُ ذلك ما ذكره في بقية الحديث: "وللزوج النصف والربع"أي كل منهما في حال"[97].

5 ـ الاعتراض على الدمياطي في كلامه على بعض الرواة:

وذلك من جهتين: في ضبط أسمائهم، وبيان المهمل منهم في الإسناد.

فمن الأول: أن البخاري قال: حدثنا الفضل بن يعقوب، حدثنا عبد الله بن جعفر الرَّقي، حدثنا المعتمر بن سليمان، ثم ساق السند إلى تمامه[98]، فقال ابن حجر: "قوله: "حدثنا المعْتَمِر بن سليمان" كذا في جميع النسخ بسكون العين المهملة،

---

(95) "الفتح" : 62/8.

(96) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب : "ولكم نصف ما ترك أزواجكم" برقم 4578.

(97) "الفتح": 245/8.

(98) انظر إسناد حديث رقم 3159 من كتاب "الجزية والموادعة"، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

وفتح المثناة وكسر الميم...وزعم الدمياطي أن الصواب: المُعَمَّر بفتح المهملة، وتشديد الميم المفتوحة بغير مثناة، قال: "لأن عبد الله بن جعفر الرقي لا يروي عن المعتمر البصري". وتُعُقِّب بأن ذلك ليس بكاف في رد الروايات الصحيحة، وهَبْ أن أحدهما لم يدخل بلد الآخر، أما يجوز أن يكونا التقيا مثلا في الحج أو الغزو؟..."[99].

ومن الثاني : أن البخاري قال: حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن يزيد، ثم ساق الإسناد إلى تمامه[100]، قال ابن حجر: "قوله: "الليث عن يزيد" قال الدمياطي في حواشيه: "هو ابن عبد الله بن الهاد"، ووهِمَ في ذلك، وإنما هو ابن أبي حبيب، كذا أخرجه أبو نعيم في "المستخرج"..."[101].

6 ـ الاعتراض على الدمياطي فيما يضبطه من ألفاظ الرواية:

من ذلك أن البخاري أخرج حديث عروة الطويل، وفي آخره:"قال أبو بكر: أَسمعُ هذه الآية [102] نزلت في الفريقين كليهما..."[103]، قال ابن حجر: "قوله: "فأَسمعُ هذه الآية نزلت في الفريقين" كذا في معظم الروايات، بإثبات الهمزة، وضم العين بصيغة المضارعة للمتكلم، وضَبَطَه الدمياطي في نسخته بالوصل، وسكون العين بصيغة الأمر، والأول أصوب، فقد وقع في رواية سفيان المذكورة: "فأُرَاها نزلت"، وهو بضم الهمزة أي أظنها..."[104].

7 ـ الاعتراض على الدمياطي في دعواه وجود شيء في الصحيح:

---

(99) "الفتح" : 263/6 وانظر مثالا آخر في "الفتح" : 64/8 و 293/10.

(100) انظر إسناد حديث رقم 5319 من كتاب "الطلاق"، باب : " واللائي يئسن من المحيض..."

(101) "الفتح" : 471/9.

(102) يعني قوله تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر، فلاجناح عليه أن يطوف بهما...".

(103) أخرجه البخاري في "الحج"، باب وجوب الصفا والمروة...برقم 1643.

(104) "الفتح": 501/3.

من ذلك أن البخاري أخرج حديث ثعلبة القرظي: "أن قيس بن سعد الأنصاري رضي الله عنه ـ وكان صاحب لواء رسول اللهﷺ ـ أراد الحج فَرَجَّل"[105]، فقال ابن حجر: "...واقتصر البخاري على هذا القدر من الحديث، لأنه موقوف، وليس من غرضه في هذا الباب... وذكر الدمياطي في الحاشية أن البخاري ذكر بقية الحديث في آخر الكتاب، وليس في الكتاب شيء من ذلك"[106].

وبالجملة فإن تعقبات الحافظ ابن حجر للدمياطي، يمكن الوقوف عليها في "فتح الباري"، بيد أنه لا بد من الإشارة إلى أمرين مهمين:

الأول: إذا كان الحافظ ابن حجر قد تعقب الدمياطي في مواضع من حاشيته، فلقد استفاد منه في مواضع كثيرة من شرحه الحافل الماتع "فتح الباري"، بل كان في مواضع أخرى يتابع الدمياطي في بعض ما قد يُبديه من اعتراض على الرواة، ويصف اعتراضه بأنه: "صواب"[107]، أو بأن قوله: "المعتمد"[108]، ولقد دل صنيع الحافظ هذا على الإنصاف، والاعتراف بجلالة قدر الدمياطي في العلم.

الثاني: كانت تعقبات الحافظ ابن حجر للدمياطي، سببا في اعتراض البدر العيني على مواضع كثيرة من "فتح الباري"، فكثيرا ما انتصر العيني للدمياطي، ووصفه بالحفظ والإتقان، فكيف يُعترض عليه[109] ؟!!

وبعد: فهذه شذرات عن حاشية الحافظ الدمياطي على الجامع الصحيح، قصدت من خلالها بيان جلالتها، وجلالة صاحبها، كما قصدت بيان أن ليس كل حاشية ألفت

---

(105) أخرجه البخاري في "الجهاد": باب ما قيل في لواء النبيﷺ برقم: 2974.

(106) "الفتح" : 127/6.

(107) "الفتح": 390/7.

(108) "الفتح" : 706/8 و 286/9.

(109) انظر "العمدة": 73/8 وقارن ب"الفتح": 153/3، وانظر: "انتقاض الإعتراض": 365/1. وانظر أمثلة أخرى لانتصار العيني في "العمدة" : 255/19 و 189/24.

في عصر "المختصرات والحواشي"، يعرض عنها ولا يلتفت إليها، والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يغفر لصاحبها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُصْطَلَحَاتٌ حَدِيثِيَّةٌ: دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ

"الفائدة والفوائد"

د.جمال اسطيري

1 ـ تعريف الفائدة والفوائد:

أ ـ الفائدة لغة:

تأتي بمعان مختلفة، والقياس في بابها لا ينضبط، وأقرب معانيها إلى المصطلح المستعمل عند المحدثين: الاستحداث والزيادة والعطاء في المال أو العلم أو الخير.

قال ابن فارس: "الفاء والياء والدال أصل صحيح، إلا أن كلِمه لم تجئ قياسا، وهو من الأبواب التي لا تنقاس، من ذلك الفَيْدُ، يقولون: هو الزعفران، وبه سمي الشَّعَرُ الذي في جَحْفَلَةِ الفرس.

والفَيْدُ: التبختر في المشي، يقال رجل فَيَّاد .... وقالوا: الفَيَّادةُ الأكول.

والفَيْدُ: الموت.... والفَيَّادُ: ذَكَرُ البُوم....

والفائدة: استحداث مال وخير، وقد فادت له فائدة، ويقال أفدت غيري، وأفدت من غيري"[1].

وقال ابن الأثير: "في حديث ابن عباس"في الرجل يستفيد المال بطريق الربح أو غيره، قال: يزكيه يوم يستفيده" أي يوم يملكه. وهذا لعله مذهب له، وإلا فلا قائل به من الفقهاء، إلا أن يكون للرجل مال قد حال عليه الحول واستفاد قبل وجوب

---

[1] "معجم مقاييس اللغة" : 4/463 ــ 464.

الزكاة فيه مالا، فيضيفه إليه ويجعل حولهما واحدا ويزكي الجميع، وهو مذهب أبي حنيفة وغيره"[2].

وقال ابن منظور : " الفائدة ما أفاد الله تعالى العبد من خير يستفيده ويستحدثه، وجمعها الفوائد، ابن شميل: يقال إنهما ليتفايدان بالمال بينهما، أي يفيد كل واحد منهما صاحبه، والناس يقولون: هما يتفاودان العلم، أي يفيد كل واحد منهما الآخر.

الجوهري: الفائدة ما استفدت من علم أو مال، تقول منه: فَادَتْ له فائدة.

الكسائي: أفدتُ المال أي أعطيته غيري. وأفدته: استفدته.وأنشد أبو زيد للقتال:

ناقته ترْمُلُ في النقال *** مُهْلِكُ مالٍ ومفيدُ مال

أي: مستفيد مال.

وفاد المالُ نفسه لفلان يَفيدُ، إذا ثبت له مال[3].

ومن هذه المعاني المشار إليها آنفا ما اشتهر عن النحاة من قولهم: "فائدة: "ما" بعد "إذا" زائدة".

ب ـ الفائدة اصطلاحا:

الفائدة في اصطلاح المحدثين هي ما يستحدثه الراوي من الروايات التي تتضمن عوالي[4] شيخ أو كتاب، أو غرائبه مما يظن عدم مشاركة غيره له فيها، أو زيادة في متن، أو نكتة في إسناد كرواية الأكابر عن الأصاغر، أو رواية الأقران، أو اجتماع عدد معين من التابعين في إسناد واحد كأربعة مثلا، أو تفرد أهل بلد بإسناد كالبصريين أو غيرهم، أو أفراد الأسماء، أو التمييز بين اسمين متشابهين، أو بيان علة

(2) "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير : 484/3.

(3) "لسان العرب" : 3 /340 ـ341.

(4) العوالي جمع عال، والإسناد العالي هو الذي قلت رواته، وقلة رواته دليل قلة احتمال الضعف فيه غالبا، كما أن الإسناد النازل وهو الذي كثرت رواته، يكثر فيه احتمال الضعف غالبا.

في إسناد أو غير ذلك من النكت أو المعاني التي يطلبها الراوي، لكونها عزيزة، أو رويت بأسانيد غريبة.

2 ـ من صور الفائدة:

فمما كانت فائدته علوا في إسناد يغرب به المحدث ليصل إلى مخرج حديث أو إمام بعدد أقل من الوسائط، بحيث لو أخرجه من الطريق المشهور صار نازلا الحديث الذي خرجه الحافظ أبو عبد الله الصوري في" الفوائد العوالي" للقاضي أبي القاسم التنوخي "أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر بنموسى بن عيسى الحافظ ـ فيما أجازه لنا ـ أن عبد الله بن محمد بن جعفر حدثهم، حدثنا ياسين بن عبد الأحد بن أبي زرارة، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد ابن أبي حبيب، عن جرير بن حازم، عن أيوب بن أبي تميمة، عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إحدى صلاتي العشاء ركعتين، فقال ذو اليدين: أقصُرَتِ الصلاة أم نسيت؟ فقال: لم تقصر ولم أنس، فصلى بهم ما بقي، وسجد سجدتين بعد ما سلم.

هذا حديث غريب من حديث أبي رجاء يزيد بن أبي حبيب، عن أبي النضر جرير بن حازم، وهو يدخل في رواية الكبار عن الصغار، لأن يزيد بن أبي حبيب تابعي جليل من تابعي مصر، يروي عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدي، وأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وهما صحابيان، وخلق كثير من كبار التابعين، رحمهم الله أجمعين.

وجرير بن حازم يروي عن أبي رجاء العطاردي، ومحمد بن سيرين، ونافع، ومات يزيد سنة ثمان وعشرين ومائة.

ومات جرير سنة سبعين ومائة، بعده باثنتين وأربعين سنة.

أخبرناه، عاليا: أبو سعيد الحسن بن جعفر بن محمد بن الوضاح السمسار، قراءة عليه، حدثنا أبو شعيب ـ يعني عبد الله بن الحسن الحراني ـ ، حدثنا عبد العزيز بن داود الحراني، حدثنا يزيد بن إبراهيم التُّسْتَري، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشاء".

قال ابن سيرين: وأكبر ظني أنها الظهر. فسلم في ركعتين، فخرج سرعان الناس وقالوا: قصرت الصلاة(قصرت الصلاة)، وفي القوم: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل كان رسول الله ﷺ يدعوه: ذا اليدين، فقال: يارسول الله، قصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: ما نسيت ولا قصرت. قال: بلى يارسول الله نسيتَ. قال: أحق مايقول ذو اليدين؟ قالوا نعم، فصلى ما بقي من صلاته، وسجد سجدتي السهو".

هذا حديث صحيح من حديث أبي بكر محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، اتفق الشيخان، البخاري ومسلم على إخراجه.

فأخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف، وإسماعيل بن أبي أويس، والقعنبي، عن مالك.

وأخرجه مسلم عن عمرو الناقد، وزهير بن حرب، عن ابن عيينة، وعن أبي الربيع الزهراني، عن حماد بن زيد.

كلهم عن أيوب السختياني، وأخرجه "خ" عن إسحاق،عن إسماعيل بن علية[5]، عن ابن عون.

وأخرجه أيضا عن حفص بن عمر الحوضي، عن يزيد بن إبراهيم التُّسْتَري، كما أخرجناه.

كلهم عن محمد بن سيرين.

---

[5] الذي وقفت عليه في صحيح البخاري : 1/ 565 ح 482 أنه عن إسحاق عن ابن شميل.

فشيخنا يساويهما إلى ابن سيرين إلا في رواية يزيد بن إبراهيم، ويكون كأنه سمعه من يزيد بن أبي حبيب..."[6].

فالفائدة هنا هي علو طريق أبي سعيد السمسار المتوفي سنة 376هـ، حيث استوى بطرق البخاري المتوفى سنة 256هـ، ومسلم المتوفى سنة 261هـ، إذ وصل السمسار إلى مخرج الحديث وهو محمد بن سيرين بثلاث وسائط وهي ـ كما تقدم ـ أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا عبد العزيز بن داود الحراني، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري عن محمد بن سيرين.

وكذلك الأمر بالنسبة للبخاري إلا في طريق يزيد بن إبراهيم التُّسْتَري، فقد وصل إلى ابن سيرين بواسطتين.

فقد أخرجه من طرق هي:

1 ـ عبد الله بن يوسف عن مالك عن أيوب عن ابن سيرين[7].

2 ـ إسماعيل بن أبي أويس عن مالك عن أيوب عن ابن سيرين[8].

3 ـ القعنبي عن مالك عن أيوب عن ابن سيرين[9].

4 ـ إسحاق عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن ابن سيرين[10].

5 ـ حفص بن عمر الحوضي عن يزيد بن إبراهيم التُّسْتَري عن ابن سيرين[11].

أما مسلم فقد رواه من طرق هي:

1 ـ زهير بن حرب عن ابن عيينة عن أيوب عن ابن سيرين[12].

---

(6) "الفوائد العوالي المؤرخة من الصحاح والغرائب" لأبي القاسم التنوخي تخريج الحافظ أبي عبد الله الصوري ص: 93 ــ 103.

(7) انظر: "فتح الباري": 98/3 ح 1228 كتاب "السهو": باب من لم يتشهد في سجدتي السهو.

(8) 13 /231 ح 7250 كتاب: "أخبار الآحاد": باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق.

(9) 205/2 ح 714 كتاب "الأذان": باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس.

(10) 565/1 ح 482 كتاب "الصلاة": باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، لكن من طريق إسحاق عن ابن شميل وليس إسماعيل بن علية، والله أعلم.

(11) 99/3 ح 1229 كتاب "السهو": باب من يكبر في سجدتي السهو.

(12) انظر شرح النووي على صحيح مسلم: 67/5 كتاب "المساجد": باب السهو في الصلاة والسجود له.

2 ـ عمرو الناقد عن ابن عيينة عن أيوب عن ابن سيرين[13].

3 ـ أبو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين[14].

فاستوى إسناد أبي سعيد السمسار مع أسانيد البخاري ـ إلا في الطريق الخامس ـ ومسلم مع بُعد المَفازة بينهم، وهذه الفائدة هنا.

وسبب هذا العلو هنا يرجع إلى وجود بعض المعمرين في الإسناد كأبي شعيب الحراني.

وقد تكون الفائدة التي دعت المحدث يروي حديثا غريبا التنبيه على كثرة إغراب أحد الرواة على شيوخه، وتفرده عنهم بالمناكي،ر من ذلك ما خرجه الخطيب البغدادي في "الفوائد المنتخبة".

من طريق أبي القاسم إسماعيل بن إبراهيم بن علي بن عروة البندار قال: أنبأ أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان قال: ثنا محمد بن غالب بن حرب قال: ثنا يحيى بن عنبسة قال: ثنا حُميد الطويل عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ تسليما: "من مسح يده على رأس يتيم كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة".

قال الشيخ الإمام أبو بكر الخطيب: "هذا غريب من حديث أبي حمزة أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ تسليما، ومن حديث أبي عبيدة حميد بن أبي حميد الطويل عن أنس، تفرد بروايته يحيى بن عنبسة وهو شيخ يتفرد بأكثر رواياته عن شيوخه"[15].

---

(13) " " " " " " " " " " " " " " " " " " ".

(14) " " " " 68/5 " " " " " ".

(15) "الفوائد المنتخبة" لأبي القاسم المهرواني تخريج الخطيب البغدادي ص: 251 ح25.

فطريق يحيى بن عنبسة عن حميد عن أنس مع غرابته لا يصح، لأن ابن عنبسة مشهور برواية المناكير عن شيوخه حتى قال فيه ابن عدي: "ويحي بن عنبسة هذا مكشوف الأمر في ضعفه؛ لرواياته عن الثقات الموضوعات"[16].

ومن الفائدة التي تكون زيادة في متن حديث ما خرجه أبو عبد الله الصوري في "الفوائد العوالي" لأبي القاسم التنوخي، حيث قال رحمه الله: "أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد الخرقي، قراءة عليه، حدثنا ابن ذريح ـ يعني محمد بن صالح العكبري ـ ، حدثنا أبو إبراهيم الترجماني، حدثنا حُديج بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن الأشعث صاحب التوابيت، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: صلى بنا النبي ﷺ إحدى صلاتيْ العشي ركعتين، فأتاه ذو اليدين، فقال: يارسول الله إنك لم تصل إلا ركعتين، فأخذ به فذهب به إلى أبي بكر وعمر، والقوم معهم، فقال: "صدق هذا أني لم أصل إلا ركعتين؟" فقالوا: نعم، فقام فصلى بهم ركعتين أخريين، ثم سلم ، ثم سجد سجدتي السهو، ثم سلم وصلى على محمد وأهله وسلم.

هذا حديث غريب من حديث أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي ـ والسَّبيع بطن من همدان ـ ، عن الأشعث صاحب التوابيت...

وقد روى هذا الحديث ابن أبي طالب(*)، عن عمرو بن عون، عن حُدَيج بن معاوية. ولم يذكر في حديثه الزيادة التي وقعت لنا في آخره من الصلاة على النبي وأهله، صلى الله عليه وعليهم، وهي غريبة جدا..."[17].

فالفائدة هنا هي زيادة التسليم والصلاة على النبي وأهله في سجود السهو، وقد حكم الحافظ ابن حجر على زيادة أشعث التسليم بالشذوذ[18].

---

(16) "الكامل" : 255/7.

(*) هو يحيى بن أبي طالب ، جعفر بن الزبرقان (ت275هـ). انظر ترجمته في "الجرح والتعديل":134/9، و"الميزان":384/4، و"سير أعلام النبلاء":619/12.

(17) "الفوائد العوالي المؤرخة من الصحاح والغرائب" لأبي القاسم التنوخي تخريج الصوري 87 ــ 92.

(18) انظر: "فتح الباري" : 99/3.

والنكتة الإسنادية تكون من الفوائد التي يحرص الرواة على طلبها والحفاظ على تخرجها، وذلك كرواية الأكابر عن الأصاغر، إذ الأصل أن يروي الصغير عن الكبير والعكس عزيز، ولذلك يطلبه الرواة.

من ذلك ما خرجه الصوري في "الفوائد العوالي" للتنوخي من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري أخبرني رجل من أهل المدينة يقال له مالك بن أنس، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة، عن عمته الفُريعة أن زوجها خرج في سفر فقتله أعلاج.

وذكر الحديث هكذا في أصله.

هذا حديث غريب من حديث أبي بكر محمد بن مسلم الزهري، عن أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي....

وهذا الحديث يدخل في رواية الكبار عن الصغار، لأن الزهري رواه عن مالك، وهو شيخه، ومات مالك بعده بخمس وخمسين سنة.

وأول من حدث به عن مالك: الزهري، وآخر من حدث عنه: أبو حذافة، يوم الفطر من سنة تسع وخمسين ومائتين. فبين أول من حدث به عن مالك وآخر من حدث عنه مائة وخمس وثلاثون سنة"[19].

ومن نكت الإسناد التي يتتبعها الرواة طلبا للفائدة رواية الأقران بعضهم عن بعض، وهذا نادر أيضا إذا ما قورن بغيره.

من ذلك ما خرجه الخطيب البغدادي في "الفوائد المنتخبة" لأبي القاسم المهرواني من طريق إسحاق بن إبراهيم الأنصاري قال: حدثنا صفوان بن سليم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله لا يقبض

(19) "الفوائد العوالي " للتنوخي خريج الصوري ص: 80 ــ 87، والحديث خرجه الذهبي في "السير" : 115/8 في ترجمة مالك من طريق يونس بن يزيد عن الزهري عن مالك به.

العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

قال أبو بكر الخطيب: "هذا حديث غريب جدا من حديث صفوان بن سليم الزهري عن هشام بن عروة تفرد بروايته عنه إسحاق بن إبراهيم بن سعيد الأنصاري وقيل المزني. ويدخل في رواية الأقران بعضهم عن بعض لأن صفوان وهشاما قرينان"[20].

والحديث رواة الطبراني في معجمه الصغير من طريق إسحاق بن إبراهيم به...ثم قال: "لم يروه عن صفوان إلا إسحاق بن إبراهيم مولى مُزَيْنة"[21].

وإسحاق بن إبراهيم ضعيف، قال أبو حاتم الرازي: "هو لين الحديث"[22]، وقال أبو زرعة: "ليس بقوي، منكر الحديث"[23].

والحديث صحيح من غير هذا الطريق، والنكتة فيه غير صحيحة لضعف الطريق إليها كما رأيت.

وقد تكون الفائدة نكتة إسنادية دعت المحدث إلى انتقاء حديث، وتخريجه من أصل مشهور، اقتضى المقام التنبيه عليها خشية اعتقاد زيادة أو تحريف، وذلك كاجتماع أربعة من التابعين في إسناد واحد، فالأصل رواية التابعي عن الصحابي وتابع التابعي عن التابعي وهكذا، فإذا جاء حديث على غير الجادة، توهم فيه الخطأ والتصحيف.

ومثل هذه النكتة من الندرة بمكان، وإذا وقعت في إسناد الغالب أنه لا يصح إلا ما قل، كالحديث الذي خرجه الخطيب البغدادي عن أبي الحسن أحمد بن

---

(20) "الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب" لأبي القاسم المهرواني تخريج الخطيب البغدادي ص: 200.

(21) "المعجم الصغير" : 165/1.

(22) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي : 206/2.

(23) " " " " " ".

محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت الأهوازي، ثنا محمد بن جعفر المطيري، ثنا علي بن حرب، ثنا الحسن بن موسى الأشيب، ثنا شيبان عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عمر بن عبد العزيز أخبره، أن عروة بن الزبير أخبره، أن عائشة أخبرته، أن النبيﷺ تسليما: "كان يقبلها وهو صائم".

قال الخطيب البغدادي، "انفرد مسلم بإخراجه فرواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن الحسن الأشيب"[24].

فكان ابن الصلت سمعه منه، وقد اجتمع في هذا الحديث رواية أربعة من التابعين بعضهم عن بعض، أحدهم:

يحي بن أبي كثير، فإنه رأى أنس بن مالك.

وأبو سلمة بن عبد الرحمن: أكثر الرواية عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة أم المؤمنين وغيرهم.

وعمر بن عبد العزيز بن مروان، سمع أنس بن مالك.

ولعروة بن الزبير روايات عن عدة من الصحابة[25].

فمثل هذا الإسناد لندرته، يسبق إلى الذهن زيادة بعض الأسماء فيه لاتحاد طبقات[26] رواته، مع اختلاف حلقاتهم في الإسناد، كما يحتمل وقوع تحريف في بعض صيغ التحديث فيه، حيث يحتمل أن "و" تحرفت إلى "عن" فيما فوق يحيى بن أبي كثير من التابعين.

وإذا لم يصح شيء من هذه الاحتمالات، كان في هذا الإسناد فائدة مطلوبة، جعلت المهرواني يحرص على إيرادها في فوائده، وهي من نوادر النكت الصحيحة في إسناد مسلم.

---

(24) أخرجه في كتاب الصيام (باب حكم التقبيل في الصوم) : 218/7.

(25) انظر: "الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب" لأبي القاسم المهرواني، تخريج الخطيب البغدادي ص: 49 ــ 50.

(26) مصطلح "الطبقة" مستعمل هنا بمعناه العام، حيث إن الأربعة الذين ذكرهم الخطيب يصدق عليهم أنهم تابعون.

وقد تكون الفائدة إغرابا بطريق على أهل بلد معين، كالذي روي عن الإمام البخاري لما عقد مجلسا بالبصرة، حضره المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظارة، حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء، فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: "يا أهل البصرة، أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها، يعني ليست عندكم. قال: فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء، فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي داود العتكي ببلدكم قال: حدثني أبي عن شعبة عن منصور وغيره عن سالم بن أبي الجعد عن أنس بن مالك، أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم... الحديث. ثم قال هذا ليس عندكم عن منصور، إنما هو عندكم عن غير منصور".

قال يوسف بن موسى: فأملى عليهم مجلسا من هذا النسق يقول في كل حديث: روى فلان هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان يعني التي يسوقها فليست عندكم[27].

فهذه من أحسن الفوائد أن يغرب البخاري على أهل البصرة بإسناد بصري لا يعرفونه، فيذكر لهم إسنادهم به على الجادة، ثم يفيدهم طريقا بصريا ليس عندهم. فهي من الفوائد النادرة الصحيحة التي يجتهد المحدثون في طلبها ويرحلون في تحصيلها، فلا يظفرون بمثلها عن مثل البخاري أمير المؤمنين في الحديث.

ومن الفوائد المطلوبة عندالرواة أن يكون الإسناد مشتملا على اسم مفرد ليس له نظير يخرج حديثه لئلا يعدل به إلى ما اشتهر من الأسماء التي قد تشبهه رسما.

---

[27] انظر: "هدى الساري" مقدمة "فتح الباري" ص: 487.

من ذلك ما خرجه الخطيب البغدادي في "الفوائد المنتخبة" من طريق عمر بن فروخ القتاب، عن عكرمة قال: رأيت رجلا يصلي يكبر في كل خفض ورفع وقيام وقعود، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: ما أماط عن سنة نبيه ﷺ تسليما.

قال الشيخ الإمام أبو بكر الخطيب:"كذا روى هذا الحديث أبو جعفر الرزاز وعمر بن فروخ، إنما يروى هذا الحديث عن حبيب بن الزبير عن عكرمة، وليس في رواة العلم من يقال له القتاب بتاء قبل الألف معجمة بنقطتين من فوقها، وباء بعده منقوطة بواحدة غير هذا، وكان يبيع الأقتاب.

وله نظير في الصورة هو: محرز القتات، وزاذان أبو يحي القتات، والحسين بن جعفر بن حبيب القتات وأخوه محمد.

وكل ذلك بتاءين كل واحدة منهما منقوطة باثنتين من فوقها. ولهم نظير آخر هو:

عبد الله بن محمد القباب الأصفهاني: بباءين كل واحدة منهما معجمة بنقطة واحدة"[28].

وقد تكون الفائدة التنبيه على علة في إسناد حديث صحيح يغلب على الظن سلامته منها، لثقة رواته واتصال إسناده.

من ذلك ما خرجه الخطيب البغدادي في "الفوائد المنتخبة" من طريق أبي بكر محمد بن أحمد الطوسي قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال: ثنا هارون بن سليمان الأصفهاني قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور والأعمش وواصل الأحدب، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله، قال: قلت: يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟

قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك".

---

(28) "الفوائد المنتخبة" لأبي القاسم المهرواني تخريج الخطيب البغدادي ص: 138 ــ 139.

قال: ثم ماذا؟

قال "أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك".

قال ثم ماذا؟

قال: "أن تزاني حليلة جارك".

قال الشيخ الإمام أبو بكر الخطيب: "كذا روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري، عن منصور والأعمش وواصل، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عمرو بن شرحبيل، ووهم في ذلك لأن واصلا إنما يرويه عن أبي وائل عن عبد الله ولا يذكر فيه عمرو.

وأما سليمان الأعمش فاختلف عليه، فرواه وكيع وأبو معاوية وشيبان بن عبد الرحمن وأبو شهاب الحناط وعبد الواحد بن زياد وقُران بن تمام وعبد العزيز بن مسلم وإسماعيل بن زكريا الخُلْقاني ومحر بن مدرك الغساني، رووه كلهم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله كرواية واصل.

ورواه زيد بن أبي أُنَيْسة وأبو عبيدة بن معن وعبد الله بن نمير وجرير بن عبد الحميد وأبو يوسف القاضي عن الأعمش عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله وكذلك رواه منصور بن المعتمر عن أبي وائل من غير خلاف عنه.

وقد رواه يحي بن سعيدالقطان عن سفيان الثوري عن النفر الثلاثة الذين رواه عبد الرحمن بن مهدي عن الثوري عنهم.

فبين أن واصلا إنما رواه عن أبي وائل عن عبد الله[29].

والآخرَيْن روياه عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله[30].

---

[29] أخرجه البخاري في صحيحه : 114/12 ح 6811 كتاب "الحدود" : باب إثم الزناة. قال "حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحي ابن سعيد حدثنا سفيان حدثني منصور وسليمان عن أبي وائل عن أبي ميسرة عن عبد الله... فذكره.

قال يحي: وحدثنا سفيان حدثني واصل عن أبي وائل عن عبد الله .

قال عمرو : فذكرته لعبد الرحمن وكان حدثنا عن سفيان عن الأعمش ومنصور وواصل عن أبي وائل عن أبي ميسرة، قال: دَعْهُ دَعْهُ"

والمقصود من كلام الخطيب البغدادي هنا، أن الحديث ـ وإن كان صحيحا إسنادا ومتنا ـ فيه علة وهي إدراج واصل ضمن من رواه عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله، فطريق واصل لا ذكر فيه لعمرو بن شرحبيل أبي ميسرة، وإنما يُروى عن أبي وائل عن عبد الله، وهذه من أحسن الفوائد وأصحها، فمثلها يندر في كتب الفوائد.

وكل تلك الفوائد المتقدمة سواء تعلقت بالإسناد أو المتن أو بهما معا، لا تنفك عن كونها غريبة، وقد اشتد طلب الرواة لها ونقد النقاد لها لغرابتها.

3ـ ما يذم من تتبع الفوائد:

وتتبع الغرائب وطلب الفوائد قد ينسي الراوي الالتزام بشروط الصحة، فالذي همه الإغراب قد يأتي بالمناكير التي تقدح في عدالته، بل ربما في عقيدته.

قال ابن عدي: "سمعت محمد بن الضحاك بن عمرو بن أبي عاصم النبيل يقول: أشهد على محمد بن يحي بن مندة بين يدي الله أنه قال لي: أشهد على أبي بكر بن أبي داود بين يدي الله أنه قال لي: روى الزهري عن عروة قال: " كانت قد حَفِيَتْ أظافير علي من كثرة ما كان يتسلق على أزواج رسول اللهﷺ "[31].

قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي: "وكان ابن أبي داود صِلفا تيَّاها حريصا على الغلبة، فكأنه سمع بعض النواصب يروي بسند فيه واحد أو أكثر من الدجالين إلى الزهري أنه قال: قال عروة...فحفظ ابن أبي داود الحكاية مع علمه واعتقاده بطلانها، لكن كان يعدها للإغراب عند المذاكرة، ولما دخل أصبهان ضايق محدثيها في بلدهم، فتجمعوا عليه وذاكروه، فأعوزه أن يغرب عليهم، ففزع إلى تلك الحكاية فقال: الزهري عن عروة...فاستفظع الجماعة الحكاية، ثم بدا لهم أن يتخذوها ذريعة إلى

(30) "الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب" لأبي القاسم المِهرواني تخريج أبي بكر الخطيب البغدادي ص: 150 ـ 153.

(31) "الكامل" : 266/4.

التخلص من ذلك التياه الذي ضايقهم في بلدهم، فاستقر رأيهم على أن يرفعوا ذلك إلى الوالي ليأمر بنفي ابن أبي داود فيستريحوا منه، ..."[32].

ولهذا حذر المحدثون من الإغراق في تتبع الغرائب وتحصيل الفوائد، لأن الحرص على ذلك يفضي إلى التساهل في اشتراط الصحة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: " إذا سمعت أصحاب الحديث يقولون: هذا حديث غريب أو فائدة، فاعلم أنه خطأ أو دخل حديث في حديث، أو خطأ من المحدث أو حديث ليس له إسناد وإن كان قد روى شعبة وسفيان، فإذا سمعتهم يقولون: هذا لا شيء فاعلم أنه حديث صحيح"[33] .

فإذا كان هذا مآل الإغراب والتفرد فقد ذم المحدثون من أتى ذلك أو تتبع الفوائد وتطلب الغرائب.

قال إبراهيم: "كانوا يكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه أو أحسن ما عنده"[34].

والحسن هنا ليس قسيما للصحة والضعف باعتبار القبول والرد، وإنماهو قسيم للمشهور، أو هو الغريب، فهو حسن عند صاحبه باعتبار ندرته، لأن المتبادر منه كثرة التحصيل وسعة الطلب وكثرة المحفوظ ، ولهذا قال الخطيب البغدادي: "عنى إبراهيم بالأحسن الغريبَ، لأن الغريب غير المألوف يستحسن أكثر من المشهور المعروف، وأصحاب الحديث يعبرون عن المناكير بهذه العبارة، ولهذا قال شعبة بن الحجاج فيما أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عثمان بن أبي

---

(32) انظر: "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" للمعلمي: 303/1 ــ 304.

(33) رواه الخطيب البغدادي في "الكفاية" ص: 142.

(34) " " " "الجامع" : 161/2.

صفوان الثقفي، نا أمية بن خالد قال: قيل لشعبة: "مالك لا تروي عن عبد الملك بن أبي سلميان وهو حسن الحديث؟ فقال: من حسنها فررتُ"[35].

وقلما تسلم الفوائد من الضعف، قال شعبة: "أفادني الحسن بن عُمارة عن الحكم سبعين حديثا لم يكن لها أصل"[36].

وقال المرُّوذي: "وذكر له ـ أي لأحمد ـ الفوائد فقال : "الحديث عن الضعفاء قد يحتاج إليه في وقت، والمنكر أبدا منكر"[37].

يعني أن الفوائد يغلب عليها الضعف، وإن كان فيها ما قد يصلح للاعتبار بخلاف المنكر.

4ـ ارتباط مصطلح "الفوائد" بالجرح والتعديل:

إذا استعمل مصطلح "الفوائد" جمعا وصفا لحديث راو ما، كان من ألفاظ التجريح، حيث يدل على أن الراوي مولع بتتبع الغرائب وطلب الفوائد التي غلب عليها الضعف والنكارة، أو على صاحبها التساهل في الرواية وعدم التمييز بين الغث والسمين.

من ذلك قول الحسين بن أبي معشر [أبي عروبة الحراني] في زهير بن محمد أبي المنذر التميمي: "كان حديثه فوائد"[38].

أي غرائب ومناكير، وقد وصفه غير أبي عروبة برواية المناكير .

قال أبو أحمد الحاكم: "في حديثه بعض المناكير"[39] .

وقال الساجي : "صدوق منكر الحديث"[40].

---

(35) انظر: "الجامع" للخطيب البغدادي : 161/2.

(36) رواه العقيلي في "الضعفاء الكبير" : 237/1.

(37) "العلل" رواية المروذي ص 163 ج287.

(38) رواه ابن عدي في "الكامل" : 217/3.

(39) "تهذيب التهذيب" 350/3.

وقد وثقه نقاد آخرون، وقد دل التتبع على أن تضعيف من ضعفه يختص بما رواه الشاميون عنه، حيث كان يحدث بالشام من حفظه فيغلط، فإذا حدث بالعراق من كتبه كان صالحا. وقد أشار إلى هذا أبو حاتم الرازي حيث قال فيه: "محله الصدق وفي حفظه سوء، وكان حديثه بالشام أنكر من حديثه بالعراق لسوء حفظه، من أهل خراسان سكن المدينة وقدم الشام، فما حدث من كتبه فهو صالح، وما حدث من حفظه ففيه أغاليط"[41].

فوصف أبي عروبة لحديث زهير بأنه "فوائد" يعني مناكير وغرائب، وهي ما أخطأ فيه أو أخطأ عليه فيه أهل الشام، ومثل هذا الاستعمال - أيضا - قول أبي عروبة في حسان بن إبراهيم الكرماني: "كان حديثه كلها فوائد"[42] قال ابن عدي: "أي غرائب"[43].

وقد نقد ابن عدي حسان بن إبراهيم بمثل قول أبي عروبة حيث قال فيه: "وقد حدث بإفرادات كثيرة..."[44].

أي بغرائب لا تحتمل.

وقد يستعمل مصطلح "الفائدة" في سياق المدح والثناء على الراوي، وصفا لمحفوظه وكثرة اطلاعه، أو توسعا في استيعاب حديث شيخ، أو بيان لمعرفته بصناعة الحديث وتبصره به .

فمن الأول قول شعبة : "سفيان أحفظ مني، ما أفادني شيئا عن رجل إلا وجدته كما أفادني"[45].

---

(40) "تهذيب التهذيب":350/3.

(41) "الجرح والتعديل" لابن أبي حام الرازي: 590/3.

(42) روا ابن عدي في "الكامل" : 374/2.

(43) انظر: "الكامل" : 374/2.

(44) "الكامل": 375/2.

(45) رواه ابن عدي في "مقدمة الكامل" 85/1.

ومن ذلك أيضا قول القاضي أبي الطيب الطبري: حضرتُ الدار قطني وقد قُرئت الأحاديث التي جمعها في مس الذكر عليه، فقال لو كان أحمد بن حنبل حاضرا لا ستفاد هذه الأحاديث"[46].

فهذا كناية عن سعة حفظ الدارقطني الذي فاق الإمام أحمد حفظا بهذه الأحاديث التي جمعها في هذا الباب.

ومن ذلك أيضا ماتقدم عن البخاري في إغرابه عن أهل البصرة بأسانيد بصرية.

ومن الثاني قول شعبة: "كان ابن أخت حميد الطويل يفيدني عن محمد بن زياد يعني حماد بن سلمة"[47].

فحماد بن سلمة أكثر استيعابا لحديث محمد بن زياد الأعلم، ولهذا قال يحيى بن سعيد القطان: " كان حماد بن سلمة يفيدني عن محمد بن زياد"[48].

فحماد أدرى بعوالي محمد بن زياد وأفراده التي لا يعرفها غيره من الحفاظ كشعبة وغيره، ولهذا قال فيه العجلي (إن عنده ألف حديث حسن ليس عند غيره)[49].

ومن هذا المعنى أيضا قول الإمام أحمد: قلت ليونس الصدوق:

حماد بن سلمة عمن كان يفيد في آخر عمره؟ .

قال: عن سعيد الجُرَيْري - يعني يحدث عنه - .

قال أبي : قدم علينا يونس مرة فأخرج شيوخا وكان يتتبع الشيوخ"[50].

أي فوائدهم من عوال وغرائب وغيرها، لذلك سأل أحمد يونس عمن كان حماد بن سلمة يفيد من الشيوخ، لمزيد عناية يونس بهذا الأمر.

---

(46) "سير أعلام النبلاء " 454/16 ــ 455.

(47) "العلل ومعرفة الرجال" للإمام أحمد رواية ابنه عبد الله : 26/3.

(48) رواه ابن عدي في "الكامل" : 256/2.

(49) "تاريخ الثقات" للعجلي ص: 131.

(50) "العلل" للإمام أحمد رواية ابنه عبد الله : 377/2 ــ378.

ومن الثالث قول الخطيب البغدادي بيانا لمعنى قول ابن رزقويه في أحمد بن سلمان النجاد" النجاد بن صاعدنا" : " عنى بذلك أن النجاد في كثرة حديثه واتساع طرقه وعظم رواياته وأصناف فوائده لمن سمع منه كيحي بن صاعد لأصحابه ، إذ كل واحد من الرجلين كان واحد وقته في كثرة الحديث"[51].

(51) "تاريخ بغداد" : 4/412 ــ 413.

المصادر

1 ـ "الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع": القاضي عياض بن موسى اليحصبي ـ تحقيق: أحمد صقر ـ دار التراث ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية 1398هـ/ 1978م.

2 ـ "التاريخ": يحيى بن معين رواية عباس الدوري عنه ـ تحقيق: أحمد نور سيف ـ مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ـ الطبعة الأولى 1399هـ / 1979م.

3 ـ "تاريخ أسماء الثقات": أبو حفص عمر بن شاهين ـ تحقيق صبحي السامرائي ـ الدار السلفية (الكويت) ـ الطبعة الأولى 1404هـ /1984م.

4 ـ " تاريخ بغداد": أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ـ تحقيق: مصطفى عبدا لقادر عطا ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ الطبعة الأولى 1417هـ /1997م.

5 ـ "تاريخ جرجان": حمزة السهمي ـ تحقيق: عبد الرحمن المعلمي ـ عالم الكتب (بيروت) ـ الطبعة الثالثة 1401هـ/1981م.

6 ـ "تدريب الراوي شرح تقريب النووي": جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ـ دار الكتب الحديثة (مصر) ـ الطبعة الثانية 1385هـ/ 1966م.

7 ـ "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل": عبد الرحمن بن يحي المعلمي ـ تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني ـ حديث أكادمي فيصل آباد باكستان ـ الطبعة الأولى1401هـ/1981م.

8 ـ "تهذيب التهذيب": ابن حجر العسقلاني ـ مصورة دار الفكر العربي عن طبعة دائرة المعارف النظامية (الهند).

9 ـ "الجامع الصحيح" لمحمد بن إسماعيل البخاري مع شرحه "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني. تحقيق: عبدالعزيز بن باز ـ مصورة دار الفكر ـ بدون تاريخ.

10 ـ "الجامع الصحيح": مسلم بن الحجاج مع شرح النووي ـ تصوير دار إحياء التراث العربي (بيروت) ـ بدون تاريخ.

11 ـ "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ تحقيق محمد رأفت سعيد ـ مكتبة الفلاح (الكويت) ـ الطبعة الأولى 1401هـ/1981م.

12 ـ "الجرح والتعديل": عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ تحقيق: عبد الرحمن المعلمي ـ مصورة دار الكتب العلمية ـ عن الطبعة الأولى لدائرة المعارف العثمانية.

13 ـ "سير أعلام النبلاء" شمس الدين الذهبي ـ تحقيق: جماعة من المحققين تحت إشراف شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة 1405هـ/1985م.

14 ـ "سنن الدار قطني ":علي بن عمر ـ تحقيق: عبد الله هاشم يماني ـ مصورة دار المحاسن (القاهرة) 1386هـ/1966م.

15 ـ "شرح علل الترمذي" عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ـ تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد ـ مكتبة المنار (الأردن) ـ الطبعة الأولى 1407هـ/1987م.

16 ـ "شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل": أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل ـ مكتبة ابن تيمية (القاهرة) ـ الطبعة الأولى 1411هـ/1991م.

17 ـ "والضعفاء الكبير": أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي ـ تحقيق عبدا لمعطي قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى 1404هـ/1984م.

18 ـ "العلل ومعرفة الرجال": أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله عنه ـ تحقيق وصي الله بن عباس ـ المكتب الإسلامي (بيروت) ـ الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

19 ـ "العلل ومعرفة الرجال" ـ عن الإمام أحمد رواية المرُّوذي وصالح بن أحمد والميموني ـ تحقيق: وصي الله بن محمد بن عباس ـ الدار السلفية بومباي الهند ـ الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

20 ـ "الفوائد العوالي المؤرخة من الصحاح والغرائب" ـ لأبي القاسم علي بن المحسِن التنوخي ـ تخريج: الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي الصوري تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط. الأولى 1406هـ/1985م.

21 ـ "الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب" (المهروانيات) لأبي القاسم يوسف بن محمد المهرواني ـ تخريج: أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ تحقيق: خليل بن محمد العربي ـ دار الراية الرياض ـ ط. الأولى 1419هـ/1998م.

22 ـ "الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي" لأبي الحسن علي بن عمر الحربي ـ تحقيق: تيسير بن سعد أبو جيمد ـ دار الوطن الرياض ـ ط. الأولى 1420هـ/1999م.

23 ـ "الكامل في ضعفاء الرجال": أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ الطبعة الثالثة 1409هـ/1988م.

24 ـ "الكفاية في علم الرواية": أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ـ مصورة دار الكتب العلمية ـ عن النسخة الهندية 1409هـ/1988م.

25 ـ "لسان العرب": جمال الدين محمد بن منظور دار صادر ـ الطبعة الثالثة 1414هـ/1994م.

26 ـ "لسان الميزان": ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى 1416هـ/1996م.

27 ـ "المصباح المنير": أحمد بن محمد بن علي الفيومي ـ مكتبة لبنان ـ الطبعة بدون 1987م.

28 ـ "المعجم الصغير" لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تصحيح عبد الرحمن عثمان دار الفكر بيروت ـ ط. الثانية 1401هـ/1981م.

29 ـ "معجم مقاييس اللغة": أبو الحسن أحمد بن فارس ـ تحقيق: عبد السلام هارون ـ دار الجيل ـ الطبعة الأولى.1417هـ/1998م.

30 ـ "ميزان الاعتدال في نقد الرجال": شمس الدين الذهبي ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت) ـ الطبعة الأولى 1382هـ/ 1963م.

31 ـ "النهاية في غريب الحديث والآثار": أبو السعادات ابن الأثير ـ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناجي ـ مصورة دار إحياء التراث العربي (بيروت) ـ بدون تاريخ.

32 ـ "هدي الساري مقدمة فتح الباري": أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ مصورة دار الفكر ـ بدون تاريخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

"مَصَادِرُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الرَّئِيسَةُ فِي المَغَازِي وَالسِّيَرِ فِي كِتَابِ الطَّبَقَاتِ"

[2/2]

د. محمد باقشيش

2 ـ التعريف بكتاب المغازي:

ـ نسخ الكتاب:

على الرغم من كثرة تصانيف الواقدي وتنوع موضوعاتها، فإنه "لم يبق لنا من جميع كتاباته كتاب هام كامل غير "كتاب المغازي""[73].

ونشر فلهاوزن wellhauser، مختصرا له باللغة الألمانية في برلين 1882م، ونشره النصر العربي عباس الشربيني، القاهرة 1948م. ونشره جونز J..M.B. JONES في لندن 1966م في ثلاثة مجلدات[74]. وله ترجمة فارسية غير معروفة المترجم، توجد في حاجي محمود 4764 (386 ورقة)، انظر بروكلمان 67/2. يوجد مخطوطا في دار الكتب بالقاهرة 143/5 رقم 552 (في مجموعة بخط ابن حجر).

---

[73]" المغازي الأولى" ص: 119.

[74] وقد حققها جونس وجعل لها دراسة تقديمية، وهي النسخة المتداولة الآن بين الباحثين.

وتوجد منه قطع عند ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، في مواضع مختلفة من المجلد الرابع عشر، وكذلك 1/15 . 71، 257/17 . 284، 18/7 . 21[75].

ـ نبذة عن كتاب المغازي:

أ ـ هوروفتس ومغازي الواقدي:

قال هوروفتس: "ويذكر الواقدي في بداية "كتاب المغازي" قائمة بمن أكثر عنهم الرواية، تتألف من خمسة وعشرين اسما، ويذكر تلميذه ابن سعد أيضا أحد عشر منهم بأنهم رواة المغازي الرئيسيون في المغازي[76].

قال: ويبدو من هذه القائمة التي علق عليها سخاو SACHAU بالتفصيل، أن الواقدي لا بد أنه شرع بجمع مادته في زمن مبكر، لأن بعض هؤلاء الرواة المباشرين مات بعد عام 150هـ، بزمن قليل[77]**، أي حين كان الواقدي في الخامسة والعشرين أو أصغر، وجميع هؤلاء الرواة تقريبا من أهل المدينة، أو عاشوا هناك، ولذلك يمكن اعتبار الواقدي ممثلا للمدرسة المدنية. ولكن القائمة المذكورة في بداية الكتاب لا تشمل جميع من روى عنهم الواقدي مباشرة، وإنما الذين تعتمد عليهم روايته الرئيسية فقط.**

---

(75) "تاريخ التراث العربي" سيزكين م 1 ج 102/2، وانظر: "المغازي الأولى" ص: 119، و"معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ" ص: 136و 138.

(76) ذكر ابن سعد من بين رواة الواقدي وشيوخه: "ربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمي"، وهو غير مذكور في القائمة التي سردها الواقدي في بداية كتاب " المغازي" .

وبهذا يكون قد ذكر عشرة فقط، من مجموع خمسة وعشرين راويا، والمعروف عن ابن سعد أنه ينتقي في الغالب من روايات شيخه الواقدي ما هو معروف لدى العلماء، ومن هنا ـــ وغيره ـــ وجد الحظوة عندهم دونه.

(77) منهم:

ـــ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، مات سنة 151هـ "التقريب": 287/2

ـــ ومحمد بن عبد الله بن مسلم، مات سنة 152هـ، "التقريب": 180/2.

ـــ وموسى بن يعقوب بن عبد الله ، مات بعد الأربعين ومائة، "التقريب": 189/2.

وقد أدخل في كثير من الأحيان روايات فردية كان يذكر إسنادها الخاص في كل مرة.

ويتبع الواقدي خطة ثابتة في عرضه المغازي، فيبدأ بذكر عام خروج الغزو من المدينة ورجوعها، ويتبعه بأخبار الغزوة - ويتألف العرض في الفصول الطويلة من خبر رئيس واحد، مكون من كثير من الروايات الفردية التي يضيف إليها أخباره الخاصة - ويذكر في النهاية في غالب الأحيان، نائب النبيﷺ على المدينة في غيابه، وبعض الأشعار والآيات التي تحتوي على إشارات للحادث الذي يعالجه، وقوائم...الخ "[78].

ب ـ مارسدن جونس ومغازي الواقدي:

وقال مارسدن: "ويبدو واضحا للقارئ الحديث، أن من أهم السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي، تطبيقه المنهج التاريخي العلمي الفني، فإننا نلاحظ عند الواقدي - أكثر مما نلاحظ عند غيره من المؤرخين المتقدمين ـ أنه كان يرتب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقة منطقية لا تتغير، فهو مثلا يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثم يذكر المغازي واحدة واحدة مع تأريخ محدد للغزوة بدقة، وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقعة الغزوة، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي بنفسه، وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيرا يذكر شعار المسلمين في القتال، كل ذلك بالإضافة إلى وصفه لكل غزوة بأسلوب موحد، فيذكر أولا اسم الغزوة وتأريخها وأميرها، ويكرر في بعضها اسم المستخلف على المدينة، وتفاصيل جغرافية مما كان قد ذكرها في مقدمة الكتاب.

وفي أماكن كثيرة يقدم لنا الواقدي قصة الواقعة بإسناد جامع؛ أي يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد.

---

[78] "المغازي الأولى ومؤلفوها"، وانظر التفصيل في دراسة الكتاب ومؤلفه فيه ص: 120 ـ 125.

وإذا كانت الغزوة قد نزل فيها آيات كثيرة من القرآن، فإن الواقدي يفردها وحدها مع تفسيرها، ويضعها في نهاية أخبار الغزوة.

وفي المغازي الهامة يذكر الواقدي أسماء الذين شهدوا الغزوة وأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا فيها، ومن اليسير أن نستدل على فطنة الواقدي وإدراكه كمؤرخ من المنهج الموحد الذي يستعمله.

وإن ما أورده في الكتاب من التفاصيل الجغرافية ليوحي بجهده ومعرفته للدقائق في الأخبار التي جمعها في رحلته إلى شرق الأرض وغربها طلبا للعلم، وذلك أيضا دليل على أحقيته في هذا الميدان بما وصفناه به.

وقد تبعه في اهتمامه بهذه التفاصيل الجغرافية كاتبه وتلميذه محمد بن سعد، بل نراه يزيد على تلك التفاصيل التي عند أستاذه الواقدي.

وجدير بالذكر أن هذه التفاصيل الجغرافية التي أوردها الواقدي، تعتبر بحق المرحلة الأولى في الأدب الجغرافي العربي، إن لم تكن اللبنات والأسس التي بنى عليها كل من جاء بعده، مثل ابن سعد، والبلاذري، ومن تلاهما في التأليف لكتب الفتوح والبلدان.

ثم يضيف أن: من أهم الخصائص المميزة لمغازي الواقدي هي النظام المتكامل للتواريخ، وكثير من المغازي غير المؤرخة عند ابن إسحاق..لها كلها عنده تاريخ معين محدد، وذكر خاص.

لكن يجب علينا ـ تحريا للإنصاف ـ أن نتقبل هذا التأريخ للحوادث بحذر...

ثم يقول جونس: كما يلقي الواقدي ـ أيضا ـ الضوء على مشاهد كثيرة من الحياة في فجر الإسلام مثل الزراعة، والأكل، والأصنام، والعادات في دفن الموتى، وعلى تكوين وتنظيم العيرات، وبالجملة، على جميع مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي في الفترة بين الهجرة وموت النبي.

ويضيف بأن الواقدي كان يتبع منهجا نقديا واعيا فنيا في اختيار وتنظيم أخباره، ثم لا يلبث أن يذكر آراءه وأفكاره عن الأخبار التي كان يسجلها، وكثيرا ما يقول مثلا: "هو المثبت"، و"الثابت عندنا"، "و المجمع عليه عندنا"، "وهو أثبت"...إلى غير ذلك من العبارات التي تبرز رأيه الصريح في تقويم تلك الأخبار.

ثم أنهى دراسته عن الواقدي ومغازيه بقوله:

وعلى الرغم مما ذكرت من آراء نقدية مثل الاختلاف الواقع في بعض تواريخ الحوادث، فلا بد من الاعتراف بأن مغازي الواقدي، أكمل وأتم مصدر محايد - دون تعصب - لتاريخ حياة النبي في المدينة"[79].

ج ـ عبد العزيز الدوري ومغازي الواقدي:

قال الدوري ـ في معرض حديثه عن نشأة علم التاريخ عند العرب ـ : "وتطورت الدراسات التاريخية لدى محمد بن عمر الواقدي، فكتابه "المغازي" أو غزوات الرسول وسراياه، يقتصر على الفترة المدنية، ويتمشى بدقة أكثر من ابن إسحاق مع مدرسة المدينة في المادة والأسلوب، فهو منتظم ومنطقي في تناول مادته.

إذ يعرض أولا إطار الموضوع، ثم يعقبه بذكر التفاصيل، ويبدأ بقائمة لمصادره الأساسية، وبقائمة بمغازي الرسول وتواريخها، وحين يذكر الغزوات التي قادها الرسول ﷺ يورد أسماء أمراء المدينة في غيابه، ثم يتناول تواريخ الغزوات واحدة بعد الأخرى حسب تسلسلها التاريخي، ويبدي اهتماما خاصا بالتواريخ.

وهو في أسلوبه أكثر دقة من ابن إسحاق، في استعمال الإسناد، وفي تحقيق تواريخ الحوادث، وفي نظرته للشعر، إذ يقبتس منه باعتدال، وفي تقليصه لعنصر القصص الشعبي في مادته، وقد استعمل طريقة الإسناد الجمعي بانتظام تقريبا، ليعطي

[79] انظر مقدمة "مغازي الواقدي" : 31/1 ــ 34، مع التفاصيل عن دراسته.

المواد الأساسية عن كل غزوة، ثم يورد بعد ذلك روايات فردية ليعطي تفاصيل أخرى أو روايات مباينة.

وهذا الأسلوب يدل بوضوح على أن الواقدي يعطي بإسناده الجمعي روايات مدرسة المدينة، ثم يضيف إليها ما وصل إليه.

ويظهر أثر بحوثه الشخصية في المادة الإضافية التي يقدمها، وفي ضبط التواريخ، وفي تقديم إطار أوضح للغزوات، وفي اهتمامه بالتفاصيل الجغرافية التي تتصل بمواقع المعارك.

ثم يضيف الدوري قائلا: وتبدو نظرته النقدية في زيارته لمواقع المعارك ليكمل بذلك مادته، وفي تمحيصه للمواد التي وصلته، وفي بحثه عن وثائق جديدة، وفي إعداد قوائم أوفى للمشاركين في الغزوات، حتى جاء منها بمجموعة طيبة، ويكثر الواقدي من الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تتصل بالحوادث، وفي الحالات المهمة بذكر الآيات ملحقة برواياته، كما في حديثه عن "بدر" و"أحد" و"الخندق"، وبذلك يجعل قصته التاريخية سهلة التسلسل...[80].

د ـ الدكتور أكرم العمري ومغازي الواقدي:

قال أستاذنا أكرم العمري ملخصا كلامه عن الواقدي وكتابه "المغازي" بأسلوب علمي محكم:

"محمد بن عمر الواقدي ـ وهو ضعيف عند المحدثين ـ مع غزارة مادته العلمية، ويقدم أحيانا إضافات على سيرة ابن إسحاق، ويبدي رأيه في الروايات، ويرجح بينها...ولم يقتصر على ما في الكتب، بل تتبع مواضع الأحداث التاريخية بنفسه ووصفها، ولا تصلح مروياته للاحتجاج بها فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة، ولكنها تنفع في وصف تفاصيل الأحداث مما لا يتصل بالعقيدة والشريعة، خاصة إذا لم يخالف

[80] "علم التاريخ عند العرب": ص: 30 ــ 31.

الأخبار الصحيحة، فقد قال الحافظ ابن حجر: ـ وقد حكم عليه بأنه متروك ـ "والواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة، ولا غيره من أهل المغازي، فهو مقبول عند أصحابنا"، وقد انتقى الحافظ ابن حجر من مغازي الواقدي وقال: إنه في نفسه مصدر عند أهل العلم، وأركان معدي المغازي، مما لم يخالف غيره فيه.

والملاحظ في استقراء مغازيه، أنه يسوق روايات كثيرة، من طرق فيها رجال لا نجد لهم تراجم في كتب علم الرجال، وأما الروايات التي ينقلها ابن سعد عن الواقدي فيبدو أنه انتقاها [81]، حيث نجد تراجم رجال الإسناد في كتب علم الرجال، ومعنى ذلك أن أسانيد الواقدي فيها رجال ليست لهم رواية في الحديث، لذلك لم تترجم لهم كتب الرجال، أو أنهم مختلقون وضع أسماءهم الواقدي، أو بعض شيوخه..." [82].

ـ كلمة أخيرة:

ومما تجدر الإشارة إليه بعد هذه النبذة عن كتاب المغازي للواقدي، أن ابن سعد ـ رحمه الله ـ استفاد حقا استفادة عريضة من كتاب شيخه ومنهجه فيه، فهو يمشي وراءه بخطوات ثابتة في عرضه للمادة العلمية، وتنظيمه، وأسلوبه، وسلاسة تعابيره، ووثوقه بعلمه، وعدم التردد في إبداء رأيه وترجيحه، بل يمشي وراءه حتى في طريقة سياق الأسانيد بمختلف الأشكال الموجودة عنده، ويمكننا مع هذا أن نقول: إن ابن سعد قد فرغ مغازي شيخه الواقدي ومنهجه فيه في فصول المغازي والسرايا، حتى كاد أن يطغى على حصص مصادره الأساسية الأخرى في المغازي." ولا غرابة في كثرة مرويات ابن سعد عن شيخه، إذا أخذنا في الاعتبار طول ملازمته له، وكتابته عنه، واجتماع كتبه عنده، واتحاد التخصص والإهتمام العلمي بينهما" [83].

---

[81] قلـــت: ما قاله أستاذنا ـــ حفظه الله ـــ صحيح، ويمكن الاستئناس له بقول الذهبي ـــ رحمه الله ـــ : "ويقولون إن ما رواه عنه كاتبه في الطبقات، هو أمثل قليلا من رواية الغير عنه". انظر: " السير": 464/9.

[82] "السيرة النبوية الصحيحة": 61/1.

[83] مقدمة (ط5 من الصحابة) محمد بن صامل: 33/1.

وليس معنى هذا أن ابن سعد يقلد الواقدي في كل شيء ومن جميع الوجوه، بل إنه ينفرد عنه في كثير من المسائل، وببحوث شخصية إضافية خاصة، وبآراء نقدية مستقلة.

3 ـ رواة الواقدي في المغازي:

لقد أشرت فيما سبق أن الواقدي قدم قائمة ـ في بداية كتاب المغازي ـ بالرواة الذين تحمل عنهم المغازي والسرايا والأحداث، فبلغوا خمسة وعشرين راويا، لكن ابن سعد عند ما أراد استخدام كتاب المغازي الذي تحمله عن شيخه، لم يبق على القائمة كما هي، وإنما انتخب منها بعضا من الرواة بلغوا عشرة، وذكر راويا آخر، تمام أحد عشر، لكنه غير موجود ضمن قائمة الواقدي، فهل غفل الواقدي عن ذكره، أو سقط من المطبوع[84].

وفيما يلي تعريف مختصر بكل شيوخ الواقدي حسب انتخاب ابن سعد في طبقاته:

1 ـ عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي[85]: ترجمه المزي والذهبي والحافظ فيمن اسمه "عمرو".

وقال الحافظ: ذكره ابن حبان فيمن اسمه عمر، من كتاب الثقات، وذكره ابن أبي حاتم أيضا فيمن اسمه: عمر، وقال أبو داود في كتاب "التفرد"، الصواب: عمر.

قلت: وكذا ترجمه البخاري فيمن اسمه عمر.

روى عن : سلمة بن عبد الله بن عمرو بن أبي سلمة، وجده عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع.

روى عنه: زيد بن الحباب، ومحمد بن عمر الواقدي.

---

[84] انظر "مغازي الواقدي" : 1/1 ـ 2، وقارن ب"الطبقات": 5/2.

[85] "تاريخ البخاري": 178/6، "الجرح والتعديل" : 124/6، "ثقات ابن حبان" 179/7. "تهذيب الكمال" : 151/22، "الكاشف" : 290/2، "تهذيب التهذيب": 78/8،" تقريب التهذيب": 75/2 وغيرها.

لم يذكر فيه البخاري ولا ابن أبي حاتم جرحا ولا تعديلا، وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال فيه الذهبي: وثق. أما الحافظ فقال: مقبول.

2 ــ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي[86]، وهو أبو محمد المدني. (ت 151هـ).

روى عن : أبيه، وعبد الرحمن بن أبان.

وعنه: عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وعبد الله بن نافع الصائغ، وموسى بن عبيدة الربذي.

قال ابن سعد: مات سنة إحدى وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر، وهو ابن سبعين سنة، وكان كثير الحديث، وله أحاديث منكرة[87] .

وضعفه ــ أيضا ــ غير واحد من الحفاظ، فقال يحيى بن معين: ضعيف الحديث، وقال مرة أخرى: ليس حديثه بشيء[88].

وقال البخاري: حديثه مناكير. وضعفه أيضا الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي[89]. وقال أبو زرعة الرازي: منكر الحديث، وقال أيضا: واهي الحديث جدا[90] .

وضعفه أيضا من المتأخرين الذهبي، وقال الحافظ: منكر الحديث.

---

(86) "تاريخ ابن معين" : 596/2، "التاريخ الكبير": 295/7، "ضعفاء العقيلي": 169/4،" الجرح والتعديل": 159/8، "الكامل" لابن عدي: 2342/6، "الكاشف": 166/3، "تهذيب التهذيب": 368/10، "تقريب التهذيب" : 287/2، وغيرها، انظر مصادر ترجمته في "تهذيب الكمال" : 139/29 ــ 140. "

(87) " الطبقات" (ق م لتابعي أهل المدينة) ص: 396.

(88) "سؤالات ابن الجنيد عنه" ص: 164.

(89) انظر: "الجرح والتعديل"، و"تهذيب الكمال".

(90) انظر "الجرح والتعديل"، وأبا زرعة الرازي ص: 424.

3 ـ محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري[91](ت 157هـ).

روى عن: أبيه عبد الله بن مسلم الزهري، وعمه ابن شهاب الزهري كثيرا، وصالح بن عبد الله بن أبي فروة[92] .

روى عنه: معن بن عيسى، والواقدي، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد، والقعنبي وآخرون[93] .

ضعف أمره أبو حاتم فقال: ليس بقوي، يكتب حديثه.

وكذا يحيى بن معين فقال: ضعيف. وقال أيضا: ليس بذاك القوي، وفي رواية ثالثة لابن معين: مشاه، وقال: صالح.

وهذا ينسجم مع قول ابن سعد: كان كثير الحديث صالحا، ومع صنيع الإمام أحمد، إذ قوى أمره بقوله: لا بأس به، وفي رواية: صالح الحديث إن شاء الله.

ولذا وثقه أبو داود، وقال: سمعت أحمد يثني عليه، وأخبرني عباس عن يحيى بالثناء عليه[94].

وقال الذهبي: لينه ابن معين، ووثقه أبو داود وعدة[95]،وجزم في مكان آخر بقوله: الإمام العالم الثقة[96].وقال الحافظ: صدوق له أوهام[97] .

---

[91] "الطبقات" (ق م) ص: 453، "تاريخ ابن معين" : 524/2، "علل أحمد" (رواية عبد الله): 489/2، (رواية المروذي) ص: 118، "التاريخ الكبير": 131/1، "الجرح والتعديل": 304/7، وانظر المزيد عن مصادر ترجمته في "تهذيب الكمال" :554/25.

[92] "تهذيب الكمال" و "السير" : 197/7.

[93] "السير": 197/7 وانظر: "تهذيب الكمال".

[94] انظر: "تهذيب الكمال": 558/25، و"السير".

[95] "الكاشف": 57/3.

[96] انظر : " السير".

[97] "التقريب" : 180/2.

4 ــ موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الأســـود[98] (ت بعد 140هـ).

روى عن: أبي الحويرث عبد الرحمن بن معاوية، وأبي حازم الأعرج، وخلق سواهما.

روى عنه: ابن مهدي، وخالد بن مخلد، وغيرهما[99].

وثقه ابن معين في رواية عباس الدوري عنه[100]، وذكره ابن حبان في الثقات.

وضعفه علي بن المديني بقوله: ضعيف الحديث، منكر الحديث، أما النسائي فقال: ليس بالقوي.

وسكت عنه البخاري في"التاريخ"، لكن توسط أبو داود فقال: صالح[101].

وخرج الذهبي بحصيلة من هذه الأقوال فقال: فيه لين [102].

وتبعه الحافظ بقوله: صدوق سيئ الحفظ[103].

5 ــ عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المصور بن مخرمة الزهري، وهو أبو محمد المدني[104] (ت 170هـ).

روى عن: إسماعيل بن محمد بن سعد، وعثمان الأخنسي، ويزيد بن الهاد.

سمع منه: ابن مهدي، وعبد الملك بن عمير، وعبد العزيز بن عبد الله[105].

---

[98] "الطـبقات" (ق م) ص : 423 ، "تـاريخ ابن معين" 597/2، "التاريخ الكبير" :298/7. "الجرح والتعديل ": 167/8، "ضـعفاء النسـائي" ص: 96، "الكاشف" : 168/3، "التقريب" : 289/2، "تهذيب الكمال" : 171/29، وانظر مزيدا عن مصادر ترجمته فيه.

[99] انظر: " الكاشف".

[100] انظر: "التاريخ"، و"الجرح والتعديل".

[101] "تهذيب الكمال".

[102] "الكاشف".

[103] "التقريب".

[104] الطـبقات (ق م) ص: 454، "الـتاريخ الكـبير" : 62/5، "ثقـات العجلي" ص: 252، "الجرح والتعديل": 22/5، "المجروحون" لابن حبان: 27/2، "السير": 328/7، "الكاشف": 62/2، "تهذيب الكمال": 372/14، "التقريب": 406/1.

[105] انظر: "التاريخ الكبير".

قال ابن سعد: "كان من رجال أهل المدينة، كان عالما بالمغازي والفتوى...وكان كثير الحديث صالحا".

ووثقه الإمام أحمد في رواية أبي طالب عنه[106]. ووثقه أيضا العجلي، وقال الإمام أحمد في رواية ابنه صالح: ليس بحديثه بأس.

وقال يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي: ليس به بأس، زاد ابن معين: صدوق، وليس بثبت[107]. وأما البخاري فلم يقل فيه شيئا.

قال الذهبي: "وقد أسرف ابن حبان وبالغ فقال: كان كثير الوهم في الأخبار، حتى روى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات، فإذا سمعها من الحديث صناعته شهد أنها مقلوبة، فاستحق الترك".

قال الذهبي: كيف يترك، وقد احتج مثل الجماعة به، سوى البخاري، ووثقه مثل أحمد"[108]،وقال فيه هو: "صدوق"، وقال الحافظ: ليس به بأس.

6 ــ يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري[109]. كناه أبو حاتم: أبو عبد الله. روى عن أبيه، ومحمد بن عبد الرحمن بن خلاد.

وروى عنه: الدراوردي، وابن أبي فديك، وعبد الله بن إدريس، وزيد بن الحباب.

ذكره البخاري وابن أبي حاتم وسكتا عنه.

7 ــ ربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمي، هو: الهديري، أبو عثمان المدني[110]، (ت154هـ).

---

[106] انظر: "الجرح والتعديل".

[107] انظر: "تهذيب الكمال".

[108] "السير": 329/7.

[109] "التاريخ الكبير" 285/8، "الجرح والتعديل" 160/9.

[110] "الطبقات" (ق م) ص: 396، "تاريخ البخاري ": 289/3، "الجرح والتعديل": 476/3، "ثقات ابن حبان": 301/6، "ثقات ابن شاهين" ص: 86، "المغني في الصعفاء": 230/1، "الكاشف": 238/1. "تهذيب الحافظ": 259/3، "التقريب" 1/ 247، "تهذيب الكمال": 132/9، وانظر: المزي عن المصادر فيه.

روى عن: زيد بن أسلم، وسعد بن إبراهيم، وسهل بن سعد الساعدي مرسلا، روى عنه جعفر بن عون، وعبد الله بن المبارك، وابن أبي فديك، ومحمد بن عجلان وهو من أقرانه، والواقدي وغيرهم[111].

وقال ابن سعد عن الواقدي: "وكان ثقة ثبتا قليل الحديث، وكان فيه عسر"[112].

ووثقه أيضا ابن معين، كما في الجرح والتعديل، ووثقه ابن نمير أيضا.

وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن شاهين في أسماء الثقات، وأورد عن وكيع أنه كان عنده أحاديث حسنة وكان ثقة[113].

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مسعود السجزي عن الحاكم: وسألته عن ربيعة بن عثمان؟ فقال: من ثقات أهل المدينة، ممن يجمع حديثه[114].

وأما أبو زرعة الرازي فلينه قليلا، فقال: إلى الصدق ما هو، وليس بذاك القوي.

وصرح أبو حاتم بأنه منكر الحديث، لكن يكتب حديثه[115].

وأما الذهبي فقد اضطرب رأيه فيه، فمرة قال: صدوق، ثم حكى قول أبي حاتم فيه. ومرة تبنى قول أبي زرعة فيه: ليس بذاك[116]، وأخرى ذكره في الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد، وقال: ثقة، ثم حكى قول أبي حاتم فيه[117].

أما حكم الحافظ عليه: فصدوق له أوهام[118].

---

(111) انظر: المزي في "تهذيب الكمال".

(112) "الطبقات" (ق م) ص: 396، و"تهذيب الحافظ": 260/3.

(113) "تاريخ أسماء الثقات" ص:86.

(114) "سؤالات السجزي للحاكم في الجرح والتعديل" ص:169، واظر: تهذيب الحافظ.

(115) انظر: "الجرح والتعديل" و "تهذيب المزي".

(116) "المغني" : 230/1، "الكاشف" : 238/1.

(117) "معرفة الرواة المتكلم فيهم".. ص: 107.

(118) "التقريب".

(ملاحظة): قد نبهت فيما تقدم أن هذا الشيخ لا يوجد في قائمة الشيوخ التي أوردها الواقدي في بداية كتاب المغازي.

8 ـ إبراهيم بن أبي حبيبة الأشهلي[119]،(ت 168هـ).

قال ابن سعد: وكان مصليا عابدا صام ستين سنة...وكان قليل الحديث.

روى عن: إبراهيم بن أبي أمية، وداود بن الحصين، وموسى ابن عقبة وغيرهم.

روى عنه: إسماعيل بن أبي أويس، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، والواقدي وغيرهم[120].

قال الإمام أحمد: من أهل المدينة ثقة، في رواية أبي طالب[121].

وقال ابن معين ـ في رواية الدرامي ـ: صالح[122].

وفي سؤالات ابن الجنيد قال: ليس به بأس[123].

ويؤكد قول ابن معين الأول، حكاية ابن عدي عنه بقوله: هو صالح في باب الرواية،كما حكي عن يحيى بن معين، ويكتب حديثه مع ضعفه، وضعفه البخاري فقال: منكر الحديث[124]، والنسائي وقال: ضعيف[125].

وقال الدار قطني: متروك[126]، وقال الحافظ: ضعيف[127].

---

(119) "الطبقات" : 412/5، "التاريخ الكبير": 271/1، "الجرح والتعديل" : 83/2، "المجروحون ": 109/1، "ضعفاء العقيلي": 43/1، "الكامل في الضعفاء": 234/1، "تهذيب المزي": 42/2، "الكاشف": 33/1، "تهذيب الحافظ" : 104/1، "التقريب": 31/1.

(120) انظر: "تهذيب المزي" و "الجرح والتعديل".

(121) "الجرح والتعديل"، وانظر التعليق على كلام ابن معين في الحاشية رقم1، فقد أضاف المزي إلى قوله: "يكتب حديثه ولا يحتج به".

(122) المصدر السابق.

(123) ص: 98.

(124) "ضعفاء البخاري" ص: 12، و"النسائي "ص: 11.

(125) المصدر السابق.

(126) "الضعفاء والمتروكون" ص: 112، و"التقريب ": 31/1.

(127) المصدر السابق.

9 ــ عبد الحميد بن جعفر الحكمي الأنصاري، المدني[128]، أبو الفضل ويقال: أبو حفص. (ت 153هـ).

حدث عن : أبيه، ونافع مولى ابن عمر، ومحمد بن عمر ابن عطاء، وسعيد المقبري، وعم أبيه عمر بن الحكم، ويزيد بن أبي حبيب، وجماعة.

وعنه: يحيى القطان، وابن وهب، وأبو أسامة، وأبو عاصم، والواقدي، وبكر بن بكار وآخرون[129].

قال عنه محمد بن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، مات بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة، وهو ابن سبعين سنة.

ولم يختلف قول ابن معين فيه، فقد وثقه في جميع الروايات عنه، تارة بقوله: "ثقة"، وتارة بقوله: "ليس به ـ أو بحديثه ـ بأس"[130].

وأضاف أنه كان قدريا يرى أهل القدر.

وقال الإمام أحمد: ليس به بأس ثقة[131].

ونقل المزي والذهبي عن النسائي قوله: "ليس به بأس". والذي في الضعفاء. "ليس بالقوي"[132].

قال الذهبي: وكان سفيان الثوري ينقم عليه خروجه مع محمد بن عبد الله بن الحسن (العلوي)، وكان من فقهاء المدينة[133].

فمن أجل ذلك كان يضعفه، لكن يحيى بن سعيد القطان كان يوثقه.

---

[128] "الطبقات" (ق م) ص: 400، "تاريخ ابن معين ": 341/2، و"التاريخ الكبير": 51/6، "الجرح والتعديل": 10/6، "الثقات لابن حبان ": 122/7، "تهذيب المزي ": 416/14، "السير" : 20/7." الكاشف" : 133/2، "التهذيب" : 111/6، "التقريب" : 467/1، انظر مزيدا من المصادر في "تهذيب المزي.

[129] انظر: المزيد عن شيوخه وتلاميذه في "تهذيب المزي".

[130] انظر:" التاريخ وسؤالات ابن الجنيد" ص: 44، و "الجرح والتعديل"، وهامش (4) في "تهذيب المزي".

[131] "العلل" لأحمد (رواية ابنه عبد الله) وليس فيه كلمة "ثقة" : 489/2، وانظر: "الجرح والتعديل".

[132] انظر: "تهذيب المزي"، و"السير"، و"الضعفاء" ص: 72.

[133] انظر: "السير".

وسئل عنه أبو حاتم فقال: محله الصدق، وقال ابن حبان في الثقات: ربما أخطأ.

وقال الذهبي في الكاشف، ثقة غمزه الثوري للقدر.

وقال في السير: الإمام، المحدث ، الثقة، وكناه أبا سعيد، ثم قال: احتج به الجماعة سوى البخاري، وهو حسن الحديث.

ولذلك قال في المغني: صدوق[131]، وقلده الحافظ فقال: صدوق. رمي بالقدر وربما وهم.

10 ــ عبد الرحمن بن أبي الزناد (واسم أبي الزناد: عبد الله بن ذكوان) ويكنى عبد الرحمن أبا محمد، وولد سنة المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز(ت 174هـ)[132].

روى عن: ابيه، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وزيد بن علي بن الحسين.

روى عنه: عبد الله بن وهب، وحجاج بن محمد الأعور، وأبو الوليد الطيالسي، وخلق كثير[133].

قال ابن سعد عن الواقدي: كان كثير الحديث، عالما.

وقال عنه هو: كان كثير الحديث ضعيفا، وقال في مكان آخر: كان كثير الحديث، وكان يضعف لروايته عن أبيه.

وقال فيه ابن معين: هو أثبت الناس في هشام بن عروة، لكن قال في التاريخ: لا يحتج بحديثه، وقال أيضا: إني لأعجب ممن يعد في المحدثين: فليحا وابن أبي الزناد[134].

---

(131) 368/1.

(132) "الطبقات" : 415/5 و 324/7، "تاريخ ابن معين": 347/2، "علل أحمد" : 483/2، "التاريخ الكبير" : 315/5، "ضعفاء العقيلي": 340/2، "الجرح والتعديل" : 252/5، "المجروحون": 56/2، "تاريخ بغداد" : 228/10، "التهذيب للمزي ": 95/1، "السير" : 167/8، "الكاشف" : 146/2، "تهذيب الحافظ": 170/6 "التقريب" : 479/1.

(133) انظر: "الجرح والتعديل"، و "تهذيب الكمال".

(134) انظر: "ضعفاء العقيلي".

وضعفه أيضا ابن مهدي، والإمام أحمد، وقال أيضا مضطرب الحديث[135].

قال الذهبي: احتج به النسائي وغيره، وحديثه من قبيل الحسن.

والذي في الضعفاء للنسائي: أنه ضعيف[136].

وقال ابن حبان: كان عبد الرحمن ممن ينفرد بالمقلوبات عن الأثبات، وكان ذلك من سوء حفظه، وكثرة خطئه، فلا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات، فهو صادق في الروايات يحتج به[137].

وقد دافع عنه الذهبي في موضعين، فقال في السير: هو حسن الحديث، وبعضهم يراه حجة[138].

وقال في الميزان: قد مشاه جماعة وعدلوه، وكان من الحفاظ المكثرين، ولا سيما عن أبيه وهشام بن عروة، حتى قال يحيى بن معين: هو أثبت الناس في هشام[139].

أما في المغني فقال: مشهور، وثق، وضعفه النسائي[140].

وختم الحافظ القول فيه، بقوله: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وكان فقيها[141].

11 ــ محمد بن صالح التَّمَّار، هو ابن دينار..أبو عبد الله، المدني،(ت 168هـ)[142]، رأى سعيد بن المسيب.

---

(135) انظر : "علل أحمد" : 483/2، و"ضعفاء العقيلي" و"السير".

(136) "ضعفاء النسائي"ص: 68.

(137) "المجروحون"، وانظر: " السير".

(138) 170/8.

(139) 576/2.

(140) 382/2.

(141) "التقريب": 479/1، وللوقوف على مزيد من الكلام فيه انظر: "تهذيب المزي" و "السير".

(142)"الطبقات" (ق م) ص: 446، "التاريخ الكبير": 117/1، "الجرح والتعديل" : 287/7، "ثقات ابن حبان ": 390/7، "سؤالات البرقاني للدرقطني "ص: 60، "تهذيب المزي" : 377/2، "الكاشف : 47/3، "التهذيب": 225/9،" التقريب" : 2/ 170، وغيرها من المصادر.

وروى عن : أبي حازم سلمان الأشجعي، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعمر بن عبد العزيز، وابن شهاب الزهري، وغيرهم.

روى عنه: ابنه صالح، والقعنبي، والواقدي، وغيرهم.

قال ابن سعد: كان جيد العقل، لقي الناس، وعلم العلم والمغازي. أنا محمد بن عمر، أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال لي أبي: إن أردت المغازي صحيحة فعليك بمحمد بن مصالح التمار. وكان ثقة قليل الحديث[143].

وقال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن صالح، فقال: ثقة، ثقة[144].

ووثقه أيضا أبو داود في رواية الآجري[145]، والعجلي في الثقات[146]، وذكره ابن حبان في الثقات، وأما البخاري فلم يقل فيه شيئا.

وسأل عبد الرحمن أباه عنه فقال: شيخ ليس بالقوي، لا يعجبني حديثه.

وأسرف الدار قطني فقال: متروك[147]، ولهذا أضرب عنه المزي ولم يورد كلامه في التهذيب.

وأنهى الحافظ بقوله فيه: صدوق يخطئ.

وإليك جدولا بيانيا لشيوخ ورواة الواقدي في المغازي، وبيان درجتهم:

---

[143] "الطبقات" (ق م) ص: 446، وانظر: "تهذيب الحافظ" : 225/9.

[144] انظر: "تهذيب المزي" و"تهذيب الحافظ".

[145] المرجعان السابقان، و لم أجد ترجمة محمد بن مصالح في "سؤالات الآجري" .

[146] "ثقات العجلي "ص: 405.

[147] "سؤالات البرقاني" ص: 60.

الواقدي
عمر بن عثمان
موسى بن محمد
محمد بن عبد الله
موسى بن يعقوب
عبد الله بن جعفر
يحيى بن عبد الله
ربيعة بن عثمان
ابن أبي حبيبة
عبد الحميد رمي بالقدر
ابن أبي الزناد
التمار
مقبول
منكر الحديث
صدوق له أوهام
صدوق سيء الحفظ
صدوق
مجهول الحال
صدوق له أوهام
ضعيف جدا
صدوق
صدوق تغير حفظه في بغداد
صدوق يخطئ

من خلال هذه التعاريف المختصرة والجدول البياني لرواة الواقدي في المغازي والسرايا، حسب انتخاب ابن سعد لهم من بين خمسة وعشرين راويا، تبين أنه لم يسلم واحد منهم من غمز أو تليين بنسب متفاوتة.

وهذا يدل على أن الواقدي لم يكن ينتقي الشيوخ الأكفاء في الرواية، كما فعل غيره من المحدثين وأهل الأخبار في عصره، ومن هنا يصدق عليه الحكم بأنه يروي عن كل ضرب، فسبب ذلك هشاشة مصادره، وعدم الارتياح إليها، هذا بالإضافة إلى الطعن فيه في حد ذاته، وعد الركون إليه من قِبل العلماء والنقاد في مادته العلمية، إلا في نطاق محدود وضيق.

وبهذا نعلن أن هذا المصدر غزير المادة العلمية، جم الفوائد، بديع التصنيف، لكن يستفاد منه بحيطة، ويقتبس منه بحذر شديد، ولا يورد في مواطن الاحتجاج، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

"إبراهيم بن محمد بن سفيان"

روايته وزياداته وتعليقاته على صحيح مسلم (*)

[2/1]

د. عبد الله بن محمد حسن دمفو

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

فإن أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل، صحيحا الإمامين البخاري ومسلم، فهما أول من ألف في الصحيح المجرَّد، وشرطهما في إخراج الحديث أشد من شرط غيرهما، ولذلك تلقتهما الأمة بالقبول، ابتداء من علماء عصرهما وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، فكثر الآخذون عنهما، والرواة لكتابيهما، لكن لم تصلنا من روايات الكتابين إلا أشهرها كرواية الفربري عن الإمام البخاري، ورواية ابن سفيان عن الإمام مسلم.

وإن كانت رواية الفربري قد وَجدت اهتماما من العلماء الذين كتبوا حول سند الجامع الصحيح للبخاري، كابن رُشيد السبتي في كتابه "إفادة النصيح"، إلا أنني لم

(*) هذا المقال سبق أن نشره المؤلف في المجلة الإسلامية ـــ العدد: 111. ولأن هذه المجلة لا تصل إلى كثير من البلدان الإسلامية، وخاصة بلدان الشمال الأفريقي، ـــ مع أهمية الموضوعات التي تنشر فيها ـــ فقد استأذنّا المؤلف في إعادة نشر مقاله القيم في "الإلماع"، توسيعا لدائرة الانتفاع به.

أجد مَن كتب حول ابن سفيان وروايته لصحيح مسلم استقلالا، مع أن روايته هي الرواية المعتمدة والكاملة للصحيح، ولذلك استقر في نفسي سد هذه الثغرة في المكتبة الإسلامية، والكتابة حول هذا الموضوع، فوجدت أن جهود ابن سفيان في خدمة هذا الكتاب لم تقتصر على الرواية فقط، بل وُجدت له زيادات وتعليقات عليه، ولذلك جاء البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فبينتُ فيها سبب اختياري هذا الموضوع ومنهجي فيه.

وأما المبحث الأول: فكان حول ترجمة ابن سفيان، جمعتُ فيه ما تفرق من مادة علمية في بطون المراجع، إضافة إلى استنطاق بعض النصوص لاستنباط معلومات جديدة تفيد في الكشف عن جوانب من شخصيته.

وأما المبحث الثاني: فكان حول روايته لصحيح مسلم، وأهميتها، والرد على ما وجِّه إليها من نقد من جهة الفوائت التي فاته سماعها من شيخه مسلم.

وأما المبحث الثالث: فكان حول زياداته على صحيح مسلم، وقدمتُ له بتعريف الزيادات، والفرق بينها وبين الزوائد، ثم ذكرت ما وقفت عليه من الزيادات على كتب السنة، وبينتُ بعد ذلك أهمية الزيادات وفوائدها من خلال زيادات ابن سفيان، ثم أوردتُ نصوصها التي بلغت ثلاث عشرة زيادة مع تخريجها ودراستها.

وأما المبحث الرابع: فكان حول تعليقاته على الصحيح، وعددُ نصوصها ستَّة تعليقات، صَدَّرتها بالفوائد التي أفادتها، مع تخريجها ودراستها أيضا.

وأما الخاتمة: فضمنتها أهم نتائج البحث.

وقد اتبعتُ في البحث المنهج الآتي:

1 ـ لم أدرس من رجال الإسناد إلا ما ورد في زيادات ابن سفيان، وتركت ما جاء في إسناد مسلم؛ لشهرتهم، إلا إذا دعت الضرورة لذلك.

2 ـ اعتمدتُ على كتابي "الكاشف" للذهبي و"التقريب" لابن حجر في بيان أحوال الرواة، خاصة عند اتفاقهما في الحكم، لأنهما ذكرا خلاصة من سبقهما من علماء الجرح والتعديل، وقد اعتمدت مراجع أخرى غيرهما عند الحاجة.

3 ـ لم أحكم على أحاديث الزيادات؛ وذلك لأن أصلها في صحيح مسلم، وقد التقى ابن سفيان معه في شيخه أو شيخ أعلى.

4 ـ استوعبتُ الزيادات التي أوردها ابن سفيان على أحاديث الصحيح المسندة المرفوعة، ولم أتعرض لزيادة ابن سفيان على مقدمة الصحيح(22/1)، وهي في موضع واحد فقط؛ لأنها أثر عن يونس بن عبيد، ولم يخرِّج مسلم أصل هذا الأثر.

5 ـ التزمتُ الرجوع إلى المصادر الأصيلة قدر الإمكان، ولم ألجأ إلى المراجع البديلة إلا إذا لم أقف على المرجع الأصيل.

هذا، وأسأل الله العفو عن الخطإ والزلل، وحسبي أني اجتهدتُ، فإن أصبتُ فمن الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، وأستغفر الله من ذلك، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

ترجمة ابن سفيان

نسبه وولادته:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري[1]، ولم تذكر المصادر سنة ولادته، ويظهر أنها كانت في النصف الأول من القرن الثالث؛ لأن الإمام مسلما رحمه الله، فرغ من كتابة الصحيح سنة خمسين ومائتين، كما ذكر العراقي[2]، ثم أخذ يمليه على الناس حتى فرغ من ذلك لعشر خلون من رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين، كما نص على ذلك ابن سفيان[3]، وعاش ابن سفيان بعد ذلك حتى أول القرن الرابع كما سيأتي.

صفاته:

وصفه النووي بالسيد الجليل، وبأنه أحد الفقهاء في عصره[4]، لكن غلب عليه الوصف بالصلاح والزهد وكثرة العبادة، فقال الحاكم النيسابوري[5]:"سمعت أبا عمرو

---

(1) ترجم له ابن نقطة في "التقييد": 218/1 وما بعده، وابن الصلاح في "صيانة صحيح مسلم" ص: 106، والنووي في "المنهاج": 113/1 ــ 114، وابن الأثير في "الكامل": 68/5، وابن كثير في"البداية والنهاية":140/11، واليافعي في "مرآة الجنان": 2/ 249، والذهبي في "تاريخ الإسلام" ــ (وفيات 301 ــ 320) ص: 228، وما بعدها، وفي "العبر":453/1، وابن العماد في "شذرات الذهب": 252/2.

(2) "التقييد والإيضاح" المطبوع بهامش "مقدمة ابن الصلاح" ص: 14.

(3) "فهرسة ما رواه ابن خير الإشبيلي" ص: 100، وانظر: "صيانة صحيح مسلم" ص: 107، و "المنهاج": 114/1.

(4) "المنهاج": 113/1 ــ 114.

(5) يعني في كتابه "تاريخ نيسابور"، وهو أوفى وأوسع مَن ترجم له، وقد اعتمد عليه مَن ترجم له بعده ممن تقدم ذكرهم، لكن هذا الكتاب لا يزال ــ حتى الآن ــ في عداد المفقود، وليس بين أيدينا إلا تلخيصه لأحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري (لم أقف له على ترجمته، و"لا في المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور" المطبوع في طهران سنة: 1339هـ بتحقيق: ذكتر بهمن كريمي)، وليس فيه إلا الإشارة بأن قبر ابن سفيان بنيسابور. انظر: ص: 145، ولم يترجم عبد الغافر الفارسي =

إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي[6] يقول:"كان إبراهيم بن محمد بن سفيان من الصالحين"[7]، وقال فيه محمد بن أحمد بن شعيب[8]:"ما كان في مشايخنا أزهد ولا أكثر عبادة من إبراهيم بن محمد بن سفيان"[9]، ويظهر أن صحبته لأيوب بن الحسن الزاهد[10] أَثّرت فيه، وأثْرَت هذا الجانب في شخصيته.

كما وصفه محمد بن يزيد العدل[11] بأنه مجاب الدعوة[12]، يعني:لكثرة عبادته.

ولم تقتصر معارفه على الزهد والفقه فقط، فهو معدود في محدثي نيسابور، وكان من أعلم أهل بلده بهذا العلم، كيف لا وهو أكثر تلامذة الإمام مسلم ملازمة له، وأخصهم به، وراوية صحيحه، بل إن روايته أشهر الروايات وأكملها كما سيأتي.

طلبه للعلم ورحلاته:

يظهر أن الإمام ابن سفيان بدأ في طلب العلم على مشايخ بلده نيسابور، فمُعظم شيوخه الذين وقفتُ عليهم نيسابوريون، ثم ارتحل بعد ذلك إلى بعض المراكز العلمية

= (ت529هـ) لابن سفيان في كتابه "السياق لتاريخ نيسابور" ــ مخطوط ــ؛ لأنه ذيَّل على "كتاب الحاكم"، ومن باب أولى أننا لا نجد ترجمته كذلك في "المنتخب من السياق" ــ وهو مطبوع ــ لإبراهيم بن محمد الصريفيني.

(6) ترجم له ابن الجوزي في "المنتظم": 248/14 فيمن مات سنة (366هـ)، ووثقه، كما ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام" ترجمة وافية: (وفيات 351 ــ 380) /ص: 335، وذكر أنه من شيوخ الحاكم.

(7) "التقييد": 219/1.

(8) هو أبو أحمد الشعيبي النيسابوري الفقيه، ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام:" (وفيات: 351 ــ 380)ص: 168، وذكر أنه مات في ربيع الآخر سنة (357هـ)، وله اثنتان وثمانون سنة، كما ترجم له ابن قطلو بغا في "تاج التراجم" ص: 232، وذكر أن الحاكم روى عنه.

(9) "تاريخ الإسلام": (وفيات 301 ــ 320)ص: 229.

(10) ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام": (وفيات251 ــ 260)ص:89، وذكر أن ابن سفيان روى عنه، توفي في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين ومائتين، وكان كبير الشأن ببلده، ولم أقف على من ترجم له غير الذهبي، وقد تصحف في "التقييد" في ترجمة ابن سفيان إلى أيوب بن الحسين.

(11) هو محمد بن يزيد بن عبد الله السلمي النيسابوري، لقبه (محمش)، ذكره ابن حبان في "الثقات": 145/9، وقال: "روى عنه أهل بلده، وكانت فيه دعابة"، وترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام": (وفيات 251 ــ 260)ص: 345، وقال: "كان شيخ الحنفية في عصره بنيسابور بإزاء محمد بن يحيى الذهلي لأهل الحديث"، وذكر أن ابن سفيان روى عنه.

(12) "التقييد": 219/1.

في وقته لتلقي العلم والسماع من مشايخها، فذكر الذهبي أنه رحل وسمع ببغداد، والكوفة، والحجاز[13]، وذكر ابن نقطة أنه ارتحل كذلك إلى الري[14]، وربما كان ذلك في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج، أو عند رجوعه منها، ولم أقف له على رحلة إلى الشام ومصر وغيرهما، ولعله اكتفى بلقاء مَن حضر من علماء هذه الأمصار إلى الديار الحجازية بهدف الحج.

شيوخه:

لم تذكر المصادر التي ترجمت له سوى تسعة من شيوخه، وقد وقفتُ على سبعة عشر شيخا غيرهم روى عنهم ابن سفيان، من بينهم شيوخه الثمانية الذين روى عنهم زياداته على صحيح مسلم، ومن هؤلاء الثمانية ستة شيوخ لم أقف على رواية ابن سفيان عنهم إلا من خلال هذه الزيادات، مما يدل على أهميتها وفائدتها:

أولا: شيوخه الذين ورد ذكرهم في مصادر ترجمته:

1 ـ سفيان بن وكيع[15].

2 ـ عبد الله بن سعيد الكندي، أبو سعيد الأشج[16].

3 ـ عمرو بن عبد الله الأودي[17].

---

[13] "العبر": 453/1، وانظر: "شذرات الذهب": 252/2.

[14] "التقييد": 218/1.

[15] ذكره ابن نقطة، والذهبي في "تاريخ الإسلام"، وهو سفيان بن وكيع بن الجراح، ترجم له ابن حجر في "التهذيب": 109/4، ولخص حاله في "التقريب" ص: 245، فقال: "كان صدوقا، إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل، فسقط حديثه، توفي سنة: 248هـ، روى له الترمذي وابن ماجه، وضعفه الذهبي في "الكاشف": 449/1.

[16] لم ينص ابن نقطة والذهبي على أنه من شيوخه، لكن روى ابن نقطة حديثا من طريق ابن سفيان، عنه: "التقييد": 219/1، وهو من شيوخ الجماعة، رووا عنه في الكتب الستة، ترجم له ابن حجر في "التهذيب": 252/9، وصرح في "التقريب" بتوثيقه ص: 305، توفي سنة: 257هـ، وله جزء حديثي حققه الباحث: خالد الجاسم، بحثا مكملا لمتطلبات الماجستير بجامعة الملك سعود عام: 1415هـ.

[17] ذكره ابن نقطة والذهبي، ترجم له ابن حجر "التهذيب": 298/5، ووثقه في "التقريب" ص: 423، كما وثقه الذهبي أيضا في "الكاشف": 82/2، روى له ابن ماجه، توفي سنة 250هـ.

4 ـ محمد بن أسلم الطوسي[18].

5 ـ محمد بن رافع القشيري[19].

6 ـ محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ[20].

7 ـ محمد بن مقاتل الرازي[21]

8 ـ مسلم بن الحجاج، وهو من أجلِّ شيوخه، وأشهر من أن يُعرَّف به.

9 ـ موسى بن نصر الرازي[22].

ثانيا: شيوخه الذين روى عنهم ابن سفيان في الزيادات على صحيح مسلم:

وقد عرَّفتُ بمن وقفتُ عليه منهم في أول موضع ذكروا فيه:

10 ـ إبراهيم بن بنت حفص: روى عنه النص:(13).

11 ـ الحسن بن بشر بن القاسم: روى عنه النصوص: (1)،(3)،(7)،(8)،(10)،(12).

12 ـ الحسين بن بشر بن القاسم ـ أخو الحسن ـ : روى عنه النص:(10).

13 ـ الحسين بن عيسى البسطامي: روى عنه النص:(13).

14 ـ سهل بن عمار: روى عنه النص:(13).

15 ـ عبد الرحمن بن بشر: روى عنه النصي:ن (2)،(6).

16 ـ محمد بن عبد الوهاب الفراء: روى عنه النص:(4).

---

(18) ذكره ابن نقطة والذهبي، وثقه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان "الجرح والتعديل": 201/7، وترجم له أبو نعيم ترجمة وافية في "الحلية": 238/9 ــ 254، مات سنة 232هـ.

(19) ذكره ابن نقطة والذهبي، ترجم له ابن حجر في "التهذيب": 141/9، ووثقه في "التقريب" ص: 478، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجة، مات سنة 245هـ.

(20) ذكره ابن نقطة وقال الذهبي: "محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ"، ترجم له ابن حجر في " التهذيب": 252/9، ووثقه في "التقريب"ص: 49، روى له النسائي وابن ماجة، مات سنة 256هـ.

(21) ذكره ابن نقطة والذهبي، ترجم له ابن حجر في "لسان الميزان": 388/5، وقال: "تُكلِّم فيه و لم يترك"، ثم ذكر أن هذا الجرح ربما كان لأنه من أصحاب الرأي، وكان إمامهم بالري، مات سنة 248هـ.

(22) ترجم له ابن حبان في الثقات (163/9)، قال:"من أهل الري، وكان من عقلائهم، صدوق في الحديث. ما سنة:263هـ.انظر: لسان الميزان لابن حجر:124/6.

17 ـ محمد بن يحيى الذهلي: روى عنه النصوص:(5)،(9)،(10)،(11).

ثالثا: شيوخ آخرون غير الذين تقدموا:

18 ـ أحمد بن أيوب، أبو ذر العطار النيسابوري[23].

19 ـ أحمد بن حرب بن فيروز الزاهد النيسابوري[24]

20 ـ أحمد بن محمد بن نصر اللباد النيسابوري[25].

21 ـ أيوب بن الحسن النيسابوري[26].

22 ـ رجاء بن عبد الرحيم الهروي[27].

23 ـ العباس بن حمزة بن عبد الله بن أشرس النيسابوري[28].

24 ـ علي بن الحسن الذهلي الأفطس النيسابوري[29].

25 ـ محمد بن أيوب بن الحسن النيسابوري[30].

---

[23] ترجم له الذهبي في: "تاريخ الإسلام"، (وفيات:251ـ 260). ص:36، وذكر أن ابن سفيان روى عنه. مات سنة:258 هـ، و لم أقف له على ترجمة عند غيره.

[24] ترجم له الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد": 118/4، والذهبي في "الميزان":89/1.

[25] ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام" (وفيات 261 ـ 280) ص: 275، وذكر أن ابن سفيان روى عنه، وأنه شيخ أهل الرأي ببلده ورئيسهم، مات سنة 280هـ ، و لم أقف له على ترجمة عند غيره.

[26] ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام" (وفيات 251 ـ 260) ص: 89، وذكر أن ابن سفيان روى عنه، وأنه كان كبير الشأن في بلده، مات سنة 251هـ، و لم أقف له على ترجمة عند غيره.

[27] ترجم له الذهبي في المرجع السابق ص: 125، وابن العديم الحلبي في "بغية الطلب":3626/8، وذكرا أن ابن سفيان روى عنه، وقال الذهبي: "كان من علماء الحديث".

[28] ترجم له ابن عساكر في "تاريخ دمشق":888/8، وذكر أن ابن سفيان روى عنه كما ترجم له الذهبي في"تاريخ الإسلام" (وفيات: 281 ـ 290) وقال: "كان من علماء الحديث، توفي سنة 288هـ.

[29] ترجم له الذهبي في "تذكرة الحفاظ":529/2، وذكر أن ابن سفيان روى عنه، وأن الحاكم قال فيه: "هو شيخ عصره بنيسابور، وأن أبا حامد الشرقي وصفه بأنه "متروك الحديث"، لكنه فسر هذا الجرح في "تاريخ الإسلام" (وفيات:251 ـ 260) ص:211، فقال: "هو متروك يروي عن شيوخ لم يسمع منهم" اهـ. فيحمل الترك هنا على التدليس، مات سنة 251هـ .

[30] ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام" (وفيات: 261 ـ 280) ص:159، وذكر أن ابن سفيان روى عنه، ووصفه بالفقيه، وبأنه كان صالحا زاهدا، مات سنة 261هـ ، و لم أقف له على ترجمة عند غيره.

26 ـ مهرجان النيسابوري الزاهد[31].

تلاميذه:

أما عن تلاميذه، فالظاهر أن كثيرين قد أخذوا العلم عن ابن سفيان، على اعتبار أنه أشهر راوية للصحيح، لكن المصادر لم تذكر لنا منهم سوى القليل، فذكر الذهبي في ترجمته في كتابه تاريخ الإسلام أربعة منهم، ثم قال: وآخرون، وهم:

1 ـ أحمد بن هارون البرديجي[32].

2 ـ عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي، أبو حازم السكوني[33].

3 ـ أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي[34].

4 ـ محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي[35].

---

(31) ترجم له الذهبي في المرجع السابق (وفيات: 231 ــ 240) ص:268، وذكر أن ابن سفيان روى عنه، وأنه بلغ من زهده أنه لا يشرب الماء في الصيف أربعين يوما، مات سنة: 238 هـ، و لم أقف له على ترجمة عند غيره.

(32) هو صاحب كتاب: "طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث" مطبوع، نزيل بغداد ، ترجم له الخطيب في "تاريخه": 194/5 ووثقه، ووثقه الدارقطني قبله، "سؤالات السهمي" ص: 73، قدم على محمد بن يحيى الذهلي بنيسابور فأفاد واستفاد ، "تاريخ الإسلام" (وفيات 301 ــ 330) ص: 55، مات سنة 301هـ.

(33) ترجم له ابن الجوزي في "المنتظم": 38/13، وقال: "كان عالما، ورعا، ثقة، قدوة في العلوم، غزير العقل والدين، مات سنة: 292هـ".

(34) ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام" (وفيات: 331 ــ 350) ص: 386، ووصفه بأنه من أكابر شيوخ نيسابور، ومن المكثرين من كتابة الحديث، ووثقه، مات سنة 347هـ.

(35) هو راوية "صحيح مسلم" عن ابن سفيان، ترجم له ابن الصلاح في "صيانة صحيح مسلم" ص: 107، وعنه نقل النووي في "المنهاج": 113/1، وذكر أن كنيته أبو أحمد، واسمه: محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرويه بن منصور الزاهد النيسابوري الجُلودي ــ بضم الجيم، ومن فتح الجيم منه فقد أخطأ ــ ورجح أنه منسوب إلى سكة الجلوديين بنيسابور الدارسة، ثم نقل عن الحاكم أنه كان شيخا صالحا زاهدا من كبار عباد الصوفية، صحب أكابر المشايخ، ومن أهل الحقائق، وكان يورق ــ يعني ينسخ ــ ويأكل من كسب يده، سمع أبا بكر بن خزيمة ومن كان قبله، وكان ينتحل مذهب سفيان الثوري ويعرفه، مات في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي الحجة، سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وهو ابن ثمانين سنة، وختم بوفاته سماع صحيح مسلم بن الحجاج، وكل من حدث به بعده عن إبراهيم بن محمد بن سفيان وغيره فإنه غير ثقة.

قلت: ومن فوائده على "صحيح مسلم" غير ما تقدم، أن له زيادات على الصحيح يرويها عن شيوخ غير ابن سفيان، وقد تتبعتها فوجدتها أربع زيادات هي كالآتي:

وقد وقفت على خمسة آخرين أخذوا عنه، وهم:

1 ـ إسماعيل بن نجيد السلمي[36].

2 ـ أبو سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم الفقيه[37].

3 ـ 4 ـ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائي وأبوه[38].

5 ـ محمد بن أحمد بن شعيب[39].

أما فيما يتعلق بعلومه ومعارفه، فسيأتي الكلام عليها في مبحثي: "زياداته"، و"تعليقاته على صحيح مسلم".

أ ـــ بعد الحديث 1652 الذي رواه عن ابن سفيان، عن مسلم، عن شيبان بن فروخ. ثم رواه الجلودي عن أبي العباس الماسرجسي، عن شيبان.

ب ـــ بعد الحديث 2425 الذي رواه عن ابن سفيان، عن مسلم، عن قتيبة بن سعيد. ثم رواه الجلودي عن أبي العباس السراج، ومحمد بن عبد الله بن يوسف الدويري، عن قتيبة.

ج ـــ بعد الحديث 2567 الذي رواه عن ابن سفيان، عن مسلم، عن عبد الأعلى بن حماد.. ثم رواه الجلودي، عن أبي بكر بن زنجويه القشيري، عن عبد الأعلى.

د ـــ بعد الحديث 2758 الذي رواه عن ابن سفيان، عن مسلم، عن عبد الأعلى بن حماد أيضا. ثم رواه الجلودي، عن ابن زنجويه، عن عبد الأعلى. وكما ترى فإن المقصد من هذه الزيادات، العلو في الإسناد.

[36] تقدمت ترجمته ص:165.

[37] ترجم له الذهبي في "السير": 430/16، ونسبه: "النيسابوري الحنفي، ويقال له: الجوري"، وذكر أنه سمع من إبراهيم بن محمد بن سفيان، وابن خزيمة، وهو من شيوخ الحاكم، مات في رمضان سنة: 383هـ، عن نيف وتسعين سنة. وقد روى ابن نقطة في "التقييد": 219/1 حديثا من طريقه، عن ابن سفيان.

[38] ترجم لأبي بكر، الذهبي في المرجع السابق: 465/16، وقال: "روى "صحيح مسلم"عن ابن سفيان، رواه عنه أبو مسعود أحمد بن محمد البجلي، وذلك إسناد ضعيف"، ثم فسر ضعف هذا الإسناد بقول الحاكم: "حدَّث بالصحيح من كتاب جديد بخطه، فأنكرتُ، فعاتبني، فقلت: لو أخرجتَ أصلك وأخبرتني بالحديث على وجهه، فقال ـــ يعني الكسائي ـــ: أحضَرَني أبي مجلس ابن سفيان الفقيه لسماع هذا الكتاب، و لم أجد سماعي، فقال لي أبو أحمد الجلودي: قد كنت أرى أباك يقيمك في المجلس تسمع، وأنت تنام لصغرك ، فاكتب الصحيح من كتابي تنتفع به "اهـ. يعني أنه لم يسمع الصحيح من ابن سفيان؛ لكونه كان ينام، ثم سمعه بنزول من الجلودي، وسماعه الأخير هو المعتمد، مات سنة: 385هـ.

[39] تقدمت ترجمته ص: 165.

وفاته:

عاش الإمام ابن سفيان بعد شيخه مسلم أكثر من نصف قرن، حتى وافته المنية ببلدته نيسابور، في شهر رجب، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، كما حكاه الحاكم، وعنه نقل كل من ترجم له ، ودفن بها كما تقدم، رحمه الله رحمة واسعة.

المبحث الثاني

روايته لصحيح مسلم

تبوأ الإمام مسلم مكانة علمية مرموقة في علم الحديث، وترسخت هذه المكانة بعد تأليفه كتابه الصحيح، فحرص أهل العلم على التتلمذ عليه والسماع منه، ولذلك كثر الآخذون عنه، وقد ذكر المزي[40]، والذهبي[41] في ترجمته خمسة وثلاثين من تلاميذه، وزاد عليهما الباحث مشهور حسن سلمان خمسة عشر آخرين[42]،وهو أوفى من ذكر تلاميذه ـ فيما رأيت ـ، وإن كان هذا العدد لا يمثل حقيقة من سمع من الإمام مسلم، فهم أكثر من هذا بكثير.

أما فيما يتعلق برواة صحيحه الذين سمعوه منه، ونقلوه للناس، فهم أقل من ذلك، بدليل أن الضياء المقدسي المتوفي سنة(643 هـ)حينما ألف جزءا في الرواة عن مسلم[43] الذين وقعوا له، لم يزد على عشرة، وربما لأنه التزم أن يورد في ترجمة كل

---

(40) "تهذيب الكمال": 504/27 ــ 505.

(41) "سير أعلام النبلاء": 563/562/12.

(42) "الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح": 229/179/1.

(43) الكتاب مطبوع بدار ابن حزم، ومعه ترجمة الإمام مسلم ورواة صحيحه للذهبي، بتحقيق: عبد الله الكندري، وهادي المري.

راو حديثا بالإسناد المتصل منه إلى هذا الراوي عن مسلم، وهؤلاء هم على ترتيبهم في كتابه:

1 ـ أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري المعروف بابن الشرقي(ت325 هـ).

2 ـ أحمد بن علي بن الحسن النيسابوري، ابن حسنويه المقرئ المعمر (ت350 هـ).

3 ـ أحمد بن حمدون الأعمشي النيسابوري (ت321 هـ).

4 ـ إبراهيم بن محمد بن سفيان ـ موضوع البحث ..

5 ـ عبد الله بن محمد بن ياسين الدوري (ت302 هـ).

6 ـ محمد بن عبد الرحمن السرخسي الدغولي (ت325 هـ)، وهو شيخ ابن حبان، وقد روى في صحيحه حديثا واحدا لمسلم من طريقه[44].

7 ـ محمد بن عيسى الترمذي، صاحب الجامع (ت279 هـ).

8 ـ محمد بن مخلد بن حفص الدوري(ت331 هـ).

9 ـ مكي بن عبدان بن محمد النيسابوري(ت325 هـ).

10 ـ يعقوب بن أبي إسحاق، أبو عوانة الإسفراييني(ت316 هـ).

يضاف إليهم القلانسي راوي رواية المغاربة عن مسلم، وسيأتي الكلام عليها قريبا.

لكن هذا الكتاب مع شهرته التامة، صارت روايته بالإسناد المتصل بمسلم مقصورة على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، غير أنه يروى في بلاد المغرب مع ذلك عن أبي محمد بن علي القلانسي عن مسلم، كما قال ابن الصلاح[45].

وفي هذا يقول النووي: "صحيح مسلم رحمه الله في نهاية من الشهرة، وهو متواتر عنه من حيث الجملة، فالعلم القطعي حاصل بأنه من تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج، وأما من حيث الرواية المتصلة بالإسناد المتصل بمسلم؛ فقد انحصرت طريقه

---

(44) "الإحسان": 135/2 حديث رقم: 407.

(45) "صيانة صحيح مسلم" ص: 106.

عنه في هذه البلدان والأزمان في رواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم، ويروى في بلاد المغرب مع ذلك عن أبي محمد أحمد بن علي القلانسي، عن مسلم[46].

ويفهم من كلامهما انحصار رواية الصحيح بالإسناد المتصل منذ القرن السابع الهجري في روايتين:

الأولى: رواية المشارقة:

وهي رواية ابن سفيان، سميت بذلك؛ لأن رواتها مشرقيون، وهذه شجرة إسنادها كما جاءت عند النووي الذي ترجم لكل رواتها[47]:

مسلم بن الحجاج النيسابوري

↓

إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري

↓

محمد بن عيسى الجُلودي النيسابوري

↓

عبد الغافر الفارسي النيسابوري

↓

محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري

↓

منصور بن عبد المنعم الفراوي النيسابوري

↓

إبراهيم بن أبي حفص الواسطي (سكن نيسابور مدة طويلة)

↓

الإمام النووي

---

(46) "المنهاج": 116/1.

(47) المرجع السابق: 109/1 وما بعدها.

الثانية: رواية المغاربة:

وهي رواية القلانسي، سميت بذلك؛ لأنها وقعت لأهل المغرب، ولا رواية له عند غيرهم، دخلت روايته إليه من جهة أبي عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء القرطبي، وغيره، سمعوها بمصر من أبي العلاء بن ماهان، عن أبي بكر أحمد بن يحيى الأشقر، عن القلانسي[48]، وهذه شجرة إسناد إحدى طرقها التي رواها القاضي عياض شارح صحيح مسلم[49]:

مسلم بن الحجاج النيسابوري

↓

أحمد بن علي القلانسي

↓

أحمد بن محمد الأشقر

↓

عبد الوهاب بن عيسى بن ماهان

↓

محمد بن يحيى بن الحذاء القرطبي

↓

ابنه: أحمد بن محمد القرطبي

↓

الحسين بن محمد الجياني (صاحب تقييد المهمل وتمييز المشكل)

↓

القاضي عياض بن موسى اليحصبي (صاحب إكمال المعلم).

وقد بخلت كتب التراجم بترجمة وافية للقلانسي، فلم أقف على من ترجم له سوى ابن الصلاح في كتابه: "صيانة صحيح مسلم"، الذي بين نسبه وأنه: أبو محمد

---

(48) "المنهاج": 116/1.

(49) انظر: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في "إكمال المعلم"، للدكتور حسين شواط ص: 76.

أحمد بن علي بن الحسن بن المغيرة بن عبد الرحمن القلانسي، وأشار إلى روايته للصحيح كما تقدم في كلام النووي الذي اعتمد كلامه[50].

وهناك أمر آخر يفهم من كلامي ابن الصلاح والنووي المتقدمين، وهو أن الرواية المعتمدة لصحيح مسلم هي رواية المشارقة؛ ولذلك شاعت وانتشرت بين أهل العلم، وغالب من يروي حديثا لمسلم في صحيحه، إنما يدخل من طريق الجلودي، عن ابن سفيان راوي هذه الرواية[51]، حتى علماء المغرب أنفسهم، كالقاضي عياض[52]، وابن بشكوال[53]، وابن رشيد(*)، وغيرهم.

وإنما كان الاعتماد على هذه الرواية؛ لأنها أكمل الروايتين، فرواية القلانسي(المغاربة) ناقصة من آخر الكتاب، وقدَّر العلماء هذا النقص بثلاثة أجزاء[54]، تبدأ من حديث الإفك الطويل، ورقمه: 2770 الذي أخرجه مسلم في كتاب "التوبة"، "باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف"، أي بمقدار ثلاثة وستين ومائتي حديث، على اعتبار عدد أحاديث صحيح مسلم بدون المتابعات:3033 حديث حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، فإن أبا العلاء بن ماهان ـ أحد رواة رواية

---

(50) "صيانة صحيح مسلم" ص: 11.

(51) روى البغوي في كتابه:"شرح السنة" اثنين وعشرين ومائة حديث من صحيح مسلم، انظر أرقامها في كتاب "المدخل إلى شرح السنة "لعلي بادحدح: 797/2 ــ 800، وقد تتبعتها حديثا حديثا فوجدها من الطريق المذكور، ووجدت الباحث وَهِمَ في حديثين لم يخرجهما البغوي من طريق مسلم، وهما برقم: 3657، و 4012، ولذلك جاء العدد عنده أربعة وعشرين ومائة حديث.

(52) روى في كتابه "الشفا" أحد عشر حديثا من "صحيح مسلم"، جميعها من الطريق المذكور. انظر الصفحات: 86 ، 160، 180 ، 232 ، 306 ، 410 ، 512 ، 538 ،568 ، 870 ،891. وحديثين في كتابه "الإلماع" ص:16و 234.

(53) روى في كتابه" الغوامض والمبهمات" واحدا وأربعين حديثا من" صحيح مسلم"، جميعها من الطريق المذكور، انظر الصفحات: 30، 63، ،72 87، 93، 96، 132، 146، 167، 175، 177، 186، 201، 204، 235، 276 ، 285، 325، 346، 377، 400، 428، 431، 456، 475، 489، 511، 563، 575، 593، 628، 694، 697، 740، 744، 814، 817، 824، 828، 856.

(*) روى حديثين فيما طبع من كتابه ملء العيبة، في: (201/3)، و (348/5).

(54) "صيانة صحيح مسلم" ص: 111، و "المنهاج": 116/1.

المغاربة ـ يروي هذه الأحاديث عن أبي أحمد الجُلودي، عن ابن سفيان، عن مسلم[55]، أي أنه يعود إلى رواية المشارقة.

لكن لا يعني هذا طرح هذه الرواية وعدم الاعتداد بها؛ إذ لا تخلو من فائدة، وسنحتاج إليها في الدفاع عن صحيح مسلم، والرد على ما انتقدت به رواية ابن سفيان(المشارقة)، وربما كان الإمام الدارقطني يَحُثُّ أهل العلم على تحمل وسماع هذه الرواية لهذا السبب، فقد قال محمد بن يحيى بن الحذاء ـ أحد رواتها ـ: "أخبرني ثقات أهل مصر أن أبا الحسن علي بن عمر الدارقطني كتب إلى أهل مصر من بغداد: أن اكتبوا عن أبي العلاء بن ماهان كتاب مسلم بن الحجاج الصحيح، ووصف أبا العلاء بالثقة والتميُّز"[56].

النَّقْدُ الذي وجّه إلى روايَة المشارقة والردُّ عليه:

مع أن رواية ابن سفيان هي الرواية المعتمدة كما تقدم، إلا أنها لم تسلَم كذلك من النقد، من جهة وجود أحاديث لم يسمعها ابن سفيان من مسلم، مما قد يعكر على اتصال إسنادها، وأول من تنبه إلى ذلك ـ فيما يبدو ـ الإمام ابن الصلاح، حيث قال:"اعلم أن لإبراهيم بن سفيان في الكتاب فائتا لم يسمعه من مسلم، يقال فيه: أخبرنا إبراهيم، عن مسلم، ولا يقال فيه: قال أخبرنا أو حدثنا مسلم، وروايته لذلك عن مسلم إما بطريق الإجازة وإما بطريق الوجادة[57]، وقد غفل أكثر الرواة عن تبيين

---

(55) "صيانة صحيح مسلم" ص: 111، و "المنهاج": 116/1.

(56) "صيانة صحيح مسلم" ص: 112.

(57) الإجازة هي النوع الثالث من أنواع التحمل بعد السماع والقراءة على الشيخ، وهي على تسعة أنواع كما قال السيوطي، كأن يجيز كتابا معينا لشخص معين... وهكذا، وجمهور العلماء على جواز الرواية والعمل بها.

أمـا الوجادة: فهي النوع الثامن بعد الأنواع المتقدمة إضافة إلى المناولة والكتابة والوصية، وتعريفها: أن يقف الراوي على أحاديث بخط راويها، ولم يسمعها أو يجيزه بها، وهو باب من المنقطع وفيه شوب اتصال. انظر: "تدريب الراوي" للسيوطي: 48/2 ـ 48 ـ 100 ـ 101 بتصرف.

ذلك، وتحقيقه في فهارسهم، وبرنامجاتهم، وفي تسميعاتهم، وإجازاتهم، وغيرها،بل يقولون في جميع الكتاب: أخبرنا إبراهيم، قال: أخبرنا مسلم[58].

ثم بين أن هذا الفوت في ثلاثة مواضع محققة في أصول معتمدة، وهي:

الفائت الأول:

في كتاب الحج، ويبدأ من باب "الحلق والتقصير": حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول اللهﷺ قال:"رحم الله المحلقين"، وينتهي عند أول باب: "ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج": حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول اللهﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر"[59].

الفائت الثاني:

ويبدأ من أول كتاب "الوصايا"، حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول اللهﷺ قال:"ما حق امرئ مسلم..."، وينتهي في كتاب القسامة، باب:"القسامة"، قبل آخر رواية أوردها مسلم في حديث سهل بن أبي حثمة في قصة حويصة ومحيصة[60].

الفائت الثالث:

ويبدأ من كتاب "الإمارة"، أول باب: "الإمام جنة":حديث أبي هريرة، عن النبيﷺ قال: "إنما الإمام جنة..."، وينتهي في كتاب "الصيد والذبائح"، قبل باب: "إذا غاب عنه الصيد ثم وجده"[61].

---

(58) "صيانة صحيح مسلم" ص: 114.

(59) "صحيح مسلم" : 946/2 عند أول حديث رقم: 318 ــ 1301، وحتى 978/2 قبل أول حديث رقم: 425 ــ 1342.

(60) المرجع السابق، من 1249/3 عند أول حديث رقم: 1 ــ 1627، وحتى 1294/3 قبل أول حديث رقم: 6 ــ 1669.

(61) المرجع السابق، من 1471/3 عند أول حديث رقم: 43 ــ 1841، وحتى 1533/3 قبل أول حديث رقم: 1931/9.

ولم أقف على من تعرض لهذه الفوائت بالدراسة، وبيان أنها لا تؤثر في صحة واتصال هذه الأحاديث سوى ما ذكره الدكتور الحسين شواط حيث قال:

"يبعد أن يكون هذا الفائت قد بقي على ابن سفيان إلى حين وفاة مسلم، وذلك لأمور، منها:

أ ـ توفر دواعي تلافي ذلك الفوت وسماعه من مسلم، وذلك لأن الفراغ من سماع الكتاب قد تم سنة 257 هـ، أي قبل وفاة مسلم (ت261 هـ) بحوالي خمس سنوات، فكيف يغفل عن ذلك كل هذه المدة مع وجودهما في بلد واحد.

ب ـ ما نصت عليه المصادر ونوهت به من كثرة ملازمة ابن سفيان لشيخه مسلم، مما يجعل الفرصة سانحة بصفة أكيدة لسماع ما يفوته منه.

ج ـ النص في بعض النسخ على عدم حضور ابن سفيان مجلس السماع لا يمنع سماعه في مجلس آخر بعده.

وعلى فرض تسليم بقاء هذا الفوت فعلا؛ فإن احتمال روايته بطريق الوجادة ضعيف جدا؛ لأن بعض النسخ قد نصت على أنه كان إجازة كما ذكر ابن الصلاح"[62].

وما ذكره ـ حفظه الله ـ فيه وجاهة، لكن لا تعدو كونها أمورا نظرية قائمة على الاجتهاد الذي قد يصيب وقد يخطئ، ولا يمكن أن تتأكد إلا من خلال الجانب التطبيقي العملي، وهذا ما توصلتُ إليه، حيث تتبعتُ روايات العلماء المغاربة لصحيح مسلم للوقوف على من روى أحاديث مسلم من طريق القلانسي، لمعرفة كيفية روايته لأحاديث الفوائت، حتى طُبع مؤخرا كتاب "حجة الوداع" للإمام ابن حزم الأندلسي، فوجدته روى جميع أحاديث مسلم التي ضمنها فيه من طريق القلانسي عن مسلم.

(62) "منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض" ص: 64 بتصرف.

وعددها سبعون ومائة حديث، قال فيها القلانسي: "حدثنا مسلم"، وكان من بينها ثلاثة عشر حديثا من أحاديث الفوائت في رواية ابن سفيان، وهذه قائمة بها:

الرقم المتسلسل	رقم الحديث في كتاب حجة الوداع	رقم الحديث في صحيح مسلم بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
1	131	1335
2	134	1334
3	159	1305
4	174	1308
5	176	1316
6	185	1302
7	186	1307
8	195	1315
9	199	1309
10	201	1313
11	203	1314
12	324	1319
13	335	1211

فثبت من هذا أحاديث الفوائت في رواية ابن سفيان ـ لو سلم بقاؤها ـ قد اتصلت في رواية القلانسي، فاندفع بذلك النقد الذي يمكن أن يوجه إليها، والله أعلم.

المَبحَثُ الثَّالِثُ

زِيَاداتُه عَلى صَحِيحِ مُسلِم

* تعريف الزيادات والفرق بينها وبين الزوائد:

قبل أن أذكر تعريف الزيادات والمراد بها، يستحسن أن أعرض لمصطلح آخر اشتهر عند أهل العلم، وكثر التصنيف فيه، ويَشتبه كثيرا بمصطلح الزيادات، ذلكم هو مصطلح الزوائد.

وقد عرَّف الكتاني كتب الزوائد بأنها:

"الأحاديث التي يزيد بها بعض كتب الحديث على بعض آخر معيَّن"[63].

كما عرف الدكتور خلدون الأحدب علم الزوائد بأنه:

"علم يتناول إفراد الأحاديث الزائدة في مصنف رويت فيه الأحاديث بأسانيد مؤلفه، على أحاديث كتب الأصول الستة أوبعضها، من حديث بتمامه لا يوجد في الكتب المزيد عليها، أو هو فيها عن صحابي آخر، أو من حديث شارك فيه أصحاب الكتب المزيد عليها أو بعضهم، وفيه زيادة مؤثرة عنده"[64].

ويستخلص من التعريفين السابقين عدة نقاط:

أولا: أن المراد بالزوائد أحاديث زائدة في كتاب على كتاب آخر، وهذه الزيادة مطلقة، وقد تكون الزيادة في سند أو متن حديث اشتركا في إخراجه، وهذه الزيادة نسبية.

ثانيا: أن مؤلف الكتاب الذي احتوى على الزوائد، لا علاقة له بمؤلف الكتاب المزيد عليه، فتأليف كل واحد منهما لكتابه استقلالا.

ثالثا: أن إبراز زوائد الكتاب المزيد عليه جاء في فترة متأخرة، ومن إمام متأخر عنهما.

وتتجلى هذه النقاط واضحة في استعراض المؤلفات في الزوائد، وهي كثيرة[65] أقتصر على ذكر بعضها، وهي:

1 ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (ت273هـ):

---

[63] "الرسالة المستطرفة" ص: 17

[64] "علم زوائد الحديث" ص: 12.

[65] انظر: المرجع السابق ص: 49 ــ 62، حيث ذكر تسعة عشر مؤلفا.

يعني على الكتب الخمسة المشهورة (صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي).

ومؤلفه هو الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت840هـ)[66].

2 ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:

وهو زوائد مسندي الإمام أحمد (ت241هـ)، وأبي يعلى الموصلي (ت307هـ)، ومعاجم الطبراني الثلاثة، الكبير والأوسط والصغير (ت360هـ)، على الكتب الخمسة السابقة إضافة إلى سنن ابن ماجه، وهي ما تعرف بالكتب الستة. ومؤلفه هو الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت 807هـ)[67].

3 ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية:

وهو زوائد مسند الطيالسي (ت204هـ)، والحميدي(ت219هـ)، ومسدد(ت228هـ)، وابن أبي عمر(ت243هـ)، وأحمد بن منيع (ت244هـ)، وابن أبي شيبة (ت235هـ)، والحارث بن أبي أسامة (ت282هـ)، وعبد بن حميد (ت 249هـ)[68] على الكتب الستة.

ومؤلفه الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)[69].

هذا فيما يتعلق بالزوائد.

---

[66] طبع الكتاب عدة طبعات، أجودها بتحقيق: موسى محمد على وعزت علي عطية، عن دار الكتب الحديثة بمصر في ثلاث مجلدات.

[67] طبع الكتاب طبعة غير محققة في عشرة أجزاء كل جزءين في مجلد، ويحققه حاليا حسين سليم أسد، وقد أخرج جزءين مطبوعين بدار المأمون، ولما يكمل بعد.

[68] لم يقتصر الحافظ على هذه المسانيد الثمانية، بل ضم إليها ما فات شيخه الهيثمي من مسند أبي يعلى بروايته المطولة في كتابه مجمع الزوائد، حيث إنه اعتمد على الرواية الصغرى للكتاب، وكذلك ما وقف عليه من مسند إسحاق بن راهويه ويقدر بنصف الكتاب، إضافة إلى كتب أخرى إما على سبيل التخريج والمتابعة أو التعليق أو الاستشهاد أو غيرها من الأغراض. انظر: مقدمة التحقيق في طبعة دار العاصمة (85/1 ـ 86).

[69] طبع الكتاب ثلاث طبعات، أجودها تحقيق: مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة الإمام (رسائل ماجستير) بدار العاصمة، عشرون جزءا في عشرة مجلدات، إلا أنه لم يكمل وما طبع من هذه الطبعة يقدر بنصف الكتاب.

أما الزيادات، فلم أقف على من تعرض لها بتعريف يحددها، لكن من خلال النظر في عمل أصحاب الزيادات يمكن أن أقول إنها:

"الأحاديث التي يرويها راوية كتاب ما على مؤلف ذلك الكتاب، إما استخراجا عليه، فيلتقي معه في شيخه أو شيخ أعلى، أو استقلالا بإيراده حديثا مختلفا في سنده ومتنه".

والفرق بينها وبين المستخرجات، أن شرط الزيادات أن تكون من راوية ذلك الكتاب عن مصنفه، في حين أن مؤلفي المستخرجات ليسوا من رواة الكتاب المستخرج عليه.

ثم إنه لا يشترط في ذلك الراوية أن يكون تلميذ المؤلف، بل قد تكون الزيادات من تلميذ أنزل منه.

وحتى يتضح التعريف السابق، أورد ما وقفت عليه من كتب السنة والزيادات عليها:

أولا: مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ):

وعليه زيادتان:

أ- زيادات عبد الله بن أحمد بن حنبل(ت290 هـ) راوية الكتاب عن أبيه، على مسند أبيه[70].

ب - زيادات أبي بكر أحمد بن جعفر القطيعي (368هـ) راوية الكتاب عن عبد الله ابن أحمد، عليه[71].

---

[70] ذكرها الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار عن الأسفار في مواضع منها (145/1)، والذهبي في"السير"(75/11)، وابن حجر في "فتح الباري" في مواضع منها(240/1)، وفي أطراف "المسند"(170/1)، وفي" إتحاف المهرة "في مواضع منها(262/1)، وقد أفرد هذه الزيادات بالترتيب والتخريج والتعليق د. عامر حسن صبري في كتابه: "زوائد ـــ هكذا ـــ عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند"، وهو مطبوع.

[71] انظر الكلام على زياداته في كتاب الدكتور عامر صبري المتقدم (ص: 118 ـــ 119) وتعقُّبه على من أنكر وجودها، غير أنه قال: لا يوجد للقطيعي أحاديث عن غير عبد الله سوى حديث واحد، وخالفه الدكتور زهير الناصر في مقدمة تحقيقه أطراف المسند (61/1 ـــ 62)، فذكر أنها أربعة أحاديث، ثم ساقها.

ثانيا: فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل:

وعليه زيادتان:

أ ـ زيادات عبد الله بن أحمد، راوية الكتاب على أبيه.

ب ـ زيادات أبي بكر القطيعي، راوية الكتاب عن عبد الله، عليه[72].

ثالثا: كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل:

وعليه زيادات ابنه عبد الله بن أحمد ـ راوية الكتاب ـ على أبيه[73].

رابعا: كتاب الزهد للإمام عبد الله بن المبارك(ت181هـ).

وعليه ثلاث زيادات:

أ ـ زيادات الحسين بن الحسن المروزي(ت 246هـ) ـ راوية الكتاب برواية المشارقة على ابن المبارك[74].

ب ـ زيادات يحيى بن محمد بن صاعد (ت 318هـ) ـ راوية الكتاب عن الحسين المروزي ـ عليه[75].

ج ـ زيادات نعيم بن حماد (ت 228هـ) ـ راوية الكتاب برواية المغاربة ـ عل ابن المبارك[76].

خامسا: كتاب البر والصلة للإمام عبد الله بن المبارك:

---

(72) ذكر هاتين الزيادتين شيخ الإسلام ابن تيمية في "منهاج السنة النبوية":(399/7)، وقال: "ثم إن هذا الكتاب "فضائل الصحابة" زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم القطيعي الذي رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة. وانظر: مقدمة محقق الفضائل:41/1.

(73) ذكرها الحافظ ابن حجر في "الفتح": 497/9 فقال: "وصله عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد".

(74) ذكرها الحافظ العراقي في "المغني" عن "حمل الأسفار": 1067/2، والحافظ ابن حجر في "الفتح": 458/11، وفي "المجمع المؤسس": 36/2 وانظر الكلام عليها وعلى باقي زيادات الزهد لابن المبارك في مقدمة محقق الكتاب ص: 25.

(75) ذكرها الحافظ العراقي في "المغني" عن "حمل الأسفار": 961/2، والحافظ ابن حجر في "المجمع المؤسس": 36/2.

(76) ألحقها محقق الكتاب في آخر الكتاب بعد صفحة 564، وأخذت ترقيما جديدا من ص: 1 ــ 131.

وعليه زيادات الحسين بن الحسن المروزي - راوية الكتاب - على ابن المبارك[77].

سادسا: صحيح الإمام البخاري(ت256هـ):

وعليه زيادات محمد بن يوسف الفربري(ت320هـ) راوية الكتاب عن البخاري، عليه[78].

سابعا: صحيح الإمام مسلم(ت261هـ).

وعليه زيادتان:

أ - زيادات أبي إسحاق إبراهيم بن سفيان - راوية الكتاب عن مسلم - عليه، وهو موضوع البحث.

ب - زيادات أبي أحمد محمد بن عيسى الجلودي(ت368هـ) - راوية الكتاب عن ابن سفيان - عليه[79].

ثامنا: سنن أبي داود سليمان بن الأشعث(ت 275هـ).

وعليه زيادات أبي سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي (ت 341هـ) - أحد رواة الكتاب عن أبي داود - عليه[80].

---

(77) ذكرها الحافظ ابن حجر في "الفتح": 546/13، ويرى الدكتور محمد سعيد بخاري أنه كتاب مستقل للحسين المروزي، وليس زيادات على كتاب ابن المبارك انظر: مقدمة تحقيقه لكتاب "البر والصلة" ص: 7، وما بعدها، ولكن نص الحافظ ابن حجر في الموضع السابق يفيد أنه زياداته عليه حيث قال: "وروايتهم في زيادات البر والصلة للحسين بن الحسن المروزي".

(78) لم أقف إلا على موضع واحد في الصحيح زاد فيها الفربري إسنادا على أسانيد البخاري، وذلك في الحديث رقم: 100، وقال فيها الحافظ ابن حجر "هذا من زيادات الراوي عن البخاري في بعض الأسانيد وهي قليلة". "فتح الباري": 195/1.

(79) تقدم في ترجمة الجلودي أنها أربع زيادات، وقد ذكرتها وأوردت مواضعها.

(80) ذكرها ابن خير الإشبيلي في فهرسته ص: 106 فقال: "وحدثني بالزيادات التي زادها فيه أبو سعيد بن الأعرابي من روايته عن شيوخه..."، وقال ابن حجر في "التهذيب": 287/1 في ترجمة إسماعيل بن محمد بن أبي كثير: (وروى عنه أبو داود في رواية ابن الأعرابي، ولعله من زيادات ابن الأعرابي؛ فإنه ذكر إسماعيل هذا في معجم شيوخه). قلت: يؤيده أن المزي والذهبي وابن حجر في "التقريب لم يترجموا له.

تاسعا: سنن محمد بن يزيد بن ماجه (ت 275هـ):

وعليه زيادات أبي الحسن علي بن إبراهيم بن القطان (ت345هـ) ـ راوية الكتاب عن ابن ماجه ـ عليه[81].

عاشرا: القدر لعبد الله بن وهب (ت197هـ):

وعليه زيادات أبي بكر محمد بن إسماعيل الوراق (ت 378) ـ راوية الكتاب عن أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، عن أبي جعفر أحمد بن سعيد المصري، عن ابن وهب[82].

الحادي عشر: كتاب الطهور للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ).

وعليه زيادات أبي بكر محمد بن يحيى المروزي(ت 298هـ) ـ راوية الكتاب عن أبي عبيد ـ عليه[83].

الثاني عشر: كتاب عوالي مالك لأبي أحمد محمد بن أحمد الحاكم الكبير (ت 378هـ):

وعليه زيادات زاهر بن طاهر الشحامي (ت 522هـ) ـ راوية الكتاب عن أبي سعد محمد بن عبد الرحمن الكنجروذي، عن الحسن بن أحمد السمرقندي، عن الحاكم ـ

---

[81] ذكرها الذهبي في ترجمة أبي الحسن في "تاريخ الإسلام" وفيات 331 ــ 350 ص: 331 فقال: (قد علا في سنن ابن ماجه أماكن) يقصد في زياداته. وقد أفردها شيخنا الأستاذ الدكتور مسفر بن غرم الله الدميني ــ حفظه الله ــ ببحث مستقل بعنوان: "زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجه"، وقدم لها بدراسة موجزة عنها، فانظره .

[82] ذكرها الحافظ ابن حجر في "المجمع المؤسس": 303/1، وقد جاء على غلاف كتاب القدر سنده، وفيه: كتاب "القدر" للإمام عبد الله بن وهب ... رواية أبي بكر محمد بن إسماعيل الوراق، عنه (أي عن أبي بكر السجستاني)، وفيه زيادة عنه شيوخه. ولذلك ميزها محقق الكتاب الدكتور عبد العزيز العثيم ــ رحمه الله ــ بوضع حرف (ز) قبل الحديث . انظر : مقدمة المحقق ص: 38 ــ 48.

[83] ذكرها الحافظ ابن حجر في "المجمع المؤسس": 384/1، وقد ميزها كذلك محقق كتاب "الطهور" مشهور حسن سلمان في مقدمة التحقيق، ذاكرا إحصاء بها وبأرقامها. انظر: المقدمة ص: 61.

على كتاب الحاكم[84].

الثالث عشر: كتاب نزهة الحفاظ للإمام أبي موسى محمد بن عمر المديني (ت 581هـ):

وعليه زيادات أبي عبد الله محمد بن مكي الأصبهاني(616هـ) - راوية الكتاب عن أبي موسى المديني - عليه[85].

وبعد:

فهذا ما وقفت عليه من الزيادات على كتب السنة،وربما وجدت غيرها لم أتمكن من الوقوف عليها، وعلى أي حال فإن فيما ذكرت كفاية لإثبات ما تقدم ذكره من التفرقة بين الزوائد والزيادات، وأن شرط الزيادات أن تكون من راوية الكتاب عن مؤلفه أو من راوية أنزل،وعليه فإن التعبير عنها بمصطلح "الزوائد" غير صحيح.

أهمية معرفة الزيادات:

تكمن أهمية معرفة الزيادات وتمييزها عن أحاديث الكتاب المزيد عليه في كونها ليست على شرط صاحب الكتاب الأصلي من حيث صحة الأحاديث أو ثقة الرواة، أو يظن أن أحد رواة الزيادات من رجال الكتاب المزيد عليه وليس كذلك، فيقع الوهم واللبس، وقد وقع في ذلك الإمام أبو مسعود الدمشقي، حيث ذكر الحافظ ابن حجر في "التهذيب": 224/2 في ترجمة الحسن بن بشر السلمي، أن أبا مسعود قال في الأطراف في حديث عائشة مرفوعا: "كان رسول الله ﷺ يعجبه الحلواء والعسل": (إن

---

[84] ذكرها الحافظ ابن حجر في "المجمع المؤسس": 240/2، وفي "المعجم المفهرس" ص: 349، وقد ألحقها محقق مجموعة عوالي مالك، محمد الناصر بعد أن أورد عوالي الحاكم الكبير. انظر: "العوالي": 327/1 ــ 270.

[85] ذكرها الحافظ ابن حجر في "المجمع المؤسس": 428/2.

مسلما رواه عن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر، ثلاثتهم عن أبي أسامة).

ثم تعقبه الحافظ بقوله: "والذي في الأصول من الصحيح: حدثنا أبو كريب وهارون بن عبد الله قالا: ثنا أبو أسامة، ليس فيه الحسن بن بشر، لكن قال فيه إبراهيم بن سفيان ـ الراوي عن مسلم ـ عقب هذا الحديث: حدثنا الحسن بن بشر، ثنا أبو أسامة مثله، فهذا من زيادات إبراهيم وهي قليلة جدا".

ولذلك قال في التقريب أيضا(ص: 159): "صدوق، لم يصح أن مسلما روى عنه، وإنما روى عنه أبو إسحاق بن سفيان الراوي عن مسلم مواضع علا فيها إسناده".

فالحسن إذا ليس من رجال مسلم، وليس على شرطه.

ومن الوهم الذي يقع للباحثين نتيجة عدم تميز هذه الزيادات، جعل الشيخ تلميذا والتلميذ شيخا، وهو ما وقع فيه جامعو كتاب"المسند الجامع" في 233/3 عند تخريجهم حديث بريدة بن الحصيب مرفوعا: "كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية..."، الحديث فقالوا: (وأخرجه مسلم قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء...).

فإبراهيم هذا هو ابن سفيان الراوي عن مسلم، وإسناده هذا من زياداته على صحيح مسلم.

وقد تنبه إلى مثل ما تقدم شيخنا الأستاذ الدكتور: مسفر الدميني، حيث قال في مقدمة بحثه "زيادات أبي الحسن القطان" ص:(6 ـ 7):"والناظر في صنيع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي والدكتور محمد مصطفى الأعظمي عند طبع كل منهما للكتاب (يعني سنن ابن ماجه) يجد لبسا في إخراج الكتاب، حيث لم تُمَيَّز الزيادات عن الأصل... قال: وعملهما هذا ـ غفر الله لهما ـ يوهم بعض طلاب العلم أن الجميع من سنن ابن ماجه، وأن تلك الزيادات من معلقات ابن ماجه عن أبي الحسن، بينما الأمر خلاف ذلك، فأبو الحسن القطان تلميذ ابن ماجه وراوية سننه وليس شيخه،

وتلك الأحاديث الواردة في صورة التعليق من زيادات أبي الحسن القطان على كتاب شيخه ابن ماجه، ثم إنها ليست معلقة، بل مسندة له، فربما التقى مع شيخه أثناء الإسناد، وربما استقل بحديث تام بإسناده ومتنه"اهـ.

فوائد الزيادات:

بعد تأمل نصوص زيادات ابن سفيان على صحيح مسلم، يمكن تلخيص ما استنبطته من فوائد فيما يلي:

1 ـ علو الإسناد:

وقد كان العلو بدرجة في جميع نصوص الزيادات الثلاثة عشر، غير أن النص رقم: (5) تميز بموافقة[86] ابن سفيان لشيخه مسلم، حيث روى مسلم الحديث عن عبد الرحمن بن بشر العبدي، عن سفيان بن عيينة، ورواه ابن سفيان تلميذ مسلم كذلك عن عبد الرحمن، عن سفيان.

وهذه الفائدة هي الدافع الأكبر لتأليف الزيادات؛ فإن طلب العلو من الحديث، من علو همة المحدث، ونبل قدره وجزالة رأيه، كما قال محمد بن طاهر المقدسي[87].

2 ـ وصل الرواية التي جاءت عن رجل مبهم في الكتاب المزيد عليه:

وذلك كما في النص: (11)، حيث رواه مسلم في الطريق الثاني عن مبهم، فقال حدثنا ابن أبي مريم.

ومحمد بن يحيى هو الذهلي.

3 ـ بيان متابعة الراوي الصدوق الذي جاء في الكتاب المزيد عليه براو ثقة:

---

[86] الموافقة هي: الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه بعدد أقل مما لو رواه من طريقه. انظر: "تدريب الراوي": 611/2.

[87] مسألة العلو والنـــزول ص: 51.

بسم الله الرحمن الرحيم

نَظَرَاتٌ فِي حَدِيثِ "الْقَصْعَةِ"

[1]

د. ايت سعيد الحسين

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم [من كل أفق] كما تداعى الأكلة إلى قصعتها[1]، قال: قلنا يارسول الله، أمن قلة [بنا] [نحن] يومئذ، قال: [بل] أنتم يومئذ كثير[2] [عددكم] ولكنكم[تكونون] غثاء كغثاء السيل، وليتزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن[3] الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: [يارسول الله]: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا[4] وكراهية الموت[5]".

1 ـ توثيق الحديث، ودراسته رواية ودراية واستدلالا:

الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام ـ 111/4والروياني في مسنده ـ 427/1 وابن عساكر في "تاريخ دمشق" /330/23/ والطبراني في مسند الشاميين ـ 345/1/ والبغوي في شرح السنة ـ 16/15/.

من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ثني أبو عبد السلام، عن ثوبان.

وهذا الإسناد ضعيف، أبو عبد السلام مجهول الحال، لم يوثقه إلا ابن حبان.

---

(1) عند أحمد والطبراني : على قصعتها، وعند الروياني"إلى قصعتكم".

(2) عند الطبراني: أكثر.

(3) عند أحمد: "وليجعلن"وعند البغوي ولتعرفن.

(4) عند أحمد: الحياة.

(5) عند الطبراني : الآخرة.

لكن لم يتفرد بالحديث فقد توبع عليه، تابعه أبو عزرة، كما ذكره البخاري معلقا في الكنى من تاريخه الكبير ـ 60/8/ وتبعه على ذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ـ /413/9/ولم أقف الآن على من وصله، وتابعه أيضا أبو أسماء الرحبي، ومتابعته. أخرجها أحمد ـ 278/5/ والطبراني في الكبير ـ 103/102/2/ وأبو نعيم في الحلية ـ 182/1/ وابن أبي الدنيا في العقوبات ـ 62/1.

من طريق مبارك بن فضالة، ثنا مرزوق: أبو عبد الله الحمصي، أنا أبو أسماء الرحبي، عن ثوبان به.

وهذا الإسناد لا بأس به: أبو أسماء الرحبي، اسمه عمرو بن مرثد، وثقه العجلي، وابن حبان، وهو من رجال مسلم.

ومرزوق أبو عبد الله الحمصي، قال ابن معين: "ليس به بأس" ووثقه ابن حبان.

ومبارك بن فضالة، أبو فضالة البصري، اختلفوا فيه بين موثق ومضعف،و الصواب ضعفه لسوء حفظه وتدليسه،وقد صرح بالتحديث في هذا الحديث، فبقيت العلة الأولى، لكنه لم ينفرد به كما سبق.

وهذا الإسناد إذا ضم إلى الأول أفاده قوة، واستفاد منه قوة، لخفة الضعف فيهما، فيرتقي أحدهما بالآخر إلى درجة الحسن لغيره.

*تنبيه: وقع في مسند أحمد المحقق حديث ـ 22296 ـ وغير المحقق" حدثنا ابن المبارك" وهو خطأ محض، وزيادة"ابن" فيه لا معنى له، وإنما هو: "حدثنا مبارك" ـ يعني ابن فضالة ـ ولم يتنبه المحقق لهذا الخطأ، مما يدل على أنه لا يدرس الأسانيد دراسة كافية لاكتشاف ما عسى يقع فيها من الأوهام.

وفي مسند الطيالسي أيضا ـ المنحة " عن أبي فضالة" وصوابه" ابن فضالة ـ يعني مبارك بن فضالة ـ كما سبق.

وله طريق آخر أذكره للاستقصاء لا للاستشهاد، فقد أخرجه الطيالسي في مسنده ـ المنحة ـ 211/1/ وعنه البيهقي في شعب الإيمان ـ 297/7 من طريق أبي الأشهب، عن عمرو بن عبيد التميمي، عن ثوبان موقوفا، وأشار إلا أنه روي عن ابن فضالة ـ مرفوعا.

وهذا الإسناد ساقط، عمرو بن عبيد، هو المعتزلي المشهور، اتهمه بالكذب في الحديث شعبة بن الحجاج، وقال حميد، وابن عون: "يكذب على الحسن البصري".

وقال الفلاس: "متروك، صاحب بدعة".

قلت: وله كلام شنيع في الصحابة، يدل على فسقه، وقلة إيمانه وإن كان زاهدا، فالزهد أنواع: منه زهد رباني ـ وهو المطلوب ـ وزهد شيطاني، ولا إخال عمرو بن عبيد إلا أنه ينتحل هذا النوع الثاني، لأن من وَقُحَ وتكلم في أصحاب رسول اللهﷺ فلاكرامة له، ولا تقبل روايته. وإن كان يصلي على الماء ويطير في الهواء، لأن ذاك من الشيطان، لا من الرحمن، وأيضا فهذا الإسناد مرسل، لأن عمرو بن عبيد لم يلق ثوبان ولا رآه.

هذا، وللحديث شاهد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ذكره البخاري معلقا في تاريخه الكبير ـ 340/4/ووصله الطبراني في الأوسط ـ 105/8/ ثنا محمد بن جابان، ثنا محمد بن غيلان، ثنا مؤمل بن إسماعيل، ثنا عبد العزيز بن مسلم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم عنه به.

وقال: "لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل إلا عبد العزيز، ولاعن عبد العزيز إلا مؤمل، تفرد به محمود".اهـ.

قلت تفرد محمود لا يضره لأنه ثقة، وكذلك تفرد عبد العزيز، لوصَح إسناده، لكنه ضعيف: مؤمل بن إسماعيل العدوي، متكلم في حفظه لكثرة أخطائه .

قال ابن سعد: "ثقة كثير الغلط" وكذلك قال محمد بن نصر المروزي، والدار قطني، وغيرهما.

ومحمد بن سعيد بن جابان الجنديسابوري - شيخ الطبراني - لم أجد ترجمته الآن.

وقد أشار البخاري لخلاف آخر في هذا السند، فقد رواه عيسى بن إبراهيم، عن عبد العزيز بن مسلم، عن ضرار بن عمرو، عن أبي رافع عن أبي هريرة، وخالف بذلك مؤمل بن إسماعيل الذي جعله عن عبد العزيز بن مسلم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي هريرة، ورجح البخاري سند عيسى بن إبراهيم، وليس ذلك بمتعين، لأن عيسى بن إبراهيم - وهو ابن سيار الشعيري - وإن كان صدوقا، فشيخه ضرار بن عمرو الملطي، قال عنه ابن عدي: "منكر الحديث" وقال ابن معين: "ضعيف" وقال مرة أخرى: "ليس بشيء، ولا يكتب حديثه". انظر الكامل - 1420/4/، والجرح والتعديل/465/4/، واللسان/202/3.

هذا حال هذا الإسناد المعلق، ومن دون عبد العزيز بن مسلم، لم أطلع عليه، لأني لم أجد الآن روايته مسندة. والدار قطني - رحمه الله - سئل أيضا عن حديث أبي هريرةهذا- كما في العلل/151/11/- فقال: "يرويه إسماعيل بن أبي خالد، واختلف عنه، فرواه مؤمل بن إسماعيل عن عبد العزيز القسملي، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، والمحفوظ عن إسماعيل موقوفا.اهـ.

قلت : وهذه علة أخرى له، وهي الوقف.

*تنبيه: الزيادة الأولى في متن الحديث، والثانية، والسادسة لأحمد، والثالثة، والرابعة، والسابعة، لأبي داود، والخامسة للروياني.

2 ـ تمهيد في أهمية الدلالة ووظيفتها في ترسيخ المدلول وتوجيهه:

انتقاء اللفظ وتركيبه تركيبا محكما، يؤخذ فيه بعين الاعتبار، دلالة السياق، ودلالة الجوار، ودلالة اللفظ، ودلالة التركيب.

ودلالة اللفظ، لها أثر عميق في توليد الانفعال المطلوب بالخطاب، والانجذاب إليه، والاشرئباب تحقيق اعتقاد مضامينه، والدأب على إبرازها عملا مجسدا في الشهود.

وتأثير اللفظ ـ بما يحويه من قوة دلالته، ورنين جرسه، وإثارته خبء النفوس، وتشويق سامعه إلى محتواه ـ أمر لا ينكر حسه، ولا تجحد بداهته في لغة الضاد، التي عرفت في هذا الذوق السليم مجالا خصبا، وميدانا فسيحا ممتد الأطراف، لا يعرف في أي لسان آخر من ألسن بني آدم.

والبناء المحكم للفكرة الرصينة، يتم من خلال ما اصطفي لها من ألفاظ معبرة، وجمل متنية، تشي بقوة المدلول، ولطافة القالب الذي يكون وعاء لتلك الدلالة، وتتحقق فيه مظروفيتها واستقرارها.

ويتحقق بذلك غرضان أساسيان:

أحدهما دلالة الظرف على مظروفه، والاهتداء به إليه، وتلويحه أو تصريحه بمضمونه، واستيحاء كنهه منه.

والثاني صون المدلول بواسطة ظرفه من الابتذال والامتهان، فلا يستعمل لذاك في غير ما دل عليه، ولا يمطط لينزاح عن حقيقته وجوهره، ولا يحمل أكثر من مفاده.

فتمطيط اللفظ، ولي عنقه ليجود بأكثر مما يتحمل، مسخ له وتشويه لصورته، وخروج به عن مألوفه، وإرغام له على الاستدرار، وإن كان ضرعه جافا، كما أن ابتساره والنأي به عن بعض ما يدل عليه، إجحاف به، ومنقصة له، وقدح في معناه، وكلا الأمرين مذموم.

والحصيف من لم يجاف ولم يقصر، وعنهما معا أو أحدهما، تنشأ أفهام سقيمة، وآراء عليلة، واستنباطات ممجوجة، وفساد عريض ينال الدين و الدنيا، وهل المسلمون يعانون ما يعانون الآن وقبله، إلا من جفاء أو قصور في الأفهام، فالآثار الناجمة عن سوء الفهم، أو فساد التطبيق، تجعل المقدم على الكلام، يحتاط أن يضعه في غير مواضعه أو يحمله على غير محمله.

هكذا البناء الفكري المتوخى منه الاستمرار، وجعله مشرعة للصداة الذين تلفح وجوههم نصاعة الحقائق، وتمس شعاف أفئدتهم بروق هذه الدقائق، مثله مثل البناء المادي الماثل للعيان، في اجتباء ما يناسب كل مرحلة، حتى يصل مداه شامخا يلفت الأبصار، ويؤم للتذكر به والاعتبار، ويختزل في طياته حقائق أشخاص وأزمان مضت، دالا عليها، شاهدا لها أوعليها، حاكيا قوتها وجبروتها، أو عدلها وإنصافها، أو براعتها ومهارتها، أو ضعفها ومهانتها، وخطل توجهها وتوجيهها، وسيء فعالها.

وبناء البشر كيفما كان، جنسا ونوعا، وحذقا وبلادة، وانقباضا وانبساطا، وامتدادا وتقلصا، وسعة وضيقا، لا يخرج عن سنن الاعتبار به، لينتقل الذهن مما أبصره محسوسا إلى مآله وعاقبته، التي تستنبط من الملحوظ المتعدد، فيأخذها العقل كلية سليمة، لتكون له مشكاة يستهدي بها ويقيس عليها.

قال تعالى: ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [آل عمران - 3].

وقال: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف - 12] .

والعبرة تحتاج للأبصار النافذة، والألباب اللاقطة ولا ينشئهما إلا خشية الله ومراقبته في السر والعلن، كما قال تعالى: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [النازعات - 79] .

والوحي بشقيه بناؤه على هذا النحو، إلا أن له خصائص مطردة يمتاز بها عن بناء البشر بنوعيه، فهو كمال لا نقص فيه، وعدل لا جور فيه، وحقائق لا نقص فيها، ومعانيه

تتجدد وتتسع، لتشمل كل كائن بشري، في كل زمان يحويه، و مكان يتربض فيه، لتقوم به الحجة، وتستقيم المحجة، ما وجد أحد يسير على الثرى.

والوحي في ألفاظه، له دلالتان إضافيتان خصوصيتان: دلالة التجدد، ودلالة الاستمرار، فبالأولى تعالج المستجدات، وبالثانية تتحقق الهيمنة والشمولية، المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ [المائدة. 48].

ومن هذا المأتى، فإن ألفاظ الوحي، منزهة عن أن تكون مبتذلة يتلاعب بها من يوجههم داء الهوى، ومن يتفيهق بها، ليلوي أعناقها لتنطق بما يريد هو، لا ما تدل عليه حقا، كما يقع في كلام البشر إما في قصائد شعرية، وإما في مقالات نثرية، فكل يوجهها حسب فهمه، ويؤولها من منطلق نعته ونحلته ومشربه.

وسمة الوحي المطردة، هي عمق الدلالة في لفظ شيق، لا يقف على كنه سره إلا من تأمله ووقف عنده، وأعطاه حظه من النظر والإمعان، وغاص على استخراج ما يوحي به بثاقب نظره، وإجالة فكره.

وأما صاحب اللب الشارد، والحدس العابر، والتأمل المتداعي، فليس في مكنته أن يدرك مراميه ومطامحه، وقصود إشاراته وعباراته، كما قال تعالى: ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق - 37].

فلا بد من قلب واع، يرتبط به سمع حاضر، ليحصل الإدراك المبتغى، والتأثر والتأثير المرتجى.

وقلوب الغافلين في منأى عن هذا، لعلل حجبتها، وآفات استولت عليها من الشهوة والشبهة، فحالت بينها وبين التفقه فيه، والادكار به، فهي تمر به، ولا تنطلي منه بشيء، إلا رنين الأصوات، وأريج العبارات، دون إدراك حقيقتها، ومقصود مهمتها.

وهنا مكن الخطر الذي يولد بلادة الإحساس عن الذكر والتذكر.

وسبب ذلك الإعراض عن التأمل الحصيف، والاستغراق في الاستكناه.

وليس بصحيح ما يروجه المائعون ـ أذناب الاستلاب ، المجتثون من جذر أصل الثقافة العلمية المتأصلة ـ من أن الوحي كتاب مفتوح لكل أحد، له أن يخوض فيه، وأن يأخذ منه ما يريد، فهذا باطل قطعا، وشنيع مبنى ووضعا، فلو كان كذلك لما خص الله في كثير من الآي، ذوي العلم والألباب والفكر، بعقل معانيه، وفهم مراده منه، إذ التعميم يفضي إلى عدم التخصيص، والتخصيص يستلزم عدم التعميم.

واستشهاد هؤلاء الزعانيف على هذه المقدمة المفتراة بقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾ [القمر ـ 32] أشنع وأقذر، إذ جعلوا الوحي حقلا للتجارب، ومأوى لزبالات أفكار، وتصورات أذهان، بلا ضابط ولا رقيب، مع أن أحدهم لو حمل كلامه هو على غير مراده، لتشنج من ذلك وغار، وأرغى وأزبد، وسفه من تأوله على نقيض مقصوده.

فهذا الصنف الأمشاج، تدركه الغيرة على كلام البشر أن ينحى به منحى غير مراد لقائله، ولا تدركه الغيرة على الخوض في كلام الله ورسوله بغير علم، وبدون حواجز، فيجوز فيه معنى ونقيضه، وخواطر وتداعيات لا أزِمَّة لها ولا خُطُم، ويحسب ذلك كله فهما يتحمله النص، ويدخل تحت دلالته.

والآية المذكورة، ليست من تلك البابة بشيء ، بل هي عندهم من باب الاستدلال بالحق على الباطل، ومن صنف: "فويل للمصلين" .

ولو فقه هؤلاء الآية، لعلموا أنها تنفي زَغَلَهُم، وتقذف بزبدهم، وتتأبى عن الخنوع لمأربهم، لأن مدلولها يفيد أن القرآن، ميسر للحفظ وتذكره واسترجاعه بسهولة، وأما الفهم والفقه فيه، فشيء آخر، له فرسانه ورجاله.

قال القرطبي: "ولقد يسرنا القرآن للذكر" أي سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيعانَ عليه.

...وقال سعيد بن جبير: "ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن".

وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظرا..."اهـ..

صحيح أن القرآن مرسل به للجميع، وعلى الكل تدبره وتفكره، ولكن ليس معنى ذلك أن كل من فهم شيئا من القرآن ففهمه مقبول منه، ومحتفى به، ومصيب فيه، وإنما الذي فعله الفاعل أنه أزاح عهدة الإعراض وربقته عن عنقه، وأما أنه أصاب المحز، فشيء آخر.

والأفهام المقبولة في الفرقان، لا بد لها من مواصفات، لا مجال لإنكارها ولا للخوض فيما عداها، ومن ادعى فعليه البيان.

والغرض من هذ الاستطراد، إدراك أن معاني الوحيين عميقة، وليست سطحية يدركها كل من أركض مهره في ميدانها.

فكلام الله ورسوله في قمة البلاغة والفصاحة وتفنن الأساليب، فمن لم يعد لفهمهما زادا كافيا، فأنى له أن يبلغ شأوه منهما.

ولا بد لهما من أدوات خاصة، وممارسة ومِران، ووقوف عند الدلائل والدلالات طويلا، بأناة وصبر وتفكر، لتنجلي حقائقهما، وتنصاع مداركهما للأفهام.

والأفهام السطحية لا تعبر عن حقيقة مرادهما، وإنما تعبر عن انطباع نفسي شخصي، يظنه ظان حقا، والظنون لا ضابط لها تعير به..

قال تعالى ــ حكاية عن الكفار منكري البعث ــ : ﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها، قلتم ما ندري ما الساعة، إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾. [الجاثية/32].

و بناء على المذكور السابق تلويحا وتصريحا، فإن الحديث الشريف الذي بين أيدينا، غصن من تلك الشجرة، وفرع من ذلك المحتد، في فصاحته وبلاغته، ورشاقة

عبارته ومتانتها، واختيار كلماته المستعملة فيه إفرادا وتركيبا، انتقاء يلائم الغرض المعبر عنه، ويحيط به، ويكشف حقيقته، ويجلي خطره، وينبئ بحقائق واقعة، في واقع المسلمين، وأوضاع ملموسة في مسيرتهم التاريخية، على المدكر أن يتعظ بها، وأن يوليها من التأمل ما يستوجبه كل ظرف، ليواجه محنه بها، ويتغلب على عوارضه وصوارفه بهداها.

فما عليك أيها الحب الودود، إلا أن تسلط مرآة البصيرة على هذا النص، لتدرك الأمر بكليته، وتتبدى لك الصورة بكمالها، لتلتقطها بأمانة، وتسعى في أنجع الأدواء لها بإخلاص، فذاك المأمول منك، إحسانا للظن بك، وإن كانت الأخرى، فهي فداحة للأمة ولك، وأمر الله نافذ لا محالة، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

3 ـ موضوع الحديث وأسه ومحوره:

هذا الحديث النبوي الشريف، وصف كاشف لحال الأمة المتدهور، حينما تتخلى عن وظيفتها الأساسية التي وجدت من أجلها، وتجلية للأسباب المؤدية لتلك الذلة والانحطاط، والضعف المقيت، الذي يلف الأمة، وتنغمس في حمأته ومستنقعه على جميع الأصعدة، التي يلحظ فيها انهيار الأمة، المادي والمعنوي، الذي أغري الأعداء بالتكالب والتهافت والانقضاض عليها، لاستلاب ما تبقى بأيديها من موروث حضاري يمكن أن يكون يوما شرارة موقظة من التردي والاستسلام، ويعيد الأمة فاعلة مؤثرة، بعد أن كانت متأثرة مخترقة.

ومن سنن الله الكونية التي لا تحابي أحدا، أنه ما من أمة، تخلت عن أسباب قوتها، والتمكين لها، إلا وهي معرضة للاضمحلال والانحلال، ودوس الأعداء، وإذاقتهم لها أمر المارين، إمعانا في إنهاكها، وانتعاشا بوخزها في مكامن عزها وشرفها وعفتها، تمهيدا لإزاحتها عن وجودها، وقضاء على كيانها ورمز وجودها.

والحقيقة التي تغيب عن البسطاء، ذوي التعقل القصير، هي عدم إدراك العداء الكائن بين الحق والباطل، والكفر والإيمان، والفضيلة والرذيلة، والصدق والكذب.

هذا العداء، مستمر وأزلي، بدأ حين أعلن الشيطان ـ لعنة الله عليه ـ تمرده على الحق الذي خاطبه الله به في سجوده لآدم، وتخلى عن حلية الإيمان، وانحاز إلى رذيلة الكفران، وفارق الفضيلة، وانغمس في الرذيلة، فأصبح بعيْد ذاك حربا على الإيمان وأهله، وعونا للكفر وذويه، وانخرط في معركة لا يخمد أوارها، ولا يتقلص لهيبها إلا ليزداد وينمو، ونشأ عن ذلك حزبان متمايزان:

حزب الرحمن، وحزب الشيطان، وبينهما عراك ومقارعة، وكراهية وشنآن، لتباين طبائعهما، واختلاف مشاربهما، وتضاد مقاصدهما، والناس بين منتم لهذا أو ذاك، وعطوف على ذا أو ذاك، ومعين لهذا على ذاك، ولا أحد من البشر يستطيع أن يتملص من هذا الانتماء، لأنه لا واسطة فيه، ومن ادعى الحياد فهو كاذب، وأول من يكذبه في دعواه، نفسه التي بين جنبيه، إذ يجد في نفسه ضرورة الميل إما إلى الإيمان وإما إلى ضده، ولا يقدر أن يكون فؤاده خاليا من شيء يعتقده، أو شيء يحبه أو يبغضه، فهذا الخلو إنما يتصور في الجماد، لا في العاقل الحي، وكل عاقل له إرادة، والإرادة تستلزم المراد ولا بد، فإما مراده الإيمان وحزبه، أو الكفر وشيعته، ولا يعقل ما سوى ذلك.

فإذا كان الإنسان بالضرورة منتميا لجهة ولا بد، فقد دخل بذلك في معركة الوجود، بمجرد إعلانه هذه الجهة، التي تكون غالبا باختيار وبصيرة، ومن ثم يحاسب الإنسان على هذا الاختيار، فيثاب أو يعاقب.

والرسالات السماوية، والرسل المبتعثة، ما أرسلوا إلا ليحكموا بين فريقي المعركة الدائرة، و يبينوا الرابح من الخاسر، والمنتصر من المنهزم، والغانم من الغارم، معربين بذلك عن حكم ثابت عادل أزلي، حكم الله به بين القريقين في قوله: ﴿ استحوذ

عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ وقال: ﴿ أولئك الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [المجادلة/19ـ22].

وهذا الحكم العادل الصادق، ألب فريق الخاسرين على فريق المفلحين، فحسدوهم على الإيمان ومزاياه، والطاعة وفضائلها، وانبعثوا لقتالهم بكل سلاح يمكن أن يجتثهم من جذورهم، وأن يريحهم منهم، حتى لا يتفردوا بالفضيلة، وغيرهم يتجرع غصص الرذيلة.

والرسول ﷺ حينما عرض لونا من ألوان هذا الصراع بين الفريقين في هذا الحديث، يجسد بذلك هذه الحقيقة التي يغفل عنها المغفلون، ويحلمون بالتقارب بين المتناقضات، والتلاؤم بين المتنافرات، متجاهلين بذلك طبائع الأشياء، ظانين أن الزمان ينال منها، أو يغير من معدنها، ولا يدرون أن الجرْو[6] يبقى جروا ولو رُبي في النعيم، والجعلان تقتله الروائح الزكية، ويتضايق من استنشاقها، ويرتاح بالسليقة للروائح النتنة القذرة، ويشعر بذاته حينما يدهده الخرء بأنفه.

فإدراك حقيقة الصراع، جزء من الانتصار في معركته، وتجاهل حقائق الأشياء، تخبط في طريقة عمياء لا توصل للمقصود، واستهانة بنتائج تلك الأشياء، التابعة لقبحها أو حسنها.

وهذا الحديث يحدد العدو من هو، وماذا يريد من مناوئه، كما لمح لأسباب القوة والضعف، والمعيار الذي ينبغي اعتماده في معرفة ماذا عندك وماذا عند غيرك، وماذا تملك من أدوات الانتصار، وما يحف بك من أسباب الانهزام والانكسار.

---

[6] بتثليث الجيم وسكون الراء المهملة: الصغير من ولد الكلب، والأسد والسباع.

والإنسان غير الرسالي، أو الرسالي الذي في فهمه دخن، يغتر بالمظاهر، ويبني عليها حسابات، سرعان ما تفجؤه بغير مرغوب فيه، فيتحسر لذلك، وقد يموت به كمدا، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

4 ـ غرض الحديث، وفحواه الذي أريد إيصاله للمخاطبين:

وقصد الحديث ومغزاه، هو تحذير هذه الأمة من انهماكها في الأسباب التي تؤدي بها إلى حالة من الضعف، تطمع أعداءها فيها، وتشحذ أسنتهم للتكالب عليها، وتسيل لعابهم على خيراتها، ويرقلون في الظفر بها بلا كلفة، لما يرون من الغثائية التي لا تقف في طريقهم، ولا تنكئ لهم عدوا، ولا تخدش لهم كرامة، ولا تهزم لهم جندا مهيأ لتسديد الرمية إلى مقاتلها، ومدربا على المغامرة في مهامه تحقيق أحلامه، والمجازفة في الوصول لأغراضه.

والتحذير من الشر قبل حلوله، أمر شرعي، منسجم مع الفطرة التي تحتاط فيما تتوقع من مكروه، وتتخذ ما سنح لها من أسباب درئه والفوز عنه.

وفي هذا المضمار، وهذا المتوخى حديثُ حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني " الحديث .."[7]

قال ابن أبي جمرة: "في الحديث حكمة الله في عباده، كيف أقام كلا منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير، ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه، ويكون سببا في دفعه عمن أراد الله له النجاة.."[8].

---

[7] البخاري ب "الفتح" في الفتن ـ 38/11 ـ 39/ومسلم في "الإمارة" : 1475/3.

[8] انظر: "الفتح" : 41/11.

قلت: في الحديث ذكاء وفطنة حذيفة ـ رضي الله عنه ـ حيث تفطن لما لم يتفطن له غيره من السؤال عن الشر، لعلمه بأن الشر يحتاج المرء فيه لأحكام يتعامل بها معه، للخروج منه بالكلية، أو لتقليله وتقليصه إن لم يتخلص منه نهائيا، وهو أولى بالسؤال ، لأن العقول تستغلق عند حدوثه، والأفئدة يطيش صوابها إبان وقوعه، والحركات تتلجلج، والأفهام تنكد، فلا يكاد المرء ـ وهو مستوفز طارت أحلامه ـ يهتدي لصواب الحكم فيه، وخاصة أن أسباب الشر تتداخل، وكثيرا ما تختفي فيه الأسباب الحقيقية، وتفتعل فيه أسباب غير صادقة، فمن حكم فيه بظاهر مايرى، فهو معرض للانزلاق والانحراف فيما حكم به، ولذلك يدق الحكم ويصعب في مواقع الفتن وملابساتها، ومن تأمل كثيرا من الفتن التاريخية، يجد هذه الحقيقة ناصعة، جديرة بالتأمل.

ولاريب أن النبيﷺ أدرى بمخارج الفتن وعلاجاتها والوقاية منها قبل وقوعها، والتخلص منها بعد وقوعها، وقد علَّم أمته كثيرا من ذلك بسؤال وبدونه، وكان لأسئلة حذيفة ـ رضي الله عنه ـ دور كبير في تجلية كثير من حقائق الفتن المدلهمة، التي عصفت بالأمة بعد نبيها ﷺ، فعصمها الله ببيان نبيه لأسس التعامل معها للتخلص منها، وكان سؤال حذيفة سببا في ذلك، فظهر نبله وحذقه، وعمق فقهه وتفوقه على عامة الصحابة.

5 ـ حقائق النص وما فيه من إعجاز بياني وتشريعي:

يتبع في الحلقات المقبلة ـ إن شاء الله ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

"مِنْ أَجْلِ فِقْهٍ رَاشِدٍ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ"

[2/2]

أُصُولُ مَنْهَجِ فِقْهِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

د. الحسن العلمي

منهج فقه السنة النبوية ذو ثلاث شعب، لا بد للناظر في الأحاديث والسنن من مراعاتها، واتباع قواعدها كما علم ذلك من استقراء صنيع السلف في فقه السنن، وهي أصول مترابطة لا يغني بعضها عن بعض:

1ـ فقه السنة روايةً، ومعرفةُ قواعد الاستدلال بالسنن.

2 ـ فقه السنة درايةً لغة وأصولا.

3 ـ فقه السنة تنزيلا.

الأصل الأول: فِقْهُ السُّنَّةِ رِوَايَةً، وَمَعْرِفَةُ قَوَاعِدِ الاسْتِدْلالِ بِالْحَدِيثِ:

والمراد بهذا الأصل معرفة أمهات القواعد الحديثية، التي لها تعلق بإثبات حجية الحديث وسلامته من المُعارض، فإنه لا فقه بغير رواية، فلا يصح الاستدلال بحديث واه ضعيف، أو صحيح معارَض بما هو أقوى منه.

وهذه القواعد مما لا يستغني فقيه ناظر في النصوص عن معرفتها والإحاطة بها، وهو مجال لا ينبغي تجزؤ الاجتهاد فيه، إذ دخل على فقه السنة النبوية من جهة قوم عاطلين من معرفة قواعد الرواية والتصحيح والتضعيف خطأ كثير، وأهم هذه القواعد:

أ ـ اتّباعُ الحديثِ الصّحيحِ:

فإنه لا فقه بغير رواية، ولا رواية بغير دراية. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"[25] ، فلا قيمة لفقه محكم مستنبط من حديث ضعيف أو موضوع، من جنس ما ولع به الوعاظ والقصاص وعوام العباد مثل:

ـ حديث أبي سعيد الخدري "إياكم وخضراء الدمن. قيل وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء"[26] وهو ضعيف. قال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير: "رواه الواقدي من رواية أبي سعيد الخدري، و هو معدود من أفراده، وقد علم ضعفه"[27] .

ـ وحديث: "من أخلص لله أربعين يوما، ظهرت ينابيع الحكمة على قلبه ولسانه"[28].

ـ وحديث: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"[29]، وهو من الأحاديث الشائعة على ألسنة الدعاة.

---

[25] رواه مسلم .

[26] أخرجه القضاعي في "مسند الشهاب": 96/2، والديلمي في "الفردوس بمأثور الخطاب": 382/1، والعجلوني في "كشف الخفاء": 319/1.

[27] "خلاصة البدر المنير": 179/2. قال الحافظ العجلوني في "كشف الخفاء"320/1: "رواه الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي والعسكري في "الأمثال"، وابن عدي في "الكامل"، والقضاعي في: "مسند الشهاب"، والخطيب في: "إيضاح الملبس"، والديلمي من حديث الواقدي عن أبي سعيد مرفوعا، لكن بزيادة: "قيل: وماذا يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء". قال ابن عدي: "تفرد به الواقدي"، وذكره أبو عبيد في: "الغريب"، وقال الدارقطني: "لا يصح من وجه". ومعناه أنه كره نكاح ذات الفساد، فإن أعراق السوء تنـــزع أولادها. وأصله أن النبات ينبت على البعر في الموضوع الخبيث، فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا، إذ "الدمن" جمع "دمنة"، وهي البعر، وأنشدوا:

"وقد ينبت المرعى على دمن الثرى *** وتبقى حزازات النفوس كمـــا هيا"

[28] أخرجه القضاعي في "مسند الشهاب": 285/1. قال العجلوني: (رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن أبي أيوب، وقال في "اللآلئ": "رواه أحمد وغيره عن مكحول.." وأورده الصغاني بلفظ: "من أخلص لله أربعين صباحا نور الله تعالى قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"، وقال: "إنه موضوع). "كشف الخفاء": 292/2..

ـ وحديث: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"[30].

ـ حديث علي عن النبي ﷺ أنه قال: "من ملك زادا وراحلة تبلغه فلم يحج بيت الله، فلا يضره يهوديا مات أو نصرانيا[31].

ويستتبع هذا الأصل: إحكام الفقيه الناظر في سنن رسول الله ﷺ أمور منها:

*** معرفة الحد الأدنى من علم المصطلح الذي لا يعذر الفقيه بجهله، مثل: شروط الاحتجاج بالمرسل، ـ وفي القاعدة تفصيل طويل الذيل يرجع إليه في بابه ـ، وحكم زيادة الثقات.. ونحو ذلك.**

*** معرفة مظان تخريج الأحاديث والسنن، ومناهج العلماء في الرواية والتخريج، والمصنفات في صحة الأحاديث أو ضعفها، ونقد الأحاديث، ككتب التخريج، وكتب العلل ونحوها.**

---

[29] قال العجلوني: "رواه البيهقي عن أنس رفعه بلفظ: "من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم، ومن أصبح وهمه غير الله فليس من الله". وهو عند الطبراني وأبي نعيم. قال في "المقاصد": (وبسطت الكلام عليه في "الأجوبة الدمياطية"). "كشف الخفاء" ج: 2 ص: 368.

[30] أخرجه البيهقي في:"الشعب" عن الحسن مرسلا، وضعفه السيوطي في "الجامع الصغير".

[31] رواه الترمذي في "السنن"، باب ما جاء من التغليظ في ترك الحج"، "تحفة الأحوذي": 456/3، والبزار في "المسند": 87/3 حديث رقم 861 من طريق هلال مولى ربيعة قال: "نا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ أنه قال: من ملك زادا وراحلة.." قال الترمذي: "وفي إسناده مقال"، قال المباركفوري: "وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث". أما هلال بن عبد الله فقال الذهبي في "الميزان" في ترجمته: (قال البخاري: منكر الحديث، وقال الترمذي: مجهول، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه). ثم ذكر الذهبي هذا الحديث من طريقه، ثم قال: "ويروى عن علي قوله، وقد جاء بإسناد آخر أصلح من هذا". انتهى كلا م الذهبي. وأما الحارث، فهو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، كذبه الشعبي ويره تحفة الأحوذي: 457/3. وانظر "الكامل في ضعفاء الرجال": 120/7.

وللحديث طرق أخرى: قال الحافظ في "التلخيص" بعد ذكر هذه الطرق مع ألفاظها: "وله طريق صحيحة، إلا أنها موقوفة، رواها سعيد بن منصور والبيهقي عن عمر بن الخطاب قال: لقد هممت أن أبعث رجالا إلى أهل الأمصار، فينظروا كل من كان له جِدَة و لم يحج، فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين"، لفظ سعيد. ولفظ البيهقي أن عمر قال: "ليمت يهوديا أو نصرانيا، يقولها ثلاث مرات، رجل مات و لم يحج، وعنده لذلك سعة، وخليت سبيله". قلت وإذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل بن سابط، علم أن لهذا الحديث أصلا، و محمله على من استحل الترك. وتبين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع". انتهى كلام الحافظ. "تحفة الأحوذي": 457/3.

*مدى الاستدلال بالحديث الضعيف في الفضائل وشروطه، مع التمييز بين مجال الفضائل ومجال الأحكام، إذْ وقع خلط كبير في هذا الباب، فصار خلق يحتجون بأحاديث واهية فيما ينشئ أحكاما من أبواب فقه العبادات والسلوك، ويعدونها من الفضائل[32]، فأفسدوا بذلك فقه العبادات والسلوك على العوام.

وإنه قبيح بالعالم أن يضني عقله، ويقدح زناد فكره في استخراج فقه يراه محكما، يتمحل له كل سبيل من حديث منكر أو موضوع، مثلما فعل ابن فورك في "تأويل مشكل الحديث"، حيث أطال البحث والنظر في حديث "إن الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا"، في نحو ست صفحات، يبين فيها معانيه، ويخرج وجوه الفقه فيه، مع أنه حديث موضوع لا يلتفت إليه[33].

ومن عجيب ذلك ما قاله المناوي: "وأخذ جمع من الصوفية منه، أن خلوة المريد تكون أربعين يوما، واحتجوا بوجوه أخر، أظهرها "أنه سبحانه خمر طينة آدم أربعين صباحا". وفي "شرح الأحكام" لعبد الحق: "هذا الحديث، وإن لم يكن صحيح الإسناد، فقد صححه الذوق الذي خصص به أهل العطاء والإمداد، وفهم ذلك مستغلق إلا على أهل العلم الفتحي، الذي طريقه الفيض الرباني، بواسطة الإخلاص المحمدي"[34].

---

[32] ومن هذه الأحاديث التي يتساهلون في الاحتجاج بها على أنها من الفضائل، حديث: "من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بسوء، عدلن له اثنتي عشرة سنة عبادة". رواه الترمذي وهو حديث منكر.

[33] ذكره الدارقطني في "العلل": 338/5 حديث رقم 931، قال راوي "العلل": (وسئل عن حديث أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود قال: "إن الله تعالى خمر طينة آدم" فقال: يرويه سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو ابن مسعود موقوفا وهو الصحيح، ومن رفعه فقد وهم). "علل الدارقطني"ج: 5 ص: 338.

[34] "فيض القدير في شرح الجامع الصغير" للحافظ المناوي: 44/6.

ب ـ التأكد من سلامة الحديث من المعارض:

بأن لا يكون الحديث منسوخا، أو معارَضا بما هو أقوى منه دلالة. وهذا يحتاج إلى علم "بقواعد رفع التعارض بين السنن" ومنها:

1 ـ قاعدة فهم السنة بالقرآن والسنة:

وهو ما يسمى بالتفسير الموضوعي للسنة النبوية، وذلك بجمع أحاديث الباب، ومعرفة مخرج كل حديث منها، حتى لا تضرب سنن رسول اللهﷺ بعضها ببعض، ولا ينظر في السنة بمعزل عن القرآن. وقد وقع في تاريخ المسلمين تحريف كثير في فهم الدين بسبب الغلو في فهم السنة بمعزل عن القرآن، أو إفراد القرآن بالنظر والتمسك بظواهره بعيدا عن السنن، كما هو منهج القرآنيين من الخوارج، والعقلانيين المعاصرين.

قال ابن حزم وقد بلغه قول بكر البشري: "إنما ضلت الخوارج بحملها النص على ظاهره" : "وأما قول بكر: إن الخوارج إنما ضلت باتباعها الظاهر، فقد كذب وأفِك، وافترى وأثِم، ما ضلت إلا بمثل ما ضل به هو، من تعلقه بآيات ما، وتركوا غيرها، وتركوا بيان الذي أمره الله عز وجل أن يبين للناس ما نزل إليهم، كما تركه بَكرٌ أيضا، وهو رسول الله ﷺ، ولو أنهم أجمعوا آي القرآن كلها، وكلام النبيﷺ، وجعلوه كله لازما، وحكما واحدا ومتبعا كله، لاهتدوا. على أن الخوارج أعذرُ منه، وأقل ضلالا، لأنهم لم يلتزموا قبول خبر الواحد، وأما هو فالتزم وجوبه، ثم أقدم على استحلال عصيانه، والقول بالهوى بغير علم ولا هدى من الله عز وجل ولا سلطان ولا برهان"[35].

*ومن نماذج هذا الباب:

(35) "الإحكام في أصول الأحكام" لابن حزم: 40/3.

أ ـ الاختلاف في فضل الزرع والغرس:

فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل"[36].

وورد عن جابر بن عبد الله مرفوعا: "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، وما يرزؤه أحد إلا كان له صدقة"[37].

قال النووي: " في هذه الأحاديث فضيلة الغرس، وفضيلة الزرع، وأن أجر فاعلي ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة"[38].

ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم ما يوهم ظاهره ذم الحرث والزرع: فعن أبي أمامة الباهلي " أنه رأى سكة وشيئا من آلات الحرث فقال: سمعت النبي ﷺ يقول:"لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل"[39].

ومثله حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ "مر به وهو يغرس غرسا فقال: ما تصنع يا أبا هريرة قال: أغرس غرسا. فقال رسول الله ﷺ : ألا أدلك على غرس خير لك منه، قلت: ماهو؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة"[40].

---

(36) أخرجه أحمد في "المسند": 3 ص: 191 حديث رقم 13004، وعبد بن حميد في "المسند": 366/1، والمقدسي في "الأحاديث المختارة": 264/7. قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات، وكأنه أراد بقيام الساعة أمارتها، فإنه قد ورد:"إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرزها، فان للناس عيشا بعد". "مجمع الزوائد": 63/4.

(37) أخرجه البخاري في الصحيح: 817/2 كتاب "المزارعة"، باب "فضل الزرع والغرس إذا أكل منه"، حديث 2195، ومسلم في الصحيح: 1188/3 باب "فضل الغرس والزرع"، حديث 1552، وابن حبان: 154/8، والترمذي في "السنن": 666/3، والدارمي في "السنن": 347/2.

(38) " شرح النووي على صحيح مسلم" ج: 10 ص: 213.

(39) أخرجه البخاري في "الصحيح": 817/2 كتاب" المزارعة"،2196.

(40) أخرجه الحاكم في "المستدرك" على الصحيحين: 693/1، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد عن جابر".

فإنه يوهم ظاهره ذم الزرع والفلاحة، ومن نظر في قواعد التعارض والترجيح، يعلم أن هذا الحديث خرج مخرج الذم لمن اشتغل بالأرض بالفلاحة عن أمر الإسلام والدين، وشغله أمر الدنيا عن أمر الآخرة، كما قرر ذلك جمع من أهل الحديث، كأبي سليمان الخطابي والحافظ ابن حجر وغيرهما.

وقد بوب البخاري لحديث أبي أمامة الباهلي بقوله: "باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به"[41]، فدل على أن هذا الحديث وما شاكله، خرج مخرج التنبيه والزجر عن الاشتغال بالزرع عن العبادة وأمر الآخرة.

وفي معناه ورد حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"[42].

ب ـ أَحاديثُ ذَمِّ الدُّنيا ومَدحِها:

وهي مما تواردت فيه النصوص والآثار موهمة للتعارض، فمن ذلك حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله

---

[41] كتاب "السلم".

[42] أخرجه أبو داود في "السنن": 274/3، والبيهقي في "السنن الكبرى": 316/5 حديث 10484. قال الحافظ ابن حجر: "وإسناده ضعيف، وله عند أحمد إسناد آخر أجود وأمثل منه". "الدراية في تخريج أحاديث الهداية": 151/2، في إسناده أبو عبد الرحمن الخراساني، قال البزار "هو عندي إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو لين الحديث". قال ابن القطان في "بيان الوهم والإيهام":"وهذا وهم من البزار، وإنما اسم هذا الرجل:إسحاق بن أسد أبو عبد الرحمن الخراساني، يروي عن عطاء، روى عنه حيوة ابن شريح، وهو يروي عنه هذا الخبر، وهذا ذكره ابن أبي حاتم؛ وليس هذا بإسحاق بن أبي فروة، ذاك مديني ويكنى أبا سليمان، وهذا خراساني ويكنى أبا عبد الرحمن، وأيهما كان فالحديث من أجله لا يصح، ولكن للحديث طريق أحسن من هذا، رواه الإمام أحمد في كتاب "الزهد" عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: أتى علينا زمان وما يرى أحدنا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، ثم أصبح الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم ذلا، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم" انتهى. قال: وهذا حديث صحيح ورجاله ثقات. انظر: "نصب الراية" للزيلعي: 16/4.

وما والاه أو عالما أو متعلما"[43]، وفي معناه قوله تعالى: (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو).

وقد ورد عنهﷺ ما يوهم معارضة هذه النصوص كقوله ﷺ لأنس: "نعم المال الصالح للرجل الصالح"[44]. ومن نظر بعين الإنصاف، علم أن ذلك مما تواردت فيه النصوص والآثار، مدحا لمحاسن المال في حفظ المقاصد، وإقامة الدين، وذما لآفاته من الاشتغال باستصلاح المعاش عن المعاد، والاهتمام بترفيه الأبدان عن طب الأديان.

2 ـ قاعدة فهم مشكل الأحاديث:

وهو ما أشكل ظاهره، وأوحى بنوع تعارض مع القواعد الشرعية العامة، أو أصول العقيدة والإيمان، أو مقررات العقول. وهذا النوع سلك المحدثون في رفع إشكاله بتحكيم أصول الإيمان، ورد ظواهر السنن إلى أصول الشريعة، وما لا يخالف الشرع من مسلمات العقول بما يزيل الإشكال ويرفع التعارض، وغالب ما يظهر ذلك في أحاديث السمعيات ودلائل النبوة وأحاديث الفتن وأشراط الساعة..ومن أجلّ المصنفات في هذا النوع: "مشكل الحديث وبيانه" لابن فورك، وإن زل قلمه فيه في مواضع منه، كالاشتغال بتحمل تأويلات بعيدة لأحاديث ضعيفة وموضوعة، وكتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة رحمه الله. وللعلماء في فهمها وفقهها ضوابط وقواعد، منها:

* ما ورد في حديث مسلم:" يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبش أقرن، فيوضع بين الجنة والنار فيذبح، وينادي مناد من قبل الله: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"[45]، وقد استشكَل هذا الحديثَ بعضُ من حج بعقله من

---

[43] أخرجه الترمذي في "السنن": 561/4 وقال: "هذا حديث حسن غريب"، والدارمي في "السنن": 106/1 وابن ماجة في "السنن": 1377/2 والطبراني في "المعجم الأوسط" ج: 236/4.

[44] أحمد في "المسند":197/4، والبخاري في "الأدب المفرد":112/1، وصحيح ابن حبان:6/8.

[45] أخرجه البخاري: 2024 ومسلم :2849 في "صفة الجنة".

المتبرعين في ادعاء معارضة السنن لمجوزات العقول، ونفى أن يكون ذلك جائزا، لأن الموت عَرَض من الأعراض، فكيف يتمثل جسما يذبح يوم القيامة.

وتعرض الإمام المازري ـ رحمه الله ـ في "المعلم بفوائد مسلم" لرفع الإشكال والتعارض الظاهر فقال:"إن الموت عرض من الأعراض، ولا يبعد أن يقيم الله له مثالا في هيئة كبش، فيذبح للدلالة على انقطاعه وارتفاعه.

* كما ذكر المازري ـ رحمه الله ـ في مثل هذا النوع "حديث الذباب" وقال:" ولا يستدل بكلام الأطباء على تحديث حديث رسول الله، بل لو أنكروه لما حدثناهم وكفرناهم"، ولاشيء يستشكل في هذا الحديث.

ومما يجدر الإلماع إليه في هذا الباب:

1 ـ تَرْكُ تَأْوِيلِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ:

فقد مات أصحاب رسول الله ﷺ وما عرفوا كيفية الاستواء وإن عقلوا المعنى، ولا كيفية النزول.. ولا الإتيان هرولة ولا اليد ولا العين، وما ضرهم ذلك في دينهم شيئا. فأحاديث الصفات نؤمن بها كما جاءت عن رسول الله ﷺ من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. قال الوليد بن مسلم: " سألت الأوزاعي وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقال"أمروها كما جاءت بلا كيف"[46].

وقال سفيان بن عيينة: "كل ما وصف الله به تعالى نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله عز وجل ورسله"[47].

ومن هذا النوع حديث " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة"[48].

---

[46] "شرح السنة" للبغوي: 171/1.

[47] المصدر السابق : 171/1.

[48] أخرجه البخاري في "التفسير" 2048 ومسلم في باب "النار يدخلها الجبارون" 2848.

فالواجب التسليم بهذه الآثار وما شاكلها كما جاءت، وعدم الخوض فيها بشيء، لانقطاع مرامي العقول عن إدراك حقيقة معانيها.

والعجب ممن يفتِئتُ على الله وينكر هذه الصفات وينكر قدرة الله على ذلك، أو يستهزئ بالمحدثين بهذه السنن، ثم ترى بعضهم يقيم الدنيا جلبة ولغطا، ويشغل عقول المسلمين بتآليف من "عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن"، وكان الأولى أن تولى الجهود التي بذلت فيها إلى ما ينفع الناس من النظر في سنن الله في الكون، واستصلاح بناء الإنسان والمجتمع والحضارة.

2 ـ تَحْكِيمُ أُصُولِ الإِيمَانِ فِي تَأْوِيلِ أَحَادِيثِ القَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالمَشِيئَةِ وَغَيرِهَا:

نحو حديث سهل بن سعد قال:"نظر النبيﷺ إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين عناء عنهم، فقال: "من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا"، فتبعه رجل، فقالﷺ : "إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، إنما الأعمال بخواتيمها"[49]، فهذا من مشكلات أحاديث القدر التي لا يفهم المراد منها إلا بالرجوع إلى أصول الإيمان، من أن الأعمال بخواتيمها، وأن علم الله بسعادة العبد أو شقائه لا دخل له في الجبر أو الاختيار، بل كل ميسر لما خلق له، ومرده إلى ما سبق في علم الله، فمهما أشكل شيء من هذه الأخبار وجب رده إلى هذا الأصل.

ومنها حديث أبي هريرة" أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاءه، صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من

[49] متفق عليه.

الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر"[50].

فهذا الحديث مما استشكله بعض المسلمين، وطعن فيه بعض الجهال وأنكروه، لما يوهم ظاهره من تسلط البشر على الملائكة، مع أنها أعلى قدرا، وأكثر قوة ومنعة، وممن أنكره الشيخ محمد الغزالي، وشنع بسببه على أهل الحديث كالنووي والمازري، حيث قال: "إن الحديث صحيح السند، لكن متنه يثير الريبة، إذ يفيد أن موسى يكره الموت، ولا يحب لقاء الله، بعدما انتهى أجله، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة إلى عباد الله الصالحين.. ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمى أو عور، ذلك بعيد، قلت: لعل المتن معلول، فلما رجعت إلى أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل رد الحديث إلحادا.. ثم قلت: والحق أن في الحديث علة قادحة، تنزل به عن مرتبة الصحة، ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافا عقائديا، والعلة في المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفهم السطحي"[51].

ومن نظر بعين الإنصاف علم أن الحديث دليل على واسع قدرة الله تعالى، وليس فيه ما تستشكله العقول، "فإن الملائكة أجسام نورانية تتشكل في أي صورة كما يشاء الله، فلا يبعد عن العقل ماورد به الحديث، وموسى لم يكن من يكره الموت، وإنما لطم الملك لاعتقاده أنه رجل غريب يريد به شرا، والعين المفقوءة كانت عين الصورة التي تمثل فيها، فلما علم أنه ملك الموت أجاب داعي الله، وهو ماقرره شراح الحديث كالمازري والنووي وغيرهما.

---

(50) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب من أحب أن يدفن في الأرض المقدسة، حديث رقم 1192، ومسلم في" الفضائل" حديث رقم 2373، وابن حبان في "صحيحه": 38/8 حديث رقم 190.

(51) "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث": 28 ــ 29.

ج ـ التوقُف عَن تَفسير ما لا يَستقِلُّ العَقلُ بإدراكه:

نحو: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فتوضأ، فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه"[52]. فقد أنكره بعض الملاحدة لسخافة عقولهم، والله يفعل في ملكه ما يشاء.

وقال بعضهم: المراد بالشيطان المكروبات.

ونحو:"إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا... وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا"[53].

فهذه الأحاديث وأمثالها اكتفى الأئمة من السلف بظاهر معانيها، التي دلت عليها لغة العرب، وآمنوا بها كما ورد بها السمع دون تكلف تأويل، مع اعتقاد بواسع قدرة الله، وتصرفه في ملكه بما يشاء.

قال البغوي: "المتقدمون من أهل الحديث فهموا من هذه الأحاديث ما وقع الترغيب فيه من الأعمال، والإخبار عن فضل الله عز وجل، وأثبتوا هذه الصفات لله عز وجل، ولم يشتغلوا بتفسيرها، مع اعتقادهم أن الله تعالى منزه عن صفات المخلوقين"[54].

د ـ التَّفريقُ بينَ عَالمِ الغَيبِ وعَالمِ الشَّهادَة:

فإن ما يقع تحت مدارك الحس من أمور الغيب والسمع لا يجوز أن نتوسل إلى فهمه بموازين العقل التي تخضع لها الأخبار في عالم الشهادة، ومن الأحاديث التي لجأ العلماء إلى دفع إشكالها بهذا الأصل:

---

[52] البخاري: كتاب بدء الخلق ـــ باب صفة إبليس وجنوده ـــ 3128.

[53] أخرجه البخاري ومسلم.

[54] "شرح السنة" للبغوي: 88/5.

ـ حديث أبي سعيد الخدري: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون ... وفيه: فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"[55].

فالموت عرض يطرأ على المخلوقات، والعقل يستشكل انقلابه كبشا يوم القيامة، وهو من تصرف الله عز وجل في خلقه، قال المازري: "وقد يخلق الله هذا الجسم ثم يذبح، ثم يجعل مثالا، لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة"[56].

ـ ونحوه حديث أبي سعيد الخدري قال ﷺ :"ألا إن من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وتكلم الرجل نعله، وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بحديث أهله بعده"[57].

فهذا كله جائز في عالم الغيب، لأن الله الذي أخرس البهائم والجمادات في عالم الشهادة، قادر على أن ينطقها فتكلم الإنسان.

قال الطحاوي: "وكل ماجاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ورسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا إذا ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار، موسوسا تائها شاكا، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحدا مكذبا"[58].

---

(55) أخرجه البخاري 2024، ومسلم 2849 في "صفة الجنة".

(56) "المعلم بفوائد مسلم" للمازري: 203/2.

(57) أخرجه أحمد 38/3 ــ 48، والحاكم في "المستدرك" 467/4 وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه الترمذي مختصرا 2182 وحسنه.

(58) "العقيدة الطحاوية"، بتعليق ابن باز:10.

الأصل الثاني: فقه السنة النبوية دراية:

ومدار هذا الأصل على مسلكين اثنين، بهما قوام فقه حكم الحديث: فقه الدلالات اللغوية للحديث، ثم فقه الدلالات الأصولية للحديث:

* فقه لغة الحديث:

وذلك بتحكيم لغة العرب في فهم السنة، لأن رسول الله ﷺ كان أفصح من نطق بالضاد، ومن لم يحط خبرا بمعاني لغة العرب وسننها في كلامها لم يوثق بفهمه للشريعة، لأن العربية أصل في فهم هذه الشريعة.

قال إبراهيم الحربي: "من تكلم في الفقه بغير لغة، تكلم بلسان قصير". ومن أصول فقه السنة في هذا الباب:

معرفة المعاني والاشتقاق، ومراعاة قواعد النحو والإعراب، وملاحظة أساليب البلاغة والبيان كالفصل والوصل، والكف والإضمار، والحذف والاختصار، وإطلاق الكل وإرادة الجزء، وإطلاق الغاية وإرادة البداية، وخروج الكلام مخرج التهويل والتفخيم، أو خروجه مخرج الزجر والذم، ونحو ذلك.

ـ حديث "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه" في صحيح مسلم.

فمن جهل اصطلاح الأئمة ولغتهم في فقه الحديث حمل الرباط على معاني محدثة ظهرت في زمن جموح التصوف، ولانتشار الزوايا، وظهور الدعوة إلى البطالة والخمول باسم العبادة، وقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا...):"الرباط هو الشخوص إلى ثغر الجهاد في سبيل الله والمرابطة فيه"[59].

---

[59] "الجامع لأحكام القرآن": 260/1.

ـ ونحوه حديث:"من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار"[60].

فمن حمل الحديث على ظاهره حكم بهذا الوعيد على كل من فعل شيئا من ذلك ولو لحاجة ماسة كالاحتطاب، وتنحية الأذى من طريق المسلمين ونحو ذلك.

لكن من نظر في سنن العرب من كلامها علم "أن في الحديث كفا وإضمارا".

قال أبو داوود "هذا حديث مختصر، مراده: من قطع سدرة مما يتآكله البهائم ويستظل به بنو آدم ظلما وعدوانا صوب الله رأسه في النار"، لأن ذلك يصير نوعا من الفساد في الأرض وإهلاك.

* ثُمَّ النَّظَرُ فِي الدَّلَالَةِ الأُصُولِيَةِ لِلسُّنَنِ:

بمراعاة ما فيها من توارد النصوص بين عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، وإجمال وتفصيل، ومراعاة سياق الأمر والنهي ودلالتهما في الحديث ومراعاة المفهوم والمنطوق ونحو ذلك. ومثاله:

الأصل الثالث: فِقْهُ تَنْزِيلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

وهو فقه دقيق من العلم الشامخ، التي تحتاج إليه الأمة في زماننا أكثر من ذي قبل، وهو مكمل بفقه الحكم الذي تدل عليه وتوصل إليه المسالك السابقة، وفقه التنزيل هو معرفة ملائمة الحكم للمحل والنازلة الواقعة، يدخل فيه أصول وقواعد نفيسة أهمها مايلي:

1ـ مُرَاعَاةُ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

بربط الحديث بسياقه وعدم الهجوم على الأحكام قبل جمع أحاديث الباب، والنظر فيما توارد فيه من آي القرآن والسنة، كما قال ابن خزيمة:" الباب إذا لم تجمع أحاديثه لا يتبين لك فقهه". مثال ذلك:

---

[60] أخرجه أبو داود في "السنن".

ـ أحاديث النهي عن إسبال الإزار، فإن فيها عموما وخصوصا وإطلاقا وتقييدا.

فحمل الحافظ بن عبد البر والنووي والبدر الزركشي وابن حجر المطلق فيها على المقيد بقيد الخيلاء، وقرروا أن غاية النهي فيها "أن يحمل علة كراهة التنزيه"، وقال الزركشي:" وقد جرت للناس عوائد بتطويلها فلا يلام من فعل شيئا من ذلك لغير الخيلاء"[61].

2 ـ مُرَاعَاةُ أَسْبَابِ وُرُودِ الْحَدِيثِ:

كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي: "أنا بريء من مسلم مقيم بين أظهر المشركين"[62]، فإن من نظر في سبب وروده يعلم أنه لا دلالة فيه على تحريم الإقامة في بلاد الكفر لأجل العمل أو التعلم أو التجارة أو الدعوة، ما قوي المسلم على إظهار دينه والحفاظ على عقيدته، وإلا وجبت عليه الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام حالة الاستضعاف، والخوف على ضياع الدين.

3 ـ مُرَاعَاةُ السَّوَابِقِ الإِسْلاَمِيَةِ:

وهي سنة الخلفاء الراشدين وتطبيقاتهم في سياسة الدين والدنيا. ومما يفقه في ظل هذه القاعدة:

* صلاة النافلة جماعة كقيام الليل: وقد ورد فيها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "صليت أنا واليتيم خلف رسول الله ﷺ والعجوز من ورائنا"[63].

لكن حمل العلماء ذلك على أنه حكم لم يداوم عليه رسول اللهﷺ، وإنما كان غالب أحواله وأحوال أصحابه صلاة النافلة من قيام الليل وصلاة الضحى على

---

(61) راجع "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني.

(62) أبو داود:2644 والنسائي:6983.

(63) صحيح البخاري - باب الصلاة على الحصير:373.

الانفراد، ورأوا أن المداومة ولزوم الجماعة في النوافل بدعة، لأنها ليست من العمل المستمر في السوابق الإسلامية.

قال الشاطبي: "ومن ثم لم تشرع الجماعة في النافلة بإطلاق، وإنما في بعض مؤكداتها، كالعيدين والكسوف والخسوف". ونقل عن مالك قوله: "لابأس بقيام الليل في الرجلين والثلاثة ما لم يشتهر ويتخذه الناس ديدنا"، أي ما لم يصر عادة للناس.

ومن ثم تعلم مخالفة بعض الطوائف المستدركة على رسول اللهﷺ وصحابته للسنة في هذا الشأن، حيث اتخذوا هذا الأمر أصلا وديدنا في صلاة الليل جماعة.

* ومنه إمامة المرأة فيما دون الخلافة والقضاء: فقد نظر أئمة الحديث في حديث: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[64] بنظر فقه تنزيل النص حسب السوابق الإسلامية، حيث ثبت أن عمر رضي الله عنه أسند ولاية الحسبة على السوق لامرأة من أهل الثقة، ولو كان يرى تنزيل الحديث على كل مسؤولية وإمارة ما أقدم على ذلك، فلذلك لم ير فقهاء الحديث بأسا بالولايات الصغرى للمرأة، والأمر في زماننا أوكد، لأن الاتفاق منعقد على منع المرأة من ولاية الخلافة العظمى وولاية القضاء، إلا ما روى عن الطبري من خلاف في ذلك.

4ـ مُرَاعَاةُ الْعِلَلِ وَالْمَقَاصِدِ:

قصد تنزيل الأحكام على محالها وعدم الانحراف بها عن مواقعها التي شرعت لأجلها. وهذا باب واسع النظر والخطو، من غفل عن تحريره وقع في تشدد مميت أو تسيب مقيت.

5ـ مُرَاعَاةُ مَوَاطِنِ الرُّخَصِ وَالأَعْذَارِ:

(64) البخاري – باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر:4162.

وعدم التحجير على المسلمين بتنطعات لم تأت بها السنة، فإنه ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما. وفي الباب أمثلة كثيرة، كسنن القصر في الصلاة، والمسح على الخفين، والجمع بين الصلوات المشتركة في الوقت بالنسبة لأولي الأعذار، كالرعاة وأصحاب الأعمال المستمرة، والأطباء في العمليات الجراحية ونحوها.

6 ـ التَّمْيِيزُ بَيْنَ فِقْهِ التَّمْكِينِ وَفِقْهِ الاسْتِضْعَافِ:

فإن تنزيل النبي ﷺ لأحكام السنن والشرائع كان يراعي فيه أحوال المسلمين، ومن حوله من قبائل المشركين الذين يتربصون بالإسلام الدوائر؛ فقد امتنع من قتل المنافقين رغم قولهم وفعلهم ما يوجب القتل، وقال: "لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه"[65]، وقد كان المسلمون يومئذ بحاجة إلى تكثير سوادهم، فكان النبي ﷺ يتحرز من كل ما يمكن أن يصرف بعض قلوب الناس وعقولهم عن الدين.

ولذلك ميز العلماء في فقه أحكام السنة، بين حالة الاستضعاف حيث كان المسلمون قلة بحاجة إلى تأليف قلوب الناس، وحالة التمكين والاستعلاء التي صار فيها للمسلمين شوكة، وكان لهم الظهور في الأرض، بحيث لا يخشون جانب أحد، ولا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

ويجري ذلك على أحوال المسلمين المستضعفين اليوم في بلدانهم التي لا تحكم بالإسلام، فهم في حالة استضعاف يجب أن تراعى في تنزيل الأحكام، وذلك حال الجاليات والأقليات المسلمة في بلاد الغرب، في أوروبا وأمريكا، فإنهم لا يمثلون اليوم قوة أو دولة ونظاما، فلا يجوز أن نجري على حالتهم سائر الأحكام التي تخص مرحلة الظهور والقوة التي كان عليها المسلمون في المرحلة المدنية، وزمن الخلافة الراشدة.

---

(65) البخاري – باب ما ينهى من دعوى الجاهلية:3330، ومسلم – باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما:2584.

ومن أمثلة ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه"[66].

وقد ترجمه ابن حبان بقوله: "ذكر الزجر عن مبادرة أهل الكتاب بالسلام".

فإن الحكم بذلك يتنزل على حالة الاستعلاء والظهور أيام كان للمسلمين شوكة وقوة، وقد خرج مخرج النكاية في اليهود، ومعاملتهم بنقيض قصدهم، وسد ذرائع شماتتهم بالمسلمين، كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "إن رهطا من اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقال النبي ﷺ: عليكم، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة، فقال النبي ﷺ: يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله: قالت عائشة: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت عليكم"[67].

ومما يدل على أن الزجر عن بدئهم بالسلام كان لعلة مقصودة، حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليك، فقل وعليك"[68].

فقد علم أن ذلك لا يسري على كل أحوال الناس، فإن آحاد المستضعفين من أقليات المسلمين في بلاد الغرب لو فعلوا ذلك وحملوا أحاديث النهي عن بدئهم بالسلام واضطرارهم في الطريق إلى أضيقه على غير محالها فكشروا في وجوه اليهود والنصارى في بلاد الغرب حيث لهم الشوكة والدولة، وناوشوهم في الطرقات لاضطرهم هؤلاء إلى دوائر سوء وفتن لا تنتهي.

ففقه الزمان يقتضي معاملة الكفار في بلادهم بالحسنى، وتألف قلوبهم للإسلام الذي لم يعرفوا بعد محاسنه ومكارمه، فإذا كانت الشوكة للمسلمين في بلادهم،

---

[66] أخرجه مسلم: 1707/4 وابن حبان في "الصحيح": 253/2 الترمذي في "السنن باب ماجاء في التسليم على أهل الذمة: 4.

[67] أخرجه الترمذي في "السنن": 60/5 وقال: حديث حسن صحيح. والبيهقي في السنن الكبرى": 203/9 حديث رقم: 18501.

[68] أخرجه البخاري: 2309/5 حديث رقم 5902، وابن حبان في "الصحيح": 254/2 "ذكر إباحة رد السلام للمسلم على أهل الذمة".

وانصرمت مع هؤلاء الذميين مرحلة الدعوة، وقامت عليهم الحجة، وظلوا أهل عناد، تحقق عند ذلك مناط هذه الأحكام، فلا يبدأون بالسلام، ويضطرون في الطريق إلى أضيقه كما أمر النبيﷺ بذلك.

وكذلك ما كان يفعله عمر رضي الله عنه من أنه كان يأمر أهل الذمة من اليهود والنصارى أن يتميزوا في لباسهم ومراكبهم حتى يعرفوا بين المسلمين، "فكان يأمرهم أن يولوا وجوههم أدبار البهائم عند ركوبها"، ولا يتشبهوا بالمسلمين في ذلك.

وكذلك تطبيق الحدود الشرعية التي وردت بها السنن، في كثير من البلاد الإسلامية التي لا تحكم بالشريعة، وليس لها قضاء شرعي يسهر على تنفيذ هذه الأحكام، فإن الدخول في ذلك سيفضي إلى كثير من الفوضى والشر والفساد الذي لم تأت به الشريعة.

ومثله كذلك التعامل بالعقود الفاسدة في دار الحرب بالشروط المقررة عند الفقهاء الحنفية.

وختاما فإن فقه السنة النبوية من جليل الفقه الذي لا تتضح سبله بمجرد حفظ السنن والحكم بها، بل دون ذلك تحقيق مرتكزات النظر التي ذكرناها في هذه الأصول الثلاثة، والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

أُنموذَجُ الشَّخْصِيَةِ النَّاجِحَةِ الَّتِي تُحَقِّقُ النَّصْرَ وَتَنْشُرُ السَّلَامَ

د.منصف الكريسي

يعتقد علماء النفس أن المجتمع هو الذي يكون الشخصية ويوجد أساسها في الأفراد، ويولد لديهم طريقة تفكيرهم ونوعية تصوراتهم، وأن غريزة (التوافق والمماشاة) تجرهم إلى أن يقتفوا أثر المجتمع في أفكاره وسلوكه([1])، وهذه القاعدة لا يمكن التسليم بها على إطلاقها؛ صحيح أن مجتمع الفضيلة والتقوى يربي النماذج الصالحة ويخرج المتقين الناجحين، كما أن مجتمع الرذيلة والفساد يجر أفراده إلى هاوية الانحراف والسقوط والضلال، لكن تبقى هناك استثناءات، فكم من طالح خسيس يعيش في مجتمع نظيف، ولم يؤثر مجتمعه في أخلاقياته، وكم من صالح أمين يعيش في مجتمع مشلول ولم يتأثر بسلوك مجتمعه، وهذا الرسول ﷺ ولد ونشأ في مجتمع منهوك أخلاقيا وسلوكيا واجتماعيا، ومع ذلك كان سامي الأخلاق عالي الهمة، حتى جعل نور الإسلام يشع في آفاق مجتمعه المظلم، وربى أصحابا بررة، أخرجهم من مستنقع الكفر، فصاروا رجالا من خير وأنفع الناس."ومن البدهي أن الإنسان الذي لا يتأثر بصبغة البيئة الفاسدة ولا يتلون بألوانها ولا يتلوث بأنجاسها، يعتبر ذا شخصية ملكوتية متميزة، وأنه يستحق بذلك قيادة الإنسانية وخلاصها من مشاكلها وأوضاعها البائسة"([2]).

[1]- راجع:رسالة شخصية الرسول الأعظم محمد ﷺ قبل البعثة ص:4 من منشورات مؤسسة في طريق الحق الدورة الثالثة إيران قم بدون تاريخ .

[2] – نفس المرجع بتصرف ص: 8.

وسنحاول في هذه الصفحات إلقاء الأضواء على بعض المواقف النبوية الرائعة، التي تنمي عن قوة شخصيته عليه الصلاة والسلام، وذلك قصد التذكير بالشخصية القيادية الناجحة، وكيف ينبغي أن تكون، وأنها في الأوقات الحرجة والظروف الصعبة تبقى ثابتة لا تزعزعها الأحداث، ولا تخيفها التهديدات، ولا ترهبها المصطلحات المصطنعة، خصوصا إذا كان صاحب هذه الشخصية داعية إلى حق يراه مغمورا، ورافع علم سلام يراه مبتورا.

وبوادر الشخصية وقيمتها تتجلى في مشية الإنسان وحديثه ومعاملته، وحتى في صفته الخلقية الكاملة، فالقامة من طول أو قصر وضخامة أو نحافة، وسحنة الوجه من غلاظة أو ظرف، كلها عوامل مؤثرة في شخصية الإنسان،كما أن معرفة تصريف الأمور التي تعرض له، وحل المشاكل التي تعرقل سيره، وتجاوز العقبات التي تحول دون تحقيق أهدافه،كل ذلك يغذي شخصية الإنسان ويكون عنوانا على قوتها لديه،كما أن غياب هذه الأشياء يكون دليلا وبرهانا على ضعفها وخورها عنده.

تعريف الشخصية :

عرف علماء النفس الشخصية بتعاريف متعددة منها :

أنها هي الصقل الاجتماعي، أو القدرة على الخدمة الخاصة أو العامة.

أو هي القدرة على السلوك الاجتماعي الحسن والتأثير الفعال الذي يجعل الذكاء والمهارة مجديين، والإنجاز هو غاية السلوك الاجتماعي الحسن، وغاية التأثير الفعال. وهي تقاس بهذه القدرة، فهي قبل كل شيء خاصة اجتماعية تتفاضل بمقدار التفرق في هذا السلوك، وكلما زادت ضروب الاجتماع للفرد زادت الفرص لترقية الشخصية عنده. ومن هنا نجد أن العلماء عند تعرضهم لتراجم الأئمة والحكام والقادة الكبار، يهتمون بذكر أوصافهم ويركزون على إنجازاتهم وأعمالهم، ومدى النجاح الذي تحقق على أيديهم. ولعل أعظم من تعرض الناس لذكر دقائق أوصافه، وعنوا

بالحديث عن كل أعماله وإنجازاته، من أتم الله به الدين، وختم ببعثته النبوات والرسالات، الأمين المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

فعن أنس بن مالك([3]) أنه سمعه يقول:" كان رسول الله ﷺ ، ليس بالطويل البائن([4])ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم([5])ولا بالجعد([6]) القطط([7])،ولا بالسبط([8])، بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين([9])، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة([10]) وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

وعنه قال([11]):كان رسول الله ﷺ ربعة([12]) ليس بالطويل ولا بالقصير،حسن الجسم، وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، أسمر اللون، إذا مشى يتكفأ([13])

وعن البراء بن عازب يقول: كان رسول الله ﷺ رجلا مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة([14])إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء([15])ما رأيت شيئا قط أحسن منه([16]).

---

[3]– حديث أنس أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب الجعد حديث رقم 5900 . 10–356 وفي صفة النبي ﷺ ومسلم في الفضائل باب: في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه حديث رقم : 2347 ، 1824/4 والترمذي في كتاب اللباس باب ما جاء في الجمة واتخاذ الشعر حديث رقم 1754 ، 233/4..

[4]– البائن : الظاهر .

[5]– الأمهق : الشديد ، والآدم : الأسمر .

[6]– الجعد:قال في المقاييس:الجيم والعين والدال أصل واحد، وهو تقبض في الشيء،يقال:شعر جعد.

[7]– السبط والقطط: هو شديد جعودة الشعر،انظر: آثار اللغة شرح السيرة النبوية رواية ابن هشام،ص:113

[8]– السبط:قال ابن الأثير :السبط من الشعر المنبسط المسترسل.

[9]– وفي رواية أقام بها ثلاث عشرة ، فتحمل رواية العشر على أن الراوي حذف الكسر الزائد على العشرة انظر: مختصر الشمائل المحمدية للألباني ص: 13 هامش رقم 6.

[10]– وفي رواية وهو ابن ثلاث وستين، وهي أشهر وأصح، وتحمل رواية الستين على أن الراوي حذف الزائد على العشرة أيضا. انظر: مختصر الشمائل المحمدية للألباني ص:14 هامش رقم 7.

[11]– أخرجه مسلم في الفضائل: باب:صفة شعر النبي ﷺ حديث رقم:2338 ،1819/4 والترمذي في اللباس رقم 1754 والمناقب برقم 3627 .

[12]– ربعة: بفتح الراء وسكون الباء، أي كان متوسطا بين الطول والقصر .

[13]– يتكفأ: أي يتمايل إلى قدام كالسفينة في جريها .

وفي رواية عنه قال: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ له شعر يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، لم يكن بالقصير ولا بالطويل.

وعن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقبين، قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟([17]) قال: عظيم الفم، قال: قلت: ما أشكل العين؟([18]) قال: طويل شق العين، قال: قلت: ما منهوس العقب؟([19]) قال: قليل لحم العقب([20]).

هذا عن خلقه، وأما عن خلقه فقد تضافرت الأخبار عن وصفه بخير الأوصاف، فجميعها قد حاز منها الكمال والاعتدال، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ([21]) قالت عائشة رضي الله عنها: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"([22]). وأما الحلم والاحتمال والقدرة والصبر على ما يكرهه، فقد اتصف بنهايتها، وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان فيها لا يوازى ولا يبارى، وأما الشجاعة والنجدة، فكان عليه الصلاة والسلام منها بالمكان الذي لا يجهل،

---

[14]- رجلا: بكسر الجيم وهو وصف للشعر. (بعيد): بضم الباء،(والجمة): بضم الجيم وتشديد الميم، وهي ما سقط من شعر الرأس ووصل إلى المنكبين، و(اللمة): ما جاوز شحمة الأذن، وهي الوفرة.

[15]- الحلة: ثوبان: إزار ورداء.

[16]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل باب: في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها، حديث رقم: 2337، 1818/4.

[17]- (ما ضليع الفم) قوله في ضليع الفم،كذا قاله الأكثرون وهو الأظهر، قالوا والعرب تمدح بذلك وتذم بصغرالفم، وهو معنى قول تعلب في ضليع الفم: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان.

[18]-(ما أشكل العينين) قوله في أشكل العينين، قال القاضي عياض:هذا وهم من سماك باتفاق العلماء،وغلط ظاهر، وصوابه ما اتفق عليه العلماء ونقله أبو عبيد وجميع أصحاب الغريب:إن الشكلة حمرة في بياض العينين وهو محمود، والشهلة حمرة في سواد العين.

[19]- (ما منهوس العقب)هكذا ضبطه الجمهور:منهوس، وقال صاحب التحرير وابن الأثير: روي بالمهملة والمعجمة، وهما متقاربان، ومعناه قليل لحم العقب كما قال.

[20]- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب: في صفة فم النبي صلى الله عليه وسلم، وعينيه وعقبيه ح:2339 4/1820 .

[21]- سورة القلم الآية:4.

[22] -جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب:جامع صلاة الليل، ح: 1،746/512- 513 .
وأخرجه أحمد في مسنده 9 / 25604 و 6/188.

قد حضر المواقف الصعبة، وفر الكماة والأبطال عنه غير ما مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما من شجاع إلا أحصيت له فِرة، وحفظت عنه جولة سواه،قال ابن عمر: "ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ "([23])، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:"إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا"([24])وعن أنس رضي الله عنه أيضا قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺراجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف وهو يقول : لن تراعوا لن تراعوا، قال: وجدناه بحرا أو إنه لبحر"([25]).

إن صاحب هذه الكمالات البشرية وقفت شخصيته وحيدة فريده بين غيرها من الشخصيات في تاريخ البشرية كلها، وذلك لأنها اتصفت بكل المحامد والفضائل العليا دون سواها من الناس،فصاحبها ﷺ قمة شماء،من أية جهة جئت إليه وجدته عظيما، وإن خير من شهد له بذلك ربه جل وعلا حيث زكاه قائلا:﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾([26]).

ولقد اكتسب ﷺ هذه الشخصية الفذة البارزة رغم نشأته يتيما في كفالة عمه أبي طالب الحليف للفقر، حيث كانت أمارات تفوقه وعلامات قوة شخصيتة تبدو عليه وهو صغير يافع.

---

[23]- رواه الدارمي في المقدمة 59 باب:50 في حسن النبي ﷺ.

[24]- رواه الإمام أحمد في مسنده ج:1ص:654 ، وإسناده صحيح ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 14176.

[25]- رواه مسلم في كتاب الفضائل باب: في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وتقدمه للحرب، واللفظ بأتمه منه ح:2307-1802/4-1803.

[26]- سورة القلم الآية: 4.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم،وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه،لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له،قال:فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر(*) حتى يجلس عليه،فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه،فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع([27]).

إنه في الوقت الذي كان عامة الناس يتجهون صوب الأصنام، يرجونها ويسألونها، كان هو صلى الله عليه وسلم يتجه وحده صوب غار حراء، حيث يقف هناك خاشعا متضرعا وهو يتأمل في الكون، وبديع صنعه وعظمة منشئه وقدرة صانعه.

إنه ﷺ لم يكن رافضا لعبادة الأصنام فحسب،وإنما كان لا يطيق سماع أسمائها، فقد حدث أنه لما كان في الثانية عشرة من عمره المبارك، والتقى ببحيرا الراهب، أقسم عليه هذا بحق اللات والعزى أن يجيبه على أسئلته، فأجابه النبي ﷺ غاضبا:(لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضها)([28]).

كما خالف ﷺ قومه من أهل الحرم الذين عرفوا بالحمس([29])في الإفاضة من مزدلفة، (جمع) فأفاض ﷺ مع الناس من عرفات، وقد تعجب جبير بن مطعم من

(*)غلام جفر: أي غليظ شديد، ومنه الجفر والجفرة من المعز، ويقال هو الصبي ابن أربعة أعوام ونحوها. أنظر: آثار اللغة العربية شرح السيرة النبوية، رواية ابن هشام لأبي ذر بن محمد بن مسعود الخشني ص: 56، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا .

[27]- انظر:السيرة النبوية لابن هشام ج:1ص:183.

[28]- انظر:سيرة ابن هشام 1/179-198 بإسناد معلق، وانظر: البداية والنهاية 312/2 ، ودلائل البيهقي 2/ 35 وكلهـا أسانيد ضعيفة، أما عدم حلفه باللات والعزى وبغضه لهما فقد ثبت بأسانيد صحيحة، وانظر في ذلك:مسند الإمام أحمد 222/4 بإسناد صحيح، ورواه البيهقي في المجمع 225/8 وقال عنه رجاله رجال الصحيح، والرواية تقول: وكان جاره ﷺ هو وخديجة يحدث أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: أي خديجة، والله لا أعبد اللات والعزى أبدا والله لا أعبد العزى أبدا، فتقول خديجة خل اللات، خل العزى.

[29]- الحمس:هم أهل الحرم ومن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم، ومن دخل معهم من العرب مثل كنانة وجديلة،رأوا أن لهم منزلة فوق منزلة بقية العرب، ولذلك ميزوا أنفسهم عنهم بأنهم تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها، رواه البخاري، كتاب الحج باب: الوقوف بعرفة ح:1665 الفتح3/515، ومسلم 2/894،893 ح1219، وابن هشام1/256 وابن كثير2/313.

الرسول ﷺ لهذا الفعل([30])،وكان ذلك توفيقا من الله تعالى له، كما شهد على ذلك جبير بن مطعم بعد إسلامه حيث قال: أضللت بعيرا لي، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي ﷺ واقفا بعرفة، فقلت: هذا والله من الحمس، فما شأنه هاهنا؟([31]).

وروى البيهقي([32])من حديث زيد بن حارثة أن الرسول ﷺ ما استلم صنما قط، وكان ينهى عن ذلك في الجاهلية، ورفض أن يمس صنم إساف أو نائلة عند طوافه، كما كانت عادة الجاهلية.

والمتتبع للسيرة النبوية، يجد في كل درس من دروسها بروز الشخصية النبوية بشكل لافت للنظر، سواء كان ذلك في الفترة ما قبل البعثة النبوية أو بعدها، حتى إن عظمته وطهارته وعفته، صارت حديث كل الناس في المجامع والمجالس الخاصة والعامة، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره، أطلق عليه أبناء قومه وأهل قبيلته لقب(الأمي)أبرز صفة من صفاته، وكانت هذه الصفة المحببة هي التي دعت خديجة رضي الله عنها أن تختاره ليتاجر بأموالها، كما أن أمانته هذه، وصدق حديثه، وحرمة بني قومه له، جعلت منه مستودعا لودائع الناس من مسلمين وغير مسلمين،كما جعلت منه يوما ما قبل الإسلام، الحكم الذي ارتاح له سادات قريش لحل أعظم مشكلة كادت أن تعصف بهم يوم تجديد بناء الكعبة؛ لقد كان ﷺ في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف، حين اجتمعت قريش لبناء الكعبة وترميمها، ولما كانت قبائل قريش المتعددة تتطلع إلى اقتسام فخر بناء الكعبة، جزأت هذا البناء وجعلت لكل قبيلة

---

[30]– رواه البخاري في كتاب الحج باب: الوقوف بعرفة ح1664،أنظر :الفتح 515/3،ومسلم في كتاب الحج بـاب:الوقوف وقوله تعالى: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الـناس)،894/2 ح 1220، والإصـابة 2/ 65 ترجمة جبير ابن مطعم.

[31]– من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن،ابن هشام 261/1–262،والبداية والنهاية 313/2.

[32]– دلائـل النبوة 34/2،والبداية 312/2،وسيرة الذهبي ص:81،وحسنه الذهبي وقال محقق سيرته،الدكتور تدمري:رواه أبو يعلى والبزار والطبراني،مجمع الزوائد418/9،وله شاهد صحيح من حديث أسماء كما فـي السـنن الكـبرى للنسائي ص:49 انظر :السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد، هامش 140 ص:127.

قسما منه.وقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم وهو يقول:"اللهم إنا لا نريد إلا الخير"، ثم تابعه الناس وأعانوه حتى انتهى الهدم بهم إلى الأساس الذي بناه إبراهيم عليه السلام، وهنا بدأت كل قبيلة ببناء قسم من البيت حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى لتفخر بذلك على سائر القبائل، وقد اتسع الخلاف حتى إنهم استعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم علامة على التصميم على القتال والموت.

وقد استمر هذا الخلاف الوحشي أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا، فقال لهم أبو أمية بن المغيرة وكان أكبر قريش سنا: "يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه، فقبلوا اقتراحه وانتظروا أول من يدخل فكان أول داخل عليهم هو رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا حكمه، فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر، قال:إيتوني بثوب، فأتي به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال ﷺ: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بنى عليه"([33])

وهكذا استطاع ﷺ بحكمته الحسنة وتدبيره الموفق،أن يجنب قريشا فتنة خطيرة كان من الممكن أن تؤدي إلى سفك دماء كثيرة، وتجر عليهم ويلات ومصائب

---

[33]- انظـــر:سيرة ابن هشام 1/214-215،والحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده 113،والحاكم في مســتدركه (1-458) وقـــال:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،وله شاهد صحيح ووافقه الذهبـــي والبيهقي في دلائل النبوة (2-56،57) وعبد الرزاق في المصنف(5-103) من حديث طويل عن مجاهد وأحمد في مسنده (3-425) بإسناد صحيح، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(3-29)وقال:رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح،غير هلال بن خباب وهو ثقة وفيه كلام، وذكره أيضا في(8-229)من حديث علـــي وقـــال:رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر الضرير وخالد بن عروة وكلاهما ثقة اهـــ.

عظيمة. وقد أوضحت هذه القضية بشكل جلي الشخصية الاجتماعية العظيمة للنبي محمد ﷺ، كما أنها أبانت عن جوانب العظمة في آرائه الصائبة ونظراته الحكيمة([34]).

إن عقله وتفكيره النيرين قد حملاه منذ أيام شبابه الأولى على أن يختط لنفسه خطا غير خط قومه، فلم يتأثر بعادات قومه وسننهم وسلوكهم، بل رسم لنفسه منهجا كان من خلاله يحث الخطى في طريق الكمال، حتى وصل أرفع درجاته تعينه في كل ذلك يد الغيب التي كانت ترعاه وتحافظ عليه وتصنعه على عينها، حتى جاءه الوحي يكلفه بدعوة بني قومه إلى ترك عبادة الأصنام، وإلى إفراد الله وحده خالق السموات والأرض بالعبادة، وبالتزام مكارم الأخلاق، والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبترك كل ما هو قبيح فاحش وما هو مستنكر ، وما فيه عدوان وظلم.

وهذه قريش رغم إعلان عداوتها له وشن حربها ضده ما استطاعت أن تأخذ عليه هفوة، ولا أن تسجل عليه كذبة واحدة،لا قبل النبوة ولا بعدها، وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يستنطقها الاعتراف بصدقه حينما أمره الله بالجهر بالدعوة، حيث وقف على الصفا ونادى جميع قبائل قريش، فلما اجتمعوا سألهم هذا السؤال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا:نعم ما جربنا عليك كذبا قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ....الحديث)([35]).

ولقد دعاه قومه المشركون بواسطة عمه أبي طالب إلى ترك ذم أصنامهم، وإلىترك الدعوة إلى الدين الجديد، مقابل إعلانه ملكا عليهم، وذلك لما عرفوا فيه من نجابة وخلق نبيل، فأجابهم بكل جرأة وشجاعة: (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما

[34]- راجع شخصية الرسول الأعظم محمد ﷺ قبل البعثة.

[35]- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة تبت يدا أبي لهب وتب حديث رقم 4971 ج:8 ص:737.

تركته)[36].وهذا الجواب منه يدل على أعلى درجات الرشد في التصرف والكمال في العقل.

وبعد ذلك هددوه بالقتل، فلم يأبه بتهديدهم، بل تحداهم معتمدا على الله، فجاء القرآن معلنا نصرته عليهم، قال تعالى:﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[37].

وقال تعالى أيضا:﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[38].

قال ابن هشام: "ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم، في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به، مباد[39]لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم".

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ! سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم!.

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، قال:فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في

---

[36]- انظر:السيرة النبوية لابن هشام ج1ص:277.وقد ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة(909)فقال إسناده ضعيف معضل يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين مات سنة ثمان وعشرين ومائة،وللحديث طرق أخرى بسند من حديث عقيل بن أبي طالب بلفظ: "ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منا شعلة "رواه أبو جعفر البختري وابن عساكر كما نبه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:92.

[37]- سورة المائدة الآية: 67.

[38]- سورة التوبة الآية:34.

[39]- أي مجاهر.

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح![40].

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة[41] قبل ذلك ليرفؤه[42] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولا!.

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا ما بدأكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا ـ لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ـ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم أنا الذي أقول ذلك.

قال:فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله!

ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط؟"[43].

وقوة شخصيته جعلته لا يتردد في التبشير بانهيار دولتي فارس والروم بعده أمام دعوة الإسلام، وكذلك كان.

وفي اعتقادي أن من أحسن وأروع الأمثلة التي تدل على نجاح وقوة شخصية هذا الرجل العظيم، هي كتبه ورسائله التي وجهها إلى حكام الأرض وقادة الدنيا، يدعوهم فيها إلى الله تعالى، وإلى الاعتراف بالدين الجديد، غير خائف في الله لومة

40- كناية عن الهلاك إن لم يؤمنوا.

41- الوصاة:أي وصية بالأذى.

42- يرفؤه:يسكنه ويهدئه.

43- انظر:السيرة النبوية لابن هشام ج1ص:302-303،والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (2-276،275)وإسناده قوي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(6-16) وقال:رواه أبو يعلى والطبراني وفيه عمر بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح.

لائم ولا وجل من ذي حكم أو سلطان، رغم ما كان أولئك الحكام يتمتعون به من قوة وسلطة ونفوذ.

فبعد أن مكن الله له نشر دعوته في الحجاز، وأصبح المسلمون لهم بلد يأوون إليه ويجتمعون فيه، وهو المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، التي كانت تنطلق منها جيوش المجاهدين وقوافل المنتصرين لتأديب ناقضي العهود، كاليهود وغيرهم من أعداء الإسلام، الذين وقفوا في وجة الدعوة وانطلاقها إلى الناس.

وبعد أن شعر المسلمون بما كتبه الله لهم من نصر وعزة ورفعة، وانتصارات متوالية في كل من بدر وأحد(*) والأحزاب وقريظة وتبوك وغيرها من المعارك الفاصلة، التي أصبح المسلمون بسببها يمثلون قوة يحسب لها ألف حساب، خصوصا ما تمخضت عنه معاهدة الحديبية من نتائج عظيمة بسبب حكمة المصطفى ﷺ.

بعد كل تلك الأحداث كانت الفرصة مواتية لتوسيع دائرة الدعوة الإسلامية، التي ينبغي أن لا تعرف التوقف، والتي يجب أن يصل نفعها إلى سائر الناس، وأن تتعدى حدود المدينة المنورة ومكة المكرمة إلى بقية البلاد التي تعج بالشرك والإلحاد، والتي لا تزال تغط في سبات عميق من الظلم والكفر والاستعباد. فعمل ﷺ على تبليغ قبائل الجزيرة العربية هذه الدعوة عن طريق بعث رسله وتحميلهم كتبه إلى تلك القبائل وقوادها، تحقيقا لقول الله تعالى:﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾([44])

وبهذا ستطل الدعوة على مرحلة جديدة من مراحلها، وستتخطى نظام الاقتصار على الجهة إلى مرحلة العالمية والشمولية.

(*) كثير من الدارسين لا يعتبرون ابتلاء أحد هزيمة، وإنما كان نصرا رغم ما لحق المسلمين فيها من خسارات في الأرواح،وذلك للنتائج التي أعقبت أحد، وللعزيمة التي تحلى بها المسلمون بقيادة الرسول ﷺ وتجميع جموعهم وشد قوتهم وعزمهم على ملاحقة قريش.

44 – سورة سبأ الآية : 28.

قال ابن هشام:"حدثني من أثق به، عن أبي بكر الهذلي، قال:بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال: أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم. فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها، فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام"([45]).

ويمكن تقسيم هذه الكتب إلى قسمين:

القسم الأول : وهو الذي وجهه لأمراء القبائل وشيوخها ومعظمهم من أهل جزيرة العرب، كجيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان، وكثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة، وكالمنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، وكالحارث بن أبي شمر الغساني ملك ثخوم الشام.

وأما القسم الثاني: فهو الذي وجهه للملوك والحكام خارج الجزيرة العربية، حيث أراد عليه الصلاة والسلام أن يمضي بالدعوة رسميا إلى آفاق أرحب وأوسع، فراسل قيصر ملك الروم، وكسرى ملك فارس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك الإسكندرية وغيرهم، وسوف أذكر نماذج من عبارات تلك الكتب والرسائل التي وجهها عليه الصلاة والسلام لأولئك لملوك والحكام خارج الجزيرة العربية، ممن عرفوا بالسطو والسلطة، وممن كان الخوف منهم أعظم، ومخاطبتهم لا يجرؤ عليها إلا مقدام.

يقول ابن سعد في طبقاته:"لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتابا، فقيل: يا

[45] – انظر :السيرة النبوية لابن هشام:4/1463.

رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتما من فضة فصه منه، نقشه ثلاثة أسطر محمد رسول الله، وختم به الكتب([46]).

ولقد اختار عليه الصلاة والسلام لبعث هذه الكتب زمانا مناسبا وسفراء أكفاء؛ أما من جهة الزمان فإنه قام بذلك بعد أن اطمأن على تأمين الدعوة وأمورها بالداخل، من إصلاح للناس، وبعث للإيمان في النفوس، وإرساء لقواعد الإسلام، فبعد أن أمن ذلك كله، وجعل من المسلمين قوة يحسب لها ألف حساب، كتب إلى الدويلات في الخارج، أداء للأمانة الدعوية، والرسالة العالمية التي كلف بها، والتي كان يقول بصددها: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)([47]). وما رواه الإمام أحمد بسنده مرفوعا أن الرسول ﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: بعثت إلى الأحمر والأسود، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته)([48]).

من هذا المنطلق وبالثقة الكاملة في جنب الله تعالى، ورغم ما كان يعرفه ﷺ من قوة وعدة وعدد جيش بعض الحكام، وما لهم من ملك ممتد على جزيرة العرب وما يتبعها،كدولة الروم ودولة الفرس اللتين لم يكن أحد يجرؤ على مخاطبة ملوكهما من الأكاسرة والقياصرة، لما فرضوه على الناس من رعب وخوف وهيبة، وما قرروه على غيرهم من الممالك والدول والشعوب من تعالي وبطش وجبروت، رغم كل تلك المحاذير، وشعورا بأداء مسئولية الدعوة الملقاة على عاتقه، وأمانة التبليغ المكلف بها

---

[46]- انظر :الطبقات لابن سعد:258/1،وحديث الخاتم رواه البخاري من حديث أنس في اللباس باب:نقش الخاتم ح:5872، 323/10.

[47]- أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان باب:وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته،ح:153-134/1.

[48]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده 3 / 304.

من قبل الحق تبارك وتعالى فإنه توكل صلى الله عليه وسلم على ربه ومولاه وقام بإرسال رسله، وبعث كتبه إلى أولئك الحكام، يدعوهم لهذا الدين الجديد ويشرح لهم مبادئه، ويخبرهم أن في الأخذ بتعاليم الإسلام كامل نجاتهم وأممهم وشعوبهم.

وقبل استعراض نماذج من عبارات تلك الكتب أود أن أقدم لها بترجمة مختصرة لكل ملك من الملوك الأربعة الذين وجه إليهم النبي ﷺ رسائله، وأعرف بإيجاز بحجم الحكومات التي كانوا يسودونها، ومدى الرهبة التي عرفوا بها والسطوة التي اشتهرت عنهم، حتى تتضح ضخامة هذه الخطوة التي قام بها رسول الله ﷺ ومكانتها الصحيحة في تاريخ البشرية، ووقعها في القلوب والنفوس، وندرك أن الذي يقدم على مثل هذا العمل لا يمكن إلا أن يكون صاحب جرأة وتجربة وشجاعة وإقدام، بعيدا عن كل ظل من ظلال الخوف والضعف والخور والهوان.

نبذة موجزة عن أولئك الحكام والملوك :

هرقل قيصر الروم (610-641م)الإمبراطور البيزنطي،كان يحكم إمبراطورية واسعة، توزعت مع الإمبراطورية الإيرانية: العالم المتمدن في ذلك اليوم، وحكمت نصف العالم تقريبا، وكانت لها ولايات واسعة غنية متمدنة راقية، في القارات الثلاث:أوربا، وآسيا، وإفريقيا، وخلفت الدولة الرومية الكبرى التي خضع لها العالم القديم. ولقد أهان الإمبراطورية الإيرانية العظيمة القديمة، وأثخنها قتلا وجراحا، حتى أوشكت الإمبراطورية الساسانية على النهاية، وتزلزلت قوائم عرش آل ساسان، ودخل القسطنطنية دخول الفاتح العظيم سنة 625م([49])، وتوجه إلى بيت المقدس في سنة 629م ليعيد إليه الصليب المقدس، الذي أخذه الفرس، وفاء بنذره، فكان

[49]- وفي سنة 626م كانت وقعة بدر التي التقى فيها انتصار المسلمين على مشركي مكة بانتصار الروم أهل الكتاب على منافسيهم الفرس عباد النار،وتحققت نبوءة القرآن عن غلبة الروم في بضع سنين(والبضع مدة دون العشرة).

الناس يبسطون له البسط ليمشي عليها، وينثرون عليه الرياحين([50])،إبداء لسرورهم وإجلالهم، وأقيم احتفال كبير بمناسبة عودة الصليب المقدس إلى مكانه، وإظهارا للسرور بالفتح العظيم في القدس، وهنا وصله كتاب النبي ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام([51]).

وهكذا فإن هرقل كان من كبار ملوك العالم في عصره،لا ينافسه في اتساع المملكة، والقوة الحربية، وزهو المدنية، إلا الإمبراطور الإيراني خسرو الثاني، ومات سنة641م في القسطنطنية،ودفن فيها([52]).

وأما كسرى أبرويز"خسرو أبهرويز الثاني"(590-628)، فقد اتفقت كلمة مؤرخي إيران على أنه كان أعظم ملوك إيران أبهة وعظمة، فقد بلغت الدولة الساسانية في عهده أوجها في الزينة والمدنية، والزهو ومظاهر الترف والبذخ، وقد دخل جزء من الولاية الشمالية الغربية في الهند في حكمه([53])، وكان يلقب نفسه ويسميه كما يلي:"في الآلهة إنسان غير فان، وفي البشر إله ليس له ثان، علت كلمته، وارتفع مجده، يطلع مع الشمس بضوئه، وينير الليالي المظلمة بنوره"([54]).

وقد بلغت في عهده المملكة الساسانية إلى ما لم تبلغ إليه في عهد من عهودها من الأبهة، والفخفخة، وقد وصفه الطبري في تاريخه بقوله:" كان من أشد ملوكهم بطشا، وأنفذهم رأيا، وأبعدهم غورا، وبلغ فيما ذكر من البأس والنجدة والنصر والظفر

---

[50]- انظر :فتح الباري لابن حجر:/31.

[51]- وقد كان سبب تأخر الكتاب النبوي إلى هرقل ــ بخلاف كسرى الذي وصله الكتاب قبل ذلك ــ أولا: لأن الكتاب دفع إلى عظيم بصرى ليقدمه إلى قيصر،ولعله لم يتمكن من تسليمه إياه لانشغال قيصر بالحرب،وبعده عن عاصمته،وثانيا:لأن المراجع الغربية تذكر أن هرقل قد اضطر إلى التوجه إلى أرمينيا سنة 628م لقمع ثورة أو لغرض آخر،فلم يتمكن من الوفاء بنذره إلا في سنة 629م.

[52]- انظر :السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي،ص:291-292-293.

[53]- انظر:إيران في عهد الساسانيي ص:602.

[54]- المرجع السابق نفسه ص:604،نقلا عن تهيو في ليكتس.

وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساعدة الدهر إياه ما لم يتهيأ لملك أكثر منه، ولذلك سمي"أبرويز"، وتفسيره بالعربية "المظفر"([55]).

وقد تأنق تأنقا عظيما في مظاهر الترف والمدنية، وأبدع في أنواع الأطعمة والأشربة([56])، وبلغ في الألطاف والأدهان والعطور شأوا بعيدا، وقد نشأ في عهده ذوق دقيق للأطعمة اللذيذة .. والعطور اللطيفة، وارتقى في عهده الغناء والموسيقى، وأقبل الناس عليها إقبالا عظيما، وكانت عنده نهامة بجمع الأموال، واكتناز الكنوز، وجمع الطرف والنفائس. ولما نقل كنزه في سنة 607-608م من البناء القديم إلى البناء الجديد في طيسيفون،كان ما نقله 460 مليون وثمانمائة ملايين مثقال ذهب، وذلك ما يساوي 370 مليون وخمسة ملايين فرنك ذهبي، وفي العام الثالث عشر من جلوسه على العرش كان في خزانته 880 مليون مثقال ذهب([57]). وقد حكم 37سنة، وخلفه ابنه شيرويه([58]).

أما المقوقس: فهو حاكم الإسكندرية، والنائب العام للدولة البيزنطية في مصر، وقد ذكره المؤرخون العرب غالبا باسم"المقوقس"، ولقد خاطبه النبي ﷺ بعظيم القبط.

وقد كانت مصر من أغنى ولايات الدولة البيزنطية، وأكثرها خصوبة وإنتاجا وسكانا، وكانت تمون العاصمة بالمواد الغذائية، وقد وصفها فاتحها عمرو بن العاص بقوله: "مصر تربة غبراء وشجرة خضراء،طولها شهر وعرضها عشر"([59]).

---

[55]- تاريخ الأمم والملوك للطبري:137/3.
[56]- المصدر السابق :995/2.
[57]- إيران في عهد الساسانيي ص:611.
[58]- انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص: 293-294-295.
[59]- انظر: النجوم الزاهرة،لابن تغري بردى،32/1.

وأما النجاشي Nagusa- Nagashi فهو لقب يطلق دائما على من ملك الحبشة، ولم تزل بلاد أفريقيا الشرقية، الواقعة في الجنوب الغربي من البحر الأحمر تسمى من قديم الزمان بالحبشة (Abyssinia) أو أثيوبيا (Ethiopia).

وحكومتها من أقدم الحكومات في العالم، وتقول الأخبار اليهودية إن ملكة سبأ كانت تسكن في الحبشة، وأن ذرية سليمان ما زالت تحكم الحبشة .

وكانت عاصمة الحبشة(Axum)، وكانت حكومة مستقلة لا تخضع لحكومة أجنبية ولا تؤدي إليها الخراج، ولا تتصل بالإمبراطورية البيزنطية إلا عن طريق الصداقة والمشاركة في ديانة واحدة (المسيحية).

يقول De Lacy O'Leary في كتابه " العرب قبل محمد ": كانت الحبشة منذ 522م حتى ظهور الإسلام مسيطرة على تجارة شرق المحيط الأحمر وأفريقيا، بل لعلها كانت مسيطرة على تجارة الهند أيضا ([60]).

هذه إذن نبذة عن تراجم أولئك الملوك، ونبذة مختصرة عن بلادهم، وأما عن تلقيهم للكتب المرفوعة إليهم؛ فقد تلقاها كل من هرقل، والنجاشي، والمقوقس بالاحترام والأدب والرقة في الجواب، فأكرم النجاشي والمقوقس رسل رسول الله ﷺ وأرسل المقوقس هدايا كان منها جاريتان، إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

وأما كسرى أبرويز، فلما قرئ عليه الكتاب مزقه وقال: يكتب إلي هذا وهو عبدي؟ فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ دعا عليه([61]) .

وأما كسرى باذان وهو حاكم اليمن فقد أمر بمن يحضر له الرسول ﷺ فلما جاء موفد كسرى أخبره الرسول ﷺ بموت كسرى وقتله على يد ابنه شيرويه([62])، وفيما يلي فقرات موجزة من نصوص تلك الكتب.

---

[60]- Arabia Before Mohammad (London , 1972) p . 120 .

[61]- انظر :صحيح للبخاري كتاب المغازي،باب:كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ح :4424-126/8.

مما جاء في كتابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم الذي بعثه مع دحية الكلبي:"من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم،ألا نعبد إلا الله،ولا نشرك به شيئا،ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون،فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾([63]).

ولقد قرأ دحية الكلبي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من قراءته ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط .

ويروى أنه عندما قرأ قيصر رسالة النبي ﷺ أرسل يبحث عن بعض المتصلين بالنبي صلى الله عليه وسلم، من قومه وعشيرته، فحضرت جماعة من التجار كان من بينهم أبو سفيان وخلص الحديث إلى أن قال قيصر معترفا بصدق الداعي ودعوته: إن كان كما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم قال لصاحبه دحية الكلبي: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا ننظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته([64]).

---

[62]- انظر: تاريخ الطبري :3/90-91.

[63]- أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي 1/32-33. وفي كتاب الشهادات،باب:من أمربإنجاز الوعد وفعله حسن ، ح:2681-5/289.و مسلم في كتاب الجهاد، باب:كتاب النبي ﷺ إلى هرقل... ح:1773-/ 1393-1394 3 /107/109 - وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، 1/346

[64]- أنظر موارد الظمآن:ح:1628 ،بإسناد صحيح كما قال محقق الزاد 1/121، ورواه أيضا أبو عبيد في الأموال ص:255 بإسناد صحيح لكنه مرسل،ونقل الزرقاني في شرح المواهب 3/240 عن الفتح أنه في مسند أحمد أيضا ولم يذكر صحابيه، وقد رواه ابن حبان أيضا في صحيحه مع بعض الزياة، انظر: تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي ص:386.

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد شح بالملك وطلب الرئاسة وآثرهما على الإسلام، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي، فإنه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة([65]).

ومما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى كسرى عظيم فارس الذي بعثه مع عبد الله ابن حذافة السهمي رضي الله تعالى عنه ([66]):

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله.... أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت فعليك إثم المجوس)([67]) فلما قرئ عليه الكتاب، مزقه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال: مزق الله ملكه([68]).

قال الإمام السندي رحمه الله تعالى: قوله: "فدعا عليهم رسول الله ﷺ بأن يمزقوا كل ممزق"قال: أراد بتمزيقهم تفرقهم وزوال ملكهم وقطع دابرهم، وقد وقع ذلك فما بقي فيهم الملك([69]).

ومما جاء في كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة الذي بعث به مع عمرو بن أمية الضمري:

---

[65]- رواه مسلم،كتاب الجهاد باب:كتب النبي ﷺ 107/12.وانظر السيرة النبوية للندوي ص:517 وما بعدها.

[66]- انظر التاريخ:654/2-655، من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل،والأموال لأبي عبيد ص:253 مرسلا وبذلك يكون الحديث حسنا كما ذكر الألباني في حاشيته على فقه السيرة للغزالي ،ص:388، وانظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص: 61-62.

[67]-تاريخ الطبري 654/3،تحقيق أحمد أبو الفضل،،أخرجه الألباني في فقه السيرة للغزالي وقال:حديث حسن صحيح ص: 388.

[68]- أورده الزيلعي في نصب الراية420/4-421.بلفظ قريب من طريق الواقدي وعزاه شارحه لابن سعد في طبقاته مختصرا وأخرجه البخاري في المغازي باب: كتاب النبيﷺ إلى كسرى،ح:4424 -8/ 126.ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب:كتب النبي ﷺ الخ ح:1774-1397/3وابن سعد في طبقاته 189/4والنسائي ف السنن الكبرى،5859.

[69]- انظر الهامش (2) من الصفحة 574 من زاد المعاد لابن القيم ، 574/3.

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه،كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة عن طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى([70]).

وصح أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي([71]): تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك أن لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. فآمن ومن كان عنده، وأرسل إلى رسول الله ﷺ بهدية حلة، فقال رسول الله ﷺ : أتركوه ما تركتكم([72]).

فقال ابن إسحاق: إن عمرا قال له:يا أصحمة:إن علي القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا ، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر. فقال النجاشي:أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب،وأن بشارة

---

[70]- انظر :الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص :101- 103. والزيلعي في نصب الراية421/4، من رواية الواقدي.

[71]- انظر :صحيح مسلم:كتاب الجهاد والسير باب:كتب النبي (ص) الخ ،ح: 1774 ، 1397/3.

[72]- رواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب:النهي عن تهييج الحبشة،ح:4309 و 4302-490/4 بلفظ أتركوا الحبشة ما تركوكم والحاكم في المستدرك:453/4 . والنسائي في كتاب الحهاد باب:غزوة الترك والحبشة،44/6.

موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر([73]).

ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ وبعثه مع ولده: بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا([74])إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين([75]).

وقد بعثت إليك بابن أرهابن الأصحم بن أبجر ، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله([76]).

وتوفي النجاشي سنة تسع، وأخبر رسول الله ﷺ بموته ذلك اليوم، فخرج بالناس إلى المصلى، فصلى عليه وكبر أربعا.

قال ابن القيم: قلت وهذا وهم - والله أعلم - وقد خلط راويه، ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه، وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه، فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي، وليس بالذي صلى عليه([77]).

---

[73]- انظر:هداية الحيارى لابن القيم الجوزية ص:34.

[74]- الثفروق: بضم الفاء قمع التمرة، أو ما يلتزق به قمعها، جمع ثفاريق، وماله ثفروق شيء.والثفروق:علاقة ما بين النواة والقشر.

[75]- أنظر: نصب الراية للزيلعي 421/4 من رواية الواقدي.

[76]- تاريخ ابن جرير الطبري 2 / 652-653.

[77]- أخرجه مسلم ح: 1774.راجع فقه السيرة من زاد المعاد ص:550. وزاد المعاد لابن القيم 575/3-576

وأما عن كتابه ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ـ ملك مصر والإسكندرية ـ (وكان قد بعثه مع حاطب بن أبي بلتعة التميمي). فمما جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم القبط.

قال ابن القيم: بأن حاطبا قال للمقوقس لما لقيه: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك، قال: هات. قال: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه، فقال حاطب: ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريشا، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، ووصف لحاطب أشياء من صفة النبي ﷺ.

وقال له: وسأنظر، وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه،وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان

في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك. ولم يزد على هذا، ولم يسلم، والجاريتان: مارية وسيرين، والبغلة دلدل، بقيت إلى زمن معاوية([78]).

هكذا إذن وجه عليه الصلاة والسلام هذه الكتب إلى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة بعد أن وجه عددا كبيرا من الرسائل الأخرى لرؤساء العشائر والقبائل داخل الجزيرة العربية دون خوف ولا وجل، وبالإضافة للنتائج الدعوية الرائعة التي حققتها فقد كانت أيضا أكبر دليل على الكفاءة السياسية والخبرة المحنكة والشخصية القوية، التي كان يتمتع بها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، كما أنها كانت تعبيرا حيا صادقا على التقة في وعد الله تعالى لهذا النبي ولأمته بالنصر والتمكين.

ولقد استمرت شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم المتميزة الفذة في العطاء والإنارة إلى اللحظة الأخيرة من حياتها، فإذا كان بعض الناس وقت الوداع والاحتضار يخر ويضعف ويفكر في أهله وذويه وما سيخلفه من ورائه، فإن الرسول ﷺ مع ما يتمتع به من رجاحة في العقل والتفكير وحسن في التدبير، وعلى الرغم من سيادته الشاملة التي وضع المسلمون فيها جميع أموالهم وأرواحهم تحت تصرفه، فإنه ﷺ ترك ذرية لا ترث عنه شيئا من متاع الدنيا، لقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول: (اللهم ارزق آل محمد قوتا)([79])،كما أنه أمر أهل بيته ساعة وفاته أن يتصدقوا بجميع ما في بيته مما كان من الدراهم القليلة، وقال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)،وقال([80]): (إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم)([81]).

---

[78]- انظر :نصب الراية للزيلعي،4/421-422. والطبقات الكبرى لابن سعد،1/260-261 وزاد المعاد لابن القيم:3/477.

[79]- رواه البخاري في الرقاق،باب:كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ح: 6460-11/283

[80]- رواه الإمام أحمد في مسنده ج:1 حديث رقم : 10و13

[81]- رواه ابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ح: 1،223/81. والترمذي في كتاب العلم باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة ح: 5،2682/48-49.

وروى أبو أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت: لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك)([82]). ومثل هذه المواقف دليل واضح على قوة الشخصية.

كما أنه لم يعط أحدا من ذريته وأهله مهما قرب منه امتياز الخلافة عنه، أو الإمارة على الناس. وختم رسالته ﷺ وهو لا يفكر بغير سلم الإنسان، والعمل لخيره على اختلاف الأعراق والأجناس والأديان وقال في ذلك: (والناس بنو آدم وآدم من تراب)([83]).

هذا ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن الله تعالى قد ميز في القرآن صراحة بين شخصيتين لمحمد ﷺ، فهو في الأصل رسول الله إلى الناس فيما يبلغهم عن الله من ناحية، ثم هو من ناحية ثانية ـ تبعا للأولى ـ ولي أمرهم للنظر في شؤونهم مدة حياته معهم، على أن يبايعوه البيعتين: بيعة على الإسلام وبيعة على الطاعة له.

أما شخصية محمد ﷺ الأولى فلا تخضع أعمالها إلى أية مشورة مع الناس، وذلك مصداقا لما جاء في القرآن:﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾([84]).

وأما شخصيته الثانية التابعة باعتباره ولي أمر المؤمنين، عملا بما جاء في القرآن في قوله تعالى:﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾([85])

---

[82]– رواه الإمام أحمد في مسنده ، 8/ 22252 ، ورواه الطبراني في الكبير ، 8/244-245 وحسنه الترمذي في كتاب الزهد ؛باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه ، ح :2347، 4/575..

[83]– رواه الترمذي في كتاب المناقب باب في فضل الشام واليمن ح:3956 وقال:وهذا أصح ... وسعيد المقبري قد سمع أبا هريرة، ويروي عن أبيه أشياء كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنظر :سنن الترمذي ج:5 ص:735.

[84]– سورة المائدة الآية:67

[85]– سورة الأحزاب الآية:6

فقد أمره الله بمشاورتهم كما جاء في القرآن أيضا:﴿وشاورهم في الأمر﴾([86]).

"وفي هذا رد على المستشرقين وتلامذتهم الذين قالوا بأن محمدا ﷺ كان مزدوج الشخصية، وذلك لأنه قبل الهجرة ركز أفكاره حول يوم الحساب الآخر، وتحمل كل الأذى والعدوان، دون أن يبدي إمكان المقاومة الفعلية إلا على استحياء، ويفضل أن يترك كل شيء لمشيئة الله تعالى،لكنه بعد الهجرة إلى المدينة وبدفعة واحدة أظهر نفسه بمظهر السياسي البارع.

وقد غاب على هؤلاء أن من أهم مميزات وخصائص الإسلام أنه ينظر إلى الحياة الإنسانية على أنها وحدة متماسكة يتلاءم فيها الدين مع الدنيا، وأنه لا يؤمن بالرهبانية، ولا يأمر بهجر المتاع المادي، بل إنه يؤكد أن السمو الروحي المنشود لا يتحقق إلا عن طريق مواجهة الحياة بشدائدها ورخائها بالاستقامة والتقوى، وأن تعاليم الإسلام ترعى حاجات الإنسان الروحية والجسدية على حد سواء، ويتلخص هذا التصور في قوله تعالى: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾([87]). هذا هو الإنسان في التصور الإسلامي، وهو خلاف ما في المسيحية التي اهتمت بالجانب الروحي من الحياة فقط"([88]).

"والذين اتهموا النبي ﷺ بازدواج الشخصية كانوا ـ بقصد أو بغيره ـ متأثرين بالثقافة المشبعة بمبادىء المسيحية، ولذلك استقر في أذهانهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول مثالي بنى دعوته على الدعوة إلى الإعراض عن الدنيا والانقطاع عن شؤون الحياة، وحمل النفس على الزهد في متاعها والصبر على المكاره وتحمل الأذى وتفويض كل شيء لإرادة الله وقضائه في المرحلة المكية، وفي المرحلة

---

[86]- سورة آل عمران الآية : 160

[87]- سورة البقرة الآية : 99.

[88]- انظر: سلسلة تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة (3) السيرة النبوية ، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا إعداد د. أحمد أبو زيد بتصرف يسير ، منشورات الإيسيسكو 1420هـ-1999م، ص : 130.

المدنية انقلب إلى رجل عملي يؤسس جماعة ويعنى بشؤونها السياسية والعسكرية والاجتماعية، ويحارب أعداءه، ويخطط لمستقبل الأمة ويعد القوة المادية لحمايتها.

والحقيقة أن هذا اتهام باطل، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية لم يقم بالتنظيم الاجتماعي والسياسي للجماعة الإسلامية،لأن الوضع لم يكن يسمح بذلك، وإذا كان يتحمل الأذى بصبر ويأمر أصحابه بالصبر كذلك فلأن الله تعالى أمره بذلك، وهو سبحانه يعلم ما كان فيه من الحكمة البليغة. كما أنه لم يناد بالقتال وحمل السلاح إلا بعد أن أمره الله تعالى به، بعد أن طغى العدو وتجاوز الحد في المكر والتنكيل بالمؤمنين .

"وإذا جاز أن يتهم النبي ﷺ بالازدواجية في شخصيته لهذه العلة، فإن كل عاقل أو حكيم من القادة والزعماء والمصلحين الذين يؤخرون بعض الأعمال إلى أن تتهيأ لها الظروف المواتية، ويتخذون في كل مرحلة من المواقف ما يناسب أوضاعهم، إن كل واحد من هؤلاء يصح أن يتهم بازدواج الشخصية وهذا محال"([89]).

وإن مما تجدر الإشارة إليه أن بعض المغرضين، وقصيري النظر، وبسطاء العقول، أرادوا الطعن في هذا الدين، فدخلوا من هذا الباب وجزموا بأن النبي محمدا ﷺ تمكن من تحقيق هذا النجاح في هذه الفترة الزمنية الوجيزة بفعل شخصيته هذه، شأنه شأن باقي الزعماء والكبار، وأن نجاحه يكمن في قوته ووعيه، ولهذا فقد دعا إلى أفكار لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها لا يأتون بها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا([90]). ولهذا فلا علاقة له بالوحي ولا بالنبوة والرسالة. وهذا تفسير مادي محض، يسقط الصلة الروحية بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه، الذي أيده وثبته بتأييده وكلماته، وينطلق من تصور مادي هو أن القوة المعنوية التي كان يتمتع بها النبي صلى الله عليه وسلم، جعلته يصمد أمام التحديات الكبرى، ويواصل دعوته

[89]- انظر سلسلة تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة ص:130 وما بعدها.
[90]- نفس المرجع ص:67.

بإصرار وثبات بالرغم من شراسة أعدائه، وشدة بطشهم ومكرهم، ترجع إلى شعوره الذاتي واعتقاده الشخصي في نفسه وأفكاره.

"والواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم يتحلى بصفات ذاتية حميدة كالشجاعة والعزم والصبر ورباطة الجأش، ولكن هذه الصفات وحدها لا تفسر سر قوته، فهناك جانب آخر من هذا السر مستمد من صلته القوية بربه ووعيه برسالته، والذي يثبت هذا أنه صلى الله عليه وسلم في مواقف الضعف البشري أمام حالات الشدة والابتلاء الشديد، يتوجه إلى ربه بالعبادة والدعاء، سائلا العون والتأييد والنصر، ولو كانت قوته ذاتية أو شعورية، لكان له سلوك آخر غير هذا، وأدعيته صلى الله عليه وسلم كثيرة محفوظة"([91]).

ومما تقدم يتبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قمة في كل شيء، وهذه ميزة عظيمة امتاز بها عن سائر الخلق، بمن فيه الأنبياء والمرسلون، ولهذا فقد كمل عليه الصلاة والسلام خلقا وخلقا، وكان قدوة خير حسنة ، فرغم أن كل الأنبياء وجدت عندهم القدوة لكنها لم تكتمل وترتفع وتشمخ إلى القمة إلا عند محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا فإن كل إنسان يمكنه أن يطلب قدوته منه ويستفيد من عبير دروسه وجميل خططه ...فالعزب، والمتزوج، ورب الأسرة، والعامل، ورب العمل، والفرد العادي، ورئيس الدولة، والمرؤوس، والزعيم السياسي، والقائد العسكري،كلهم يجدون فيه قدوتهم الكاملة، فهو صلى الله عليه وسلم قدوة في كل الميادين، ولا يسع الراغب في الاقتداء الحسن، والمتطلع إلى نموذج القائد الناجح الذي يحقق الأمن وينشر السلام إلا أن يطلب قدوته منه صلى الله عليه وسلم.

ولعل من أهم الأدلة التي توضح ما ذكرنا أن سيرته المطهرة، وجميع تصرفاته وما صدر عنه، كله مسجل ومدون في كتب متعددة من كتب الحديث والسيرة، وهذه الكتب شاملة لكل ما جاء عنه، حتى شملت هذه المدونات الأحداث والوقائع

[91]- المرجع نفسه ص:67-68.

الخاصة التي تجري في البيت، مع نسائه أمهات المؤمنين، وما عرف عن أحد قط حديثا أو قديما، تحدث عنه الناس بهذه الصراحة وبهذا الوضوح.

ثم إن كل ما صدر عنه قد بحث ونوقش ووضع تحت منظار العقل والنقل، بطريقة فريدة في العالم، وهذا البحث وهذه المناقشة كانتا من قبل طبقات من الرجال لا عهد للعالم كله بأمثالهم، فقد امتازوا بالصدق، ودقة الضبط والنقل.

ونتيجة لبحث ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نشأت علوم ومعارف وأبحاث تكاد أن تبلغ الغاية وتصل إلى النهاية، تحت قبة السنة المطهرة والسيرة العطرة، وهذا ما لم يتم لأحد غيره عليه الصلاة والسلام.

هذا شيء من تاريخ هذه الشخصية الفذة، التي تمكنت في مدة تزيد قليلا على العشرين سنة، أن تقلب الإنسانية، وأن تحول مجرى تاريخها من جهل وتخلف إلى حضارة ورقي، مراعية في ذلك ظروف الناس وأحوالهم، ومتبعة في ذلك السياسة المرحلية الحكيمة.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن اقتفى آثارهم وسار على منهجهم إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

"مَسْؤُولِيَةُ الأَطِبَّاءِ الجِنَائِيَةُ فِي الفِقْهِ الإِسْلامِيِّ وَالقَانُونِ الوَضْعِيِّ"

د. محمد فتح الله اسطيري

تعد مهنة الطب من أنبل المهن الإنسانية، لما تحققه من خدمات جليلة لبدن الإنسان، ولما تسعى إليه من حماية المجتمع من المخاطر المرضية التي قد تحدق به.

وبناء على المصحلة التي يحققها الطب، فإن الطبيب في تناوله لهذه المهمة يحتاج إلى جو تسوده الثقة و الحرية، ليمارس مهنته باطمئنان، لكن هذه الثقة والحرية ينبغي أن تحدا بحدود وتتقيدا بقيود، وتضبطا بضوابط، لأن الطبيب وهو يُطبب جسد المريض، عليه أن يدرك أن جسد الإنسان هو أثمن ما يملكه في هذه الحياة، فإذا فقده فقد الحياة كلها، ولذا ينبغي أن يُحرص على حمايته وصيانته من كل أذى وضرر يلحق به.

وتبدو مسؤولية الطبيب الجنائية إذا خالف المبادئ المتفق عليها في مهنة الطب عن طريق الإهمال أو الطيش، وهنا يتدخل القاضي ليكون سلوك الطبيب محل المساءلة عن طريق الخبراء، لتقدير ما إذا كان الطبيب خالف أصول المهنة أو تعداها.

ويزداد تدخل القاضي في زماننا هذا ، الذي يغلب فيه على بعض الأطباء صفة الارتزاق والتسول، ويكون هذا بإجبار الطبيب مريضه على إجراء عملية جراحية في عيادته قصد الحصول على رزق وافر، أو إخضاعه للكشوفات بالآلات - وإن لم يحتج لها المريض - ليبتز منه ثمنها.

والمسؤولية: هي تحميل الإنسان نتيجة عمله.

والجناية في اللغة: من جنى الثمرة اجتناء بمعنى التقط، وجنى عليه يجني جناية، والتجني مثل التجرم، وجنى جناية: أذنب، ويقال جنى على نفسه، وجنى على قومه، والجناية اسم لما يجنيه الإنسان من الآثام والشرور[1].

والجناية في الاصطلاح: هي محظورات وجرائم زجر عنها المشرع بحَدٍّ أو تعزير[2].

لكن الجناية عند فقهاء الشريعة الإسلامية قديما لها اصطلاح خاص، إذ كل مذهب من المذاهب الفقهية يقصرها على معنى معين.

فالحنفية يعنونون لها في كتبهم بالجنايات، والمالكية يجعلونها تحت باب الدماء، والشافعية يلقبونها بالجراح، وكلهم يقصرونها على الاعتداء الواقع على الجسد وأعضائه بالقتل والجرح والضرب.

أما المراد بالمسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية؛ فهي أن يتحمل الإنسان نتائج الأفعال المحرمة التي يأتيها مختارا، وهو مدرك لمعانيها ونتائجها[3].

وعليه فالمسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية تقوم على أسس ثلاثة:

أولها: أن يأتي الإنسان فعلا محرما.

ثانيها: أن يكون الفاعل مختارا.

ثالثها: أن يكون الفاعل مدركا أي مميزا.

فإذا وجدت هذه الأسس الثلاثة، وجدت المسؤولية الجنائية، وإذا انعدم أحدها انعدمت.

كما تظهر مسؤولية الأطباء الجنائية تجاه مرضاهم بما يقع منهم من أخطاء أثناء مزاولتهم لمهنتهم، وذلك كعلاج الطبيب عضوا لا يحتاج إلى علاجه، أو تعديه في

---

(1) "مختار الصحاح" للرازي ص: 114 ــ و "المعجم الوسيط" ج1 ص: 141.

(2) "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" للماوردي ــ ص: 219.

(3) "التشريع الجنائي الإسلامي" ــ عبد القادر عودة ــ ج1 ص: 392.

العلاج إلى عضو يفسده، أو نسيانه لبعض الأجسام بداخل المريض، أو زيادة في تخدير المريض مما يؤدي إلى وفاته.

وعليه فيكون من أسباب الخطإ الطبي الأمور الآتية:

أ ـ سُوءُ التَّشْخيص:

كأن يشكو المريض من ألم فساد في الزائدة الدودية، مما ينبغي الاستعجال باستئصالها، فيصف له الطبيب دواء مسكنا يتعلق بمغص كلوي، أو مغص الأمعاء الغليظة، ثم يحدث انفجار في الزائدة الدودية، فيسبب وفاة صاحبها أو ضررا في داخله.

ب ـ الخَطَأُ في التَّشْخيص:

وهذا يتعلق بالعمليات الجراحية التي تتطلب تخدير المريض الذي هو من اختصاص طبيب الإنعاش، فإذا انفرد الطبيب بالتشخيص والعلاج والإنعاش دون الاستعانة بالطبيب المختص في الإنعاش، فوقع منه خطأ، فإنه يكون مسؤولا عن هذا الانفراد.

د ـ الإهْمَالُ وعَدَمُ المُلاحَظَة:

يرتبط هذا بالأخطاء التي يرتكبها الطبيب أثناء إجراء العمليات الجراحية، كأن ينسى داخل المريض بعض أدوات التطبيب مما ينتج عنه أضرار أخرى تحل بالمريض، كتورم المكان، أو إصابته بالشلل، وهذا كله ناتج عن عدم الدقة والملاحظة أثناء إجراء العملية الجراحية[4].

---

[4] انظر: "مسؤولية الأطباء عن العمليات التعويضية والتجميلية والرَّتق العذري " لمحمد جميل الزيني ص: 106.
و "التزام الطبيب باحترام المعطيات العلمية" لمحمد السيد عمران ص: 6.

ولبيان موقف الفقه الإسلامي والقانون الوضعي من جنايات الأطباء تجاه مرضاهم، نجعل هذا المقال في فقرتين:

الفقرة الأولى: موقف الفقه الإسلامي من جنايات الأطباء.

الفقرة الثانية: موقف القانون الوضعي من جنايات الأطباء.

الفقرة الأولى: موقف الفقه الإسلامي من جنايات الأطباء:

إن المقصد من أعمال الجراحة والتطبيب، علاجُ جسم الإنسان مما يكون قد حل به من الأمراض والأسقام، لكن هذا العلاج قد يؤدي إلى وفاة المريض أو إلحاق ضرر به، فهل يسأل الطبيب عن ذلك جنائيا؟ .

أجاب الفقهاء عن ذلك بتفصيل:

قال ابن فرحون المالكي: " إذا ختن الخاتن صبيا، أو سقى الطبيب مريضا دواء، أو أجرى له عملية جراحية فمات من ذلك، فلا ضمان على أي منهما، إذا كان من أهل المعرفة ولم يخطئ في فعله، فإذا أخطأ في فعله فالدية على عاقلته[5]، فإن لم يكن من أهل المعرفة عوقب[6].

قال ابن رشد: "وأجمعوا على أن الطبيب إذا أخطأ لزمته الدية، مثل أن يقطع الحشفة في الختان، وما أشبه ذلك، لأنه في معنى الجاني خطأ.

وعن مالك رواية: أنه ليس عليه شيء، وذلك عنده إذاكان من أهل الطب، ولا خلاف أنه إذا لم يكن من أهل الطب أنه يضمن، لأنه متعد، وقد ورد في ذلك مع الإجماع حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "من تطبب

---

[5] العاقلة: هم القرابة من قبل الأب، وهم العَصَبَة. "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد. ج 2 ص:416.

[6] "تبصرة الحكام في الأقضية ومناهج الحكام" لابن فرحون ج 2 ص: 349 .

ولم يُعلم منه قبل ذلك الطب فهو ضامن"[7]. والدية فيما أخطأ الطبيب عند الجمهور على العاقلة، ومن أهل العلم من جعله في مال الطبيب[8].

وساق ابن فرحون في التبصرة من فتاوى ابن حجر حيث قال:

"وسئل عن رجل مرض فأرسل إلى حكيم فجاء إليه وأمره بشربة، فشربها فتعب بها تعبا شديدا بحيث قارب الموت، ثم مَنَّ الله سبحانه وتعالى عليه ببعض العافية، ثم اشتد المرض، فقال لورثته ما أنا لكم بصاحب، وسبب ذلك الشربة التي أسقانيها فلان، ثم مات فما الحكم في ذلك؟ فأجاب: لا قصاص ولا دية على الطبيب بمجرد أمره للمريض المذكور بشر ب الدواء[9].

وسئل عما إذا داوى طبيب غيره فهل يضمن؟

فأجاب: إن كان غير عارف بالطب وتولد الهلاك من ذلك الدواء بقول عدلين، ضمن، لخبر أبي داود في سننه وابن ماجه: أنه ﷺ قال: "من تطبب ولم يعرف الطب فهو ضامن"[10].

ويمكن تفسير الحديث السابق بمعنيين:

أولهما: الجهل المطلق، يعني أن المتطبب لا يعرف من علم الطب ما يمكن وصفه بالمعرفة به في عرف الزمان والمكان الذي تطبب فيه، ومثل هذا من يمارس قلع الأسنان وعلاجها وهو لا يعرف بالمرة عن طب الأسنان شيئا، أو من يعالج الأمراض الباطنية وهو غير متخصص فيها.

ثانيهما: متطبب يعرف الطب ولكن غير ماهر في معرفته، أي إنه نصف طبيب.

---

(7) أخرجه أبو داود في كتاب "الديات" باب: 23 والنسائي في "القسامة" : 41، وابن ماجة في" الطب": 16. وقد حسَّن الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه "صحيح أبي داود".

(8) "بداية المجتهد" ج 2 ص: 418.

(9) "تبصرة الحكام" لابن فرحون ج 2ص: 335 ــ 336.

(10) سبق تخريجه.

وقد تكلم ابن قيم الجوزية عن خطإ الأطباء وما يرتبط به من جنايات، فقسم جنايات الطبيب إلى خمسة أقسام:

الأول: طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، ولم تَجْنِ يَدُه، فتولد من فعله المأذون فيه من جهة الشرع، ومن جهة من يطببه تلف عضو أو النفس، أو ذهاب صفة، فهذا لا ضمان عليه اتفاقا، لأنها سراية مأذون فيه، ومثال ذلك: إذا ختن الصبي في وقت، وسنه قابل للختان، وأعطى الصنعة حقها، فتلف العضو، أو الصبي لم يضمن، وهكذا سراية كل مأذون فيه لم يتعد الفاعل في سببها، كسراية الحد بالاتفاق.

الثاني: متطبب جاهل باشرت يده من يطبه فتلف به، فهذا إن علم المجني عليه أنه جاهل لا علم له، وأذن في طبه لم يضمن، وإن ظن المريض أنه طبيب، وأذن له في طبه لأجل معرفته، ضمن الطبيب ما جنت يده، وكذلك إن وصف له دواء يستعمله، والعليل يظن أنه وصفه لمعرفته، وحذقه به، ضمنه، والحديث ظاهر فيه وصريح.

الثالث: طبيب حاذق أذن له وأعطى الصنعة حقها، لكنه أخطأت يده وتعدت على عضو صحيح فأتلفه، مثل إن سبقت يده الخاتن إلى الكمرة، فهذا يضمن لأنها جناية خطإ.

الرابع: الطبيب الحاذق الماهر بصناعته، اجتهد فوصف للمريض دواء فأخطأ في اجتهاده فقتله، فهذا يُخَرَّج على روايتين:

إحداهما: أن دية الميت من بيت المال.

والثانية: أنها على عاقلة الطبيب. وقد نص عليهما الإمام أحمد في خطإ الإمام والحاكم.

الخامس: طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، فقطع سلعة من رجل أو صبي أو مجنون بغير إذنه أو إذن وليه، أو ختن صبيا بغير إذن وليه فتلف، فقال أصحابنا ـ الحنابلة ـ يضمن، لأنه تولد من فعل غير مأذون فيه، وإن أذن له البالغ أو ولي الصبي والمجنون، يحتمل أنه لا يضمن مطلقا لأنه محسن، وما على المحسنين من سبيل[11].

الفقرة الثانية: موقف القانون الوضعي من جنايات الأطباء:

ترتبط جنايات الأطباء بالأخطاء التي يقترفها الأطباء تجاه مرضاهم.

والخطأ الطبي من الوجهة القانونية عموما: "إخلال الطبيب بالقواعد والأصول المتعارف عليها في مهنة الطب"[12].

والمقصود بالقواعد والأصول الطبية، هي مجموعة القواعد العلمية والفنية المتعارف عليها من قبل المشتغلين بمهنة الطب، التي يتوجب على كل طبيب الالتزام بها وعدم تجاوزها والخروج عنها وقت مزاولة المهنة.

فإذا وقع الخطأ من طبيب ما، فهل يسأل جنائيا عن ذلك الخطإ أم لا؟

اختلفت آراء فقهاء القانون حول مسؤولية الطبيب الجنائية في هذه الحالة، فمنهم من قال بإعفائه من المسؤولية بالمرة، ومنهم من قال بوجوب مساءلته عما ارتكب نحو المريض، ومنهم من فرق بين الخطإ المادي والخطإ المهني.

أما من ذهب إلى إعفائه من المسؤولية بالمرة فقد احتج بالأمور الآتية:

أ ـ يتوافر الطبيب على إجازة علمية تقرر مدى كفاءته للقيام بعمله الطبي، وبمقتضى هذه الإجازة سمح له بمزاولة مهنة الطب.

---

(11) "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن قيم الجوزية، ج 4 ص: 139. و "الطب النبوي" لابن قيم الجوزية ص: 109.

(12) "شرح القانون الجنائي" محمد الخمليشي ص: 161. والمسؤولية الجنائية" مصطفى القللي ص: 218. و" مسؤولية الطبيب الجراح الجنائية بالمغرب" نور الدين العمراني، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الحقوق بالرباط ص: 97 ـ 98.

ب ـ إن القول بمساءلة الطبيب جنائيا من شأنه أن يقضي على الطمأنينة التي يجب أن يشعر بها أثناء قيامه بعمله الطبي، كما أن مهنة الطب لا يمكنها أن تتقدم إلا إذا منح الطبيب قدرا من التعويض المطلق بخصوص مرضاه، لا يحده ولا يحكمه في ذلك سوى ضميره، وشرف المهنة التي أدى اليمين من أجل مزاولتها بكل ثقة وإخلاص. وعلى هذا الأساس يجب أن يتمتع الطبيب بحرية مطلقة أثناء معالجة مرضاه حتى لا تعرقل مسيرة التقدم العلمي، إذ إن مساءلة الطبيب عن كل خطإ يقع فيه سوف يوقف الأطباء عن متابعة مسيرة البحث العلمي، والقيام بالتجارب العلمية الجديدة، وإن الضحية سيكون هو المريض، سيما وأن علم الطب هو علم دائم ومتطور[13].

ج ـ حرية المريض في اختيار طبيبه، لما كان المريض هو الذي يختار طبيبه بمحض إرادته ويضع نفسه رهن إشارته، بات من اللازم أن يحسن المريض اختياره له، وأن يتأكد من مدى كفاءته وخبرته العلمية ومؤهلاته الفنية، وإلا تحمل نتيجة اختياره، فيكون هو المسؤول عما أصابه بسبب سوء الاختيار.

أما من ذهب إلى وجوب مساءلته جنائيا فيستدل بالآتي:

أ ـ إن سبب اشتراط توافر الطبيب على الإجازة العلمية يكمن في حماية المواطنين من المحتاجين، وكذا من أخطاء الأشخاص غير المؤهلين لمباشرة مهنة الطب، وليس على أساس عدم المساءلة. ثم إن إعفاء الطبيب من المسؤولية على أساس إجازته العلمية معناه تشجيعه على عدم مسايرة التقدم العلمي، خصوصا وأن علم الطب هو علم متطور ومتجدد باستمرار.

(13) "الوسيط في شرح القانون المدني المصري" عبد الرزاق السنهوري ج 1 ص: 931 بتصرف.

ب ـ إن النصوص الواردة في موضوع المسؤولية عن الخطإ هي نصوص عامة لا تفرق بين الأطباء وغيرهم من الأشخاص، وبالتالي فلا يقبل إعفاء الأطباء من المسؤولية إعفاء تاما.

ج ـ إن القول بإعفاء الطبيب من المسؤولية الجنائية على أساس خطإ المريض في اختياره له لا يمكن الأخذ به، لأن حالة المريض وثقافته في بعض الأحيان لا تسمح له ـ بالتأكيد ـ التعرف على كفاءة الطبيب ومدى خبرته العلمية، فهو في غالبية الأحيان يكون مغلوبا على أمره فيفرض عليه، وخصوصا في حالة اختيار الطبيب من طرف أحد أقاربه.

نخلص مما سبق، أن رأي القائلين بمسؤولية الطبيب الجنائية، هو في الواقع رد عل الحجة التي تمسك بها القائلون بإعفائه من المسؤولية.

أما من فرق بين الخطإ المادي والخطإ المهني، فجعله مسؤولا جنائيا عن الخطإ المادي دون الخطإ المهني.

والخطأ المادي: هو ما يرتكبه الطبيب من أخطاء في أثناء مزاولته مهنة الطب، ولا علاقة لها بالأصول الفنية لهذه المهنة[14].

مثاله: كأن يُجري طبيب عملية جراحية وهو في حالة سكر، فتقع منه جناية، أو من ينسى مقصا في جوف مريض أجريت له عملية جراحية، أو من يمتنع عن معالجة مريض دون سبب، أو يأمر بإخراجه من المستشفى أو العيادة رغم أن حالته الصحية لاتسمح بذلك، ففي مثل هذه الأخطاء تقع مساءلة الطبيب جنائيا[15].

من خلال ما سبق يتبين أن الخطأ المادي هو الخطأ الذي يعود إلى الإخلال بقواعد الحيطة والحذر التي يجب أن يلتزم بها كافة الناس، ومن بينهم الأطباء قبل التزامهم بالقواعد العلمية والعملية لمزاولة المهنة، وهذا ما أكدته محكمة الاستئناف

(14) "الوسيط" للسنهوري ج 1ص: 931.

(15) انظر "مسؤولية الطبيب في التشريع الجنائي" أغريس ص: 61.

بالعمليات الجراحية. وهنا يجب على الطبيب أن يوازن بين أخطار العلاج وأخطار المرض وفقا للمعطيات العلمية المكتسبة، فإذا كانت الحالةميؤوسا منها، فالطبيب حر في اختيار العلاج الأنسب لمريضه لإنقاذه، بخلاف ما إذا كان المرض لايهدد حياة المريض، فإن حرية الطبيب تضيق في اختيار العلاج، وكل خطإ في العلاج كان سببه إهمالا أو جهلا بالأصول العلمية والقواعد الطبية، يسأل عنه جنائيا.

ج ـ الخَطأُ في تَحْرِيرِ الْوَصْفَة:

الشهادة هي الوثيقة التي يُثبت فيها الطبيب ما انتهى إليه من نتائج بعد مرحلتي الفحص الطبي والتشيخص، وقد سميت كذلك تمييزا لها عن بقية الوثائق الطبية الأخرى.

ففي الشهادة الطبية يدون الطبيب نوعية المرض، وكذا العلاج الواجب اتباعه، والأدوية الواجب تناولها، وطرق استعمالها.

فكل خطإ في الوصفة الطبية، أو إهمال، أو عدم احتياط عند تحريرها يؤدي إلى تسمم المريض في تناول الأدوية، يسأ ل عنه الطبيب جنائيا.

د ـ الخَطأُ في عَمَلِيَاتِ التّخْدِيرِ:

إن عملية تخدير الجسم كله أو بعض أعضائه يلجأ إليها الطبيب لمساعدته في العمليات الجراحية ، كما يساعد المريض في تخفيف آلام العملية الجراحية، لكن العملية رغم ما فيها من إيجابيات، فقد يترتب عليها وفاة المريض إذا لم يتخذ الطبيب كافة الاحتياطات اللازم اتخاذها قبل عملية التخدير، كفحصه مثلا لمعرفة حالته الصحية، ودقات قلبه، ونوع دمه، ونوع المخدر، فإذا لم يتأكد من ذلك وأدى الأمر إلى وفاة المريض، كان الطبيب مسؤولا جنائيا عن وفاته.

هـ ـ الخطأ في استعمال الأشعة:

يسأل الطبيب جنائيا إذا أخطأ في استعمال الأشعة التطبيبية، كأن يعرض المريض لأشعة أكثر، أو لمدة أطول مما يجب، فيلحق أضرارا بالمريض، أو يلجأ إلى استخدام آلة أشعة قديمة يؤدي استعمالها إلى إصدار أشعة تفوق درجتها طاقة المريض[19].

و ـ عدم احترام الطبيب للضوابط العلمية المسلم بها في مهنة الطب:

يصعب على القاضي أن يُلم بدقائق مهنة الطب ليثبت وجه الخطإ في سلوك الطبيب، لذا فإنه يستعين في ذلك بأهل الخبرة في هذا الشأن.

يقصد بالخبرة هنا الخبرة القضائية، وهي عبارة عن : " إجراء للتحقيق، يعهد به القاضي إلى شخص مختص يُنعتُ بالخبير، ليقدم للقاضي بيانا أو رأيا فنيا لا يستطيع القاضي الوصول إليه وحده".

فالمقصود من الخبرة: تنوير القاضي في المسائل الواقعية التي تستلزم فحوصا أو بحوثا يقتضي حلها اختصاصا فنيا معينا، بل تكوينا خاصا لا يتوافر بداهة في القاضي[20].

جملة القول: إن الطبيب يسأل جنائيا عن كل الأضرار التي قد تلحق بالمريض نتيجة تقصيره أو إهماله لقواعد المهنة، أو عدم احترامه للضوابط العلمية المسلم بها في مهنة الطب.

أما إذا رجعنا إلى نصوص القانون الجنائي المغربي فإننا نجدها لم تُفرّد الأطباء أو الجراحين خاصة بشأن المسؤولية الجنائية، إلا ما جاء عامّاً في الفصلين 432 و 433 فيما يخص القتل الخطأ أو الجرح الخطأ.

---

[19] انظر: "مسؤولية الطبيب في التشريع الجنائي" أغريس ص: 76 بتصرف.

[20] "التزام الطبيب باحترام المعطيات العلمية" محمد السيد عمران ص: 37.

جاء في الفصل 432: " من ارتكب بعدم تبصره، أو عدم احتياطه، أو عدم انتباهه، أو إهماله، أو عدم مراعاته النظم أو القوانين، قتلا غير عمدي، أو تسبب فيه عن غير قصد، يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى خمس سنوات وغرامة من مائتين وخمسين إلى ألف درهم".

وجاء في الفصل 433: "من تسبب بعدم تبصره، أو عدم احتياطه، أو عدم انتباهه أو إهماله، أو عدم مراعاته النظم أو القوانين في جرح غير عمدي، أو إصابة أو مرض، نتج عنه عجز عن الأشغال الشخصية تزيد مدته عن ستة أيام، يعاقب بالحبس من شهر واحد إلى سنتين، وغرامة من مائة وعشرين إلى خمسمائة درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط".

بسم الله الرحمن الرحيم

"مَوْقِفُ الْعُلَمَاءِ وَالنُّقَّادِ مِنْ شِعْرِ الرَّفَثِ وَمَرْوِيَّتِهِ"

[1]

ذ.محمد ويلالي

لا شك أن الفطر السليمة، والطباع المستقيمة، تنفر من الفحش والخنا كل النفور، وتقبل على العفاف والطهارة كل الإقبال. وهذا طبع جبل عليه الإنسان في كل عصر وفي كل مصر، بغض النظر عن النزوع الديني، والانتماءات، ومختلِف المشارب الفكرية والخلقية والعقدية..، إذ ليس هناك دين سماوي أو أرضي يمجد الرذيلة، ويمدح الفجور، ويدعو إلى قلب الحقائق التي ركزت في الفطر . وقديما ذم "أرسطو" الشعر الذي يُظهر المواقف المرذولة، ومجد الذي يحاكي النواحي الفاضلة المحمودة، وجعل الخطابة أداة تؤدي إلى غاية خلقية[1].

والعرب في الجاهلية ـ رغم ما عرف عنهم من مجون وتهتك ـ لم يشِذّوا عن هذا المبدإ، فقد كانت تدفعهم غيرتهم إلى التصدي لكل ما يخدش المروءة والأخلاق العامة، ولذلك اشتهر فيهم شعراء عرفوا بالعفة وحسن السمت، والالتام بالأخلاق..فكان منهم من يتأله في جاهليته، ويتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش،ولا يتهكم في الهجاء[2]، وعرف منهم "زهير بن أبي سلمى" الذي قدمه بعض الصحابة، كعمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان[3]. ومنهم "أمية بن أبي الصلت"، الذي قال فيه

---

(1) "فن الشعر" ــ ص: 32.

(2) "طبقات ابن سلام" ــ ص: 22.

(3) مقدمة "نقد الشعر" ــ ص: 23 بتحقيق: "عبد المنعم خفاجي ".

الرسول ﷺ: (وكاد أمية أن يسلم)[4]، ومنهم "لبيد بن ربيعة" الذي جعل النبيﷺ قوله: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) أصدق كلمة قالها شاعر[5]، وغيرهم.. فلما كان منهم من راغ على هذه المبادئ الفطرية الكريمة، وشذ عن هذاالسمت المركوز في الفطر، فقد لقي جزاءه من التنديد والتشهير، بل والإبعاد أحيانا، كما حصل ل"امرئ القيس"، الذي طرده أبوه لتعهره في شعره، وتغزله بالنساء وفحشه[6]، وكان مما قاله:

فمثلكِ حُبْلى قد طرقتُ ومرضعٌ *** فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له *** بشــقٍّ وتحتي شقُّها لم يحول

(وعِيب عليه هذا، لأن العرب تكره رفث القول، فالبيتان جيدان، لكن للفن حدود، ينبغي الوقوف عندها، ولكن امرأ القيس لم يقف، فلهذا عاقبته العرب، وهو سيد من ساداتها) [7].

وهذا ما يفسر تدمر أهل المدينة وغضبهم من شعر الرفث، واستياءَ هم من شعراء المجون، حتى قال بعضهم: (والله ما شعراؤنا إلا بلاء علينا، يثيرون مخازينا، ويهجون أحياءنا وأمواتنا)[8].

واستمرت الزراية بالمتهتكين من الشعراء حتى عصر الأمويين، حيث نجد الذوق العام ينفر منهم، ونجد الحكام يقفون منهم موقف الزجر والتأديب، وإن كانوا يظهرون

---

[4] صحيح البخاري ــ كتاب: الأدب ــ باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ــ رقم:5795.وصحيح مسلم ــ كتاب الشعر ــ رقم:2256.

[5] صحيح البخاري: كتاب: المناقب ــ باب أيام الجاهلية ــ رقم:5795. وصحيح مسلم ــ كتاب: الشعر ــ رقم2250.

[6] "العمدة"ــ ج:1 ــ ص: 113، قال ابن سلام: (ومنهم من كان يبغي على نفسه، ويتعهر، ومنهم "امرؤ القيس") (الطبقات/ ص: 22)، و حــاول "ابن رشيق" دفع التهمة عن الشعر من خلال موقف أبي "امرئ القيس" من ابنه، فقال: (وقد حكي أن امرأ القــيس نفــاه أبوه لما قال الشعر، وغفل أكثر الناس عن السبب، وذلك أنه كان خليعا، متهتكا ، تشبب بنساء أبيه، وبدأ بهذا الشر العظــيم، واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرئاسة، فكان إليه من أبيه ما كان، ليس من جهة الشعر، لكن من جهة الغي والبطالة، فهذه العلة) "العمدة" ــ ج: 1 ــ ص: 113.

[7] ينظر مقال: "دور الأدب في العهد الأموي" ــ محمد الأمين ــ مجلة "المشكاة" ــ الملتقى الدولي للأدب الإسلامي ــ ط: الأولى ــ 1998 ــ ص: 165 ــ 166.

[8] "طبقات فحول الشعراء" ــ ص: 152.

شيئا من الحلم والعفو أحيانا[9]؛ فهذا "معاوية بن أبي سفيان" يأمر "مروان بن الحكم" بإقامة الحد على "الفرزدق"، و "الوليد بن عبد الملك" أمر بضرب "جرير"[10]، و " عمر بن لجأ"[11] لقذفهما المحصنات، و"سفيان بن عبد الملك" أمر بضرب "الأحوص" ونفيه.

وليس موقف "عمر بن عبد العزيز" من أمثال هؤلاء الشعراء، إلا واحدا في سلسلة مواقف خلفاء بني أمية، خاصة وأنه كان قريبا من الشعر، يتذوق جليله، ويحب حسنه، وكان كثير التمثل به، فقد كان لا يجف فوه من هذا البيت:

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له*** مع الله في دار القرار نصيب[12]

كما كان كثير التمثل بقول الشاعر:

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنت نائمُ *** وكيف يُطيق النومَ حيرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ تحرَّقتْ *** محاجِرَ عينيكَ الدموعُ السواجِمُ[13]

كما كان بصيرا بضروب الكلام، يختار أجمله، ويكني في مواطن الكناية بأحسن عبارة، وألطف لفظ، فقد تكلم رجل عنده فأحسن، فقال: (هذا والله السحر الحلال)[14]. (وقال رجل لرجل: "تحت إبطك"، فقال "عمر": "وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه"، قالوا: وماذا؟ قال: "لو قال: تحت يدك، كان أجمل")[15].

---

(9) ينظر مقال: "دور الأدب في العهد الأموي" السابق ــ ص: 166.

(10) جرير بن عطية، أبو حزرة، أحد فحول شعراء بني أمية، مدح الحجاج والخلفاء، وشهر بهجائه، ونقائضُه مع الفرزدق والأخطل مشتهرة . توفي باليمامة نحو: 144هـ (الشعر والشعراء: 1 ــ ص: 464).

(11) عمر بن لجأ التيمي: شاعر أموي مات بالأهواز نحو: 105 هـ . (الأعلام ــ ب: 5 ــ ص: 220).

(12) "سيرة عمر بن عبد العزيز" ــ ابن الجوزي ــ ص: 194.

(13) المصدر نفسه، والبيتان لعبد الله بن عبد الأعلى"، وكان نواحة على نفسه بشعره، بكى "عمر بن عبد العزيز " بشعره. (ينظر المصدر نفسه ــ ص: 196).

(14) المصدر نفسه ــ ص: 206 ــ 207.

(15) المصدر نفسه ــ ص: 206 ــ 207.

وحري بذواقة لمواطن الكلام، عارف بمناحيه، أن يكون حكمه على الشعراء ذا بال، وأن يكون سبب تفضيله بعضهم على بعض له وجاهته وقيمته، فهو حين يقدم "جريرا" على "الفرزدق" ، يجعل المعيار الأخلاقي فاصلا، والعفة حَكَما، ولذلك رد على من يفضل "الفرزدق" بقوله: (عجبا لقوم يفضلون"الفرزدق" على "جرير"، مع عفة بطنه وفرجه)[16].

وحتى يتبين موقف "عمر بن عبد العزيز" ـ بشكل أكثر وضوحا ـ من شعر المجون والخلاعة، أسوق هذه القصة التي ذكرها "ابن الجوزي " ـ رغم طولها ـ لما تضمنته من أحكام تفصيلية معللة، تُظهر مكانة "عمر" النقدية ـ من جهة ـ وموقف خلفاء المسلمين المتقين من الرفث، ـ من جهة ثانية ـ:

فقد اجتمع ببابه عدد من كبار شعراء العصر، ومكثوا ينتظرون أياما لايؤذن لهم، ثم توسطوا "عديَ بن أرطأة"، وكلم "عمرَ" في شأنهم، فرغب عنهم "عمر"، ثم ذكَّره "عدي" بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قَبِلَ مدح الشعراء، وأجازهم بجوائز قطع بها لسانهم، ثم قال له"عمر": (ويحك يا عدي، مَنْ بالباب منهم؟ ، قال "عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة"، قال: أليس يقول:

ثـم نبَّهْـتُها فهـبَّتْ كَعَابًا *** طَلْقَـةً ما تَبين رجْعَ الكلامِ
ساعةً ثم إنها بعـــدُ قالت *** ويلنا قد عَجِلْتَ يا ابنَ الكرامِ
أعلى غير موعدٍ جئتَ تسري *** تتخـطى إلى رؤوس النيام

فلو كان عدو الله إذ فَجَر كتم على نفسه، لا يدخل والله عليَّ أبدا. بالباب سواه؟ قال: "همام غالب" (يعني "الفرزدق"). قال: أو ليس هو الذي يقول:

هما دَلَّتـــاني مِن ثمانـينَ قامـةً *** كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الريش كاسِرُهْ
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا *** أَحَيٌّ يُرَجَّى أم قتيل نُحـــاذِرُهْ

(16) "الممتع في علم الشعر وعمله" ـــ عبد الكريم النهشلي ـــ ص: 156.

لا يطأ والله بساطي، فمن سواه بالباب؟ قال: "الأخطل"[17]. قال: يا"عدي"، أليس هو الذي يقول:

ولستُ بصائم رمضان طوعا *** ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجرٍ عِيساً بُكُورا *** إلى بطحاءِ مكةَ للنجاح
ولست بزائر بيتا بعيدا *** بمكة أبتغي فيه صلاحي
ولست بقائم كالعبد أدعو *** قُبَيل الصبح"حي على الفلاح"
ولكني سأشربها شَمولا[18] *** وأسجد عند منبلَجِ الصباح

والله لا يدخل علي وهو كافر أبدا. فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم:"الأحوص" . قال: أليس هو يقول:

الله بيني وبين سَيِّدها *** يفرُّ مني بها وأَتَّبعُهْ

قال: فمن هاهنا أيضا؟ قال: "جميل بن معمر"[19]. قال: يا عدي، أليس هو الذي يقول:

أيا ليتنا نحيا جميعا وإن أَمُتْ *** يوافقُ في الموتى ضريحي ضريحَها
فما أنا في طول الحياة براغب *** إذا قيل قد سَوَّى عليها صفيحَها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا، ليعمل بعد ذلك صالحا، والله لا يدخل علي أبدا. فهل سِوى من ذكرت ؟ قال: نعم"جرير بن عطية". قال: أما إنه الذي يقول:

طَرَقَتْكَ مائدةُ القلوب وليس ذا *** حينَ الزيارة فارجعي بسلامِ

فإن كان لا بد فهو. قال: فأذن "لجرير" . فدخل وهو يقول:

---

(17) شاعر نصراني، لقب "بالأخطل" لخبث لسانه. كان شاعر بني تغلب، توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك نحو: 92هـ عن 70 سنة. (الشعر والشعراء ــ ج: 1 ــ ص: 483).

(18) الشَّمول: الخمر، أو صفة للباردة منها.

(19) أبو عمرو جميل بن معمر العذري، صاحب "بثينة"، وأحد الشعراء العشاقين المشهورين. توفي بمصر نحو: 82هـ ــ (الشعر والشعراء : 434/1)

إن الذي بعث النبيَّ محمدا *** جعل الـــخلافة للإمام العادلِ
وَسِعَ الخلافةَ عدلُـــهُ ووقارُه *** حتى ارعوى وأقام ميلَ المائلِ
إني لأرجو منـــك خيرا عاجلا *** والنفسُ مولعة بحب العـاجلِ

فلما مثُل بين يديه قال: ويحك يا "جرير"، اتق الله ولا تقل إلا حقا. قال: فأنشأ يقول:

أأذكر الصبر والبلوى التي نزلت *** أم قد كفانيَ ما بُلِّغْتَ من خبري

ثم ذكر عدة أبيات رائعة منها قوله:

زان الـــخلافةَ إذ كانت له قدرا *** كما أتى ربـــَّه موسى على قدرِ
هذي الأراملُ قد قَضَّيتَ حاجتها *** فمن لحاجةِ هذا الأرملِ الذكرِ
الخير ما دمت حيا لا يفـــــارقنا *** بوركت يا عمر الخيرات من عمرِ

فقال: يا "جرير"، لأرى لك فيما هاهنا حقا. قال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن السبيل، ومُنقطَعٌ بي، فأعطاه من صُلب ماله مائة درهم..ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوؤكم، خرجت من عند أمير المؤمنين، وهو يعطى الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه راض، وأنشأ يقول:

"رأيت رُقَى الشيطان لا تستفزه *** وقد كان شيطاني من الجن راقيا")[20].

وبلغت صرامة "عمر بن عبد العزيز" أن أمر بنفي "عمر بن أبي ربيعة" و "الأحوص"، (فكتب إلى عامله بالمدينة قائلا: إني قد عرفت "عمر " و "الأحوص" بالشر والخبث، فإذا أتاك كتابي هذا، فاشدد عليهما، واحملهما إلي، فلما أتاه الكتاب حملهما إليه، فأقبل على "عمر"، فقال: هيه!

فلم أر كالتجـمير منظـرَ ناظـرٍ *** ولا كَلَيـالي الحج أَفْلَتْنَ ذا هـوى
وكم مالئٍ عينيه من شـيءِ غيرِه *** إذا راح نحوَ الجَمْرة البيضُ كالدُّمى

(20) "سيرة عمر بن عبد العزيز" ــ ص: 140 ــ 145.

أما والله لو اهتممت بحجك، لم تنظر إلى شيء غيرك، فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون، ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أو خير من ذلك؟ فقال: ما هو؟ قال: أعاهد الله أني لا أعود إلى مثل هذا الشعر، ولا أذكر النساء في شعر أبدا، وأجدد توبة. فقال: أَوَ تفعل؟ قال: نعم.

فعاهد الله على توبته وخلاه. ثم دعا "بالأحوص"، فقال هيه!

الله بـيني وبين قَيِّمها *** يفـر مـني بها وأَتَّبِعُ

بل الله بين قيمها وبينك. ثم أمر بنفيه، فكلمه فيه رجال من الأنصار، فأبى، وقال: والله لا أرده ما كان لي سلطان، فإنه فاسق مجاهر)[21]. ثم علق القرطبي على هذا الكلام فقال: (فهذا حكم الشعر المذموم، وحكم صاحبه، فلا يحل سماعه، ولا إنشاده، في مسجد وفي غيره، كمنثور الكلام القبيح ونحوه)[22].

ولما أعمل "الفرزدق" شعره في ابتزاز الأثرياء، وتهديدهم بالهجاء والتشنيع إن هم لم يدفعوا، شكا شرفاء المدينة ذلك إلى "عمر بن عبد العزيز"ـ وكان الوقت وقت خصاصة ـ فنهاه "عمر" أن يتعرض بهم، وأعطاه شيئا من المال يسد به حاجته، ويشتري به أعراض المسلمين[23].

وكلها مواقف تنم عن ضلاعة "عمر بن عبد العزيز" في الشعر، وعلمه بصالحه ورديئه، وبميزان الحق في قبوله أو رفضه، فهو يحاكم الشعراء إلى الضوابط الشرعية، والموازين العقدية، (فالشاعر عنده رجل موقف، وسفير خير، إنه صاحب دعوة، وحامل رسالة. والشعر ليس مهنة أو تجارة، وهو لايوجب لصاحبه الحق في مال المسلمين، ولا يجوز أن يسخر في التزلف إلى السلطان، والكسب والمطامع الشخصية)[24].

---

(21) تفسير القرطبي ـ ج: 13 ص: 149 ـ 150.

(22) المصدر نفسه ـ ص: 150.

(23) "الممتع في علم الشعر وعمله" ـ ص: 20.

(24) مقال: "عمر بن عبد العزيز والشعر" ـ "وليد قصاب" ـ مجلة "المشكاة" ـ ع: 30 ـ السنة : 1999ـ ص: 21.

ولم يأخذ "عمر" في الاعتبار ذيوع صيت الشاعر، وشهرته، ومكانته عند الناس، وتبحره في فن الشعر، إذ الفن هنا محكوم على جودته بجودة المضمون، ومراعاة الأخلاق الإسلامية، وإلا كان زخرفا من القول، مدعاة إلى الغواية والطيش والنزَق، ولذلك يحكم على "عمر بن أبي ربيعة" بأنه خالف الأمر الشرعي بكتمان المعصية (فلو كان ــ عدو الله ــ إذْ فجر كَتم على نفسه)، و"الفرزدق" يجاهر بالمعصية، ولا يستحيي من إذاعتها بين الناس، و"الأخطل" نصراني كافر، يدوس المقدسات، ويعبث بالمبادئ، ويتجاوز الحرمات[25]،و "الأحوص" يستهتر بالقيم، فهو (فاسق مجاهـــر)، و "جميل بن معمر"، يتجاوز ما تعارف عليه الشعراء من طلب اللقاء في الدنيا إلى طلبه بعد الموت، (فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا).

ف"عمر بن عبد العزيز" ــ هنا ــ يمثل موقفين: موقف الناقد البصير، القادر على النقد والتعليل، ووضع اليد على مكان الجمال والضعف في الشعر، وموقف خليفة المسلمين، السلطان الورع، الذي يرفض مدح الشعراء، وتزلفهم، وشدة ملقهم واستخذائهم، ولذلك حين قَدَّم "جريرا" فلكونه أعفهم، وأكثرهم ارتداعا عن المعاصي. وقد ذكر "ابن الجوزي" في رواية أخرى، أن جريرا لما دخل على "عمر" قال: (يا أمير المؤمنين، إني أُخبرت أنك تحب أن توعَظ ولا تُطرى، فاذَنْ لي في الكلام)[26].

ولما ذكر حال أهل الحجاز، وما هم فيه من فاقة، في قوله:

ما هَوَّمَ القـــومَ مذ شَـــدُّوا رحـــالهمُ *** إلا عـــشاشا لدى أعصارها اليسر

يصرحن صرح حصى المعزى إذا وقعت *** شمـس النهار وعاد الظل للقمر

إنا لنرجو إذا ما الغـــيث أخلـــــفنا *** من الخليفة ما نرجو من المطر

---

(25) قال ابن رشيق تعليقا على أبيات الأخطل: (وطَوَّلَ لسانه ، حتى قال مجاهرا ــ لعنة الله عليه ــ لا يستتر في الطعن على الدين، والاستخفاف بالمسلمين) ــ العمدة ــ ج: 1 ــ ص: 115 ــ 116.

(26) "سيرة عمر بن عبد العزيز" ــ ص: 141.

لم يتمالك "عمر" أن (جهز إلى أهل الحجاز عِيرا يحمل الطعام والكُسَى[27] والعطاء، يُبث في فقرائهم)[28].

وهذا هو الشعر الصادق، الذي يحمل على النفع ويشجع على العمل الصالح، ويؤثر في المتلقي، بدل أن ترفع في وجهه ألوان المدح، وفنون الإطراء، حرصا على المنفعة الشخصية، وتنكبا عن حاجات الناس ومصالحهم، ولذلك كان موقف "عمر" من أمثال هؤلاء، من الشعراء "الكبار" ـ شهرة ومكانة ـ (يعني غير قليل من التحجيم وتقليم الأظافر، كما يحمل في ثناياه الدعوة إلى مراجعة النظر في الحكم على هؤلاء، وإنزالهم منازلهم الحقيقية في ضوء التذكير بعبثهم)[29].

غير أنه انسحبت على الناس في العصور التالية فترة في الدين، وتسرب كثير من المجون إلى الشعر، وكثر التغني به، وسكت كثير من النقاد عن المضامين الجافية، والمعاني الهابطة، وتعالت صيحات آخرين، منددين، مستنكرين، واتخذ هذا التنديد والاستنكار ثلاثة أشكال:

1 ـ أقوالهم الصريحة في بيان مثالب هذا الشعر وروايته.

2 ـ إسقاط الكثير من الرفث عند نقل الشعر، أو التأريخ له، أو الترجمة لصاحبه.

3 ـ التحذير من بعض الكتب التي سوغت رواية الفاحش، وشجعت عليه.

وسأقتصر في هذا المقال على الشكل الأول، مرجئا الحديث عن الشكلين الآخرين إلى مقال لاحق إن شاء الله.

** أما بانسبة لأقوالهم الصريحة في ذم شعر الرفث وبيان مثالبه، فإن المواقف كثيرة ومتعددة، أقتصر منها على ما يلي:

---

(27) جمع "كُسوة" و"الكَسَى" : مصدر "كسِيَ" "يَكْسَى": لبس الكسوة (المعجم المحيط ـــ "كسا").

(28) "سيرة عمر بن عبد العزيز" ـــ ص: 141.

(29) مقال: " عمر بن عبد العزيز والشعر" السابق ـــ ص: 13 مقدمة.

1 ــ فهذا "أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي" (ت : 204هـ)، الشاعر المطبوع، وصاحب الأشعار الحِكَمية السائرة، والذي مكث عشرين سنة[30]، يقرأ الأدب، ويحفظ الأشعار حتى اعتمده "الأصمعي" في رواية شعر الهذليين[31].. لم يغلبه تأدبه، ولم يحمله ذوقه الشعري على أن ينساب وراء زيغ الشعراء، وإطلاقهم العنان لألسنتهم، ليهيموا في كل واد، بل روى من الشعر أعفه، وقال منه أجمله، ولم يكثر منه حتى لا يستغرق كل وقته[32]، لأنه جعل أهم قصدٍ لتعلم العربية أن يستعين بها على الفقه[33]، ولذلك رأيناه يجعل التهتك، والبذاءة، والكذب أسبابا مفسقة، ترد بها شهادة الشعراء، قال: (ومن أكثر الوقيعة في الناس، على الغضب أو الحرمان، حتى يكون ذلك ظاهرا، كثيرا مستعلنا، وإذا رضي مدح الناس بما ليس فيهم، حتى يكون ذلك ظاهرا مستعلنا كذبا محضا، ردت شهادته)[34].

وفي مثل معنى الشعر في رد الشهادة، (من مزق أعراض الناس، وسألهم أموالهم، فإذا لم يعطوه إياها شتمهم)[35].

2 ــ وأما "أبو العباس محمد بن يزيد المبرد" (ت285هـ)، فيعلق على بيت "أبي نواس":

نديم كأس محدث ملك *** تيه مغن وظرف زنديق[36]

بقوله: (فهذا قولٌ ملحون مرذول، رديء الرصف بعيده)[37].

---

(30) هكذا عند "علّيان" : "نحو منهج إسلامي" ــ ص: 231، وفي مقدمة الديوان: "سبع عشرة سنة"ــ (مقدمة ديوان الشافعي: 6) جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي .

(31) "مناقب الشافعي" ــ البيهقي ــ ج: 2 ــ ص: 44.

(32) وهو القائل: (ولولا الشعر بالعلماء يزري *** لكنت اليوم أشعر من لبيد) (ديوانه ــ ص: 197).

(33) مقدمة "ديوان الشافعي " ــ ص: 6.

(34) كتاب "الأم" ــ ج: 6 ــ ص: 224.

(35) كتاب "الأم" ــ ج: 6 ــ ص: 224.

(36) ديوانه ــ ص: 186.

(37) "الموشح" ــ المرزباني ــ ص: 243.

وعلق على قوله:

"كأنما رجلُها قفا يَدِها *** رِجلُ غلامٍ يلهو بِدَيُّوقِ[38]"[39]

فقال: (فهذا كلام خسيس)[40]. وعلق على بيت آخر "لأبي نواس وهو:

يا أحمدُ المرتجَى في كل نائبة *** قم سيدي نَعْصِ جبار السماوات

بقوله: (لأن هذه أعظم جرأة، وأقبح مجاهرة، وأشد تبغضا إلى العزيز الجبار- عز وجل – أن يقول: (نعص جبار السماوات)، فذكر المعصية مع ذكر الجبار - عز اسمه -، وأنه إياه يقصد بالعصيان)[41].

3 – وأما "مهلهل بن يموت بن المُزَرَّع" (ت: 304هـ)، فقد ألف كتابا خاصا "بأبي نواس"، سماه : "سرقات أبي نواس"، وأفرد فيه بابا سماه: "الكفريات"، رمى فيه بعض شعره بالكفر، لخروجه عن الجادة، ودعوته السافرة للإباحية والعصيان، وارتكاب الفحش والمحرمات، بكفر لفظي صريح، يقول "مهلهل": (فأما الكفريات التي لا أدري لماذا قالها ولا يعتقدها، قوله:

قلت والكاس على كَفَّيَّ تهوىَ لالتثامي
أنا لا أعرف ذاك اليوم في ذاك الزحام

وقوله:

خَلِّياني والمعاصي *** وذَرَا ذِكرَ القِصاصِ

وقوله:

يا عاذلي في الدِّينِ ذا هُجْرُ *** لا قَـــدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ

وقوله:

باح لساني بِمُضـمَر السر *** وذاك أني أقول بالدهـر

(38)

(39) ديوانه – ص: 186.

(40) "الموشح" – ص: 243.

(41) ا"الموشح" – ص: 244.

ثم قال معلقا: (وله في غير هذه الأبيات التي لا أعرف له في البوح به عذرا)[42].

4 ــ أما "أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي" (ت: 356هـ) ، فقد كان يحرص على رواية شعر الأخلاق، والمعاني الفاضلة، وكان له هاجس التنبيه على مواطن النفع والإحسان في الشعر روايته، ولذلك رأيناه يورد في كتابه "الأمالي"،قصيدة"لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي"، تي يتحدث فيها عن ذم الخمر، وعزوف المسلم عنها، لأن الإسلام حرمها، ومنها:

تعففتُ عنها في العصور التي خلت *** فكيف التصابي بعدما كلأ[43] العمر

إذا المرء وَفَّى الأربعين ولم يكن *** له دون ما يأتي حياء ولا سِتر

دعه ولا تَنْفَسْ[44] عليه الذي ارتأى *** وإن جَرَّ أسباب الحياة له الدهرُ

ويقدم لهذه القصيدة بما نقله بسنده عن "الهيثم بن عدي" قال: (كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له)[45].

وعمل "أبو علي " على تنقيح كتابه، ليجعله محققا للغرض التربوي، والمقصَد الأخلاقي، فقد (ترفع عن العبارة المبتذلة، واللفظ الساقط الرخيص، فلا رواية لشعر مكشوف، ولا استطراد لخبر فاحش)[46].

5 ــ وأما أبو بكر بن الأنباري"(ت:327هـ)، فقد كتب رسالة عتاب، قوية الخطاب، شديدة اللهجة إلى ابن المعتز" يهاجم فيها شعر "أبي نواس"، ويحذر من مساوئه وزيغه، ويشجب إنشاء شعره المسيء للعقيدة في حضرته، يقول: (جرى في مجلس الأمير ذكر "الحسن بن هانئ" والشعر الذي قاله في المجون.. وإن لكل ساقطة لاقطة، وإن لكلام القوم رواة، وكل قول محمول،فكان حق شعر هذا الخليع، ألا

---

(42) "سرقات أبي نواس" ــ ص: 146.

(43) قال القالي : (كلأ: انتهى إلى آخره وأقصاه، ويقال: بلغ الله بك أكلأ العمر: أي آخره) (الأملي: ج 1 ــ ص: 108).

(44) تنفس: تحسر.

(45) الأمالي ــ ج: 1 ــ ص: 107.

(46) "تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري" ــ د. مصطفى عليان ــ ص: 26.

يتلقاه الناس بألسنتهم، ولا يدونوه في كتبهم، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم..فإن صنع فيه غناء كان أعظم لبليته.. فيهيج الدواعي الدنيئة، ويقوي الخواطر الرديئة. و"الحسن بن هانئ" ومن سلك سبيله في الشعر، كشفوا للناس عوارهم، وهتكوا عندهم أسرارهم.. وحسنوا ركوب القبائح، فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم، وأن يستقبح ما حسنوه، ويتنزه عن فعله وحكايته..)[47].

ونلاحظ أن تحذير "ابن الأنباري" ينسحب على قول الفحش، كما ينسحب على سماعه وروايته.

6 ـ وهذا "ابن وكيع التنيسي"(ت: 393هـ) يقف من مبالغات "المتنبي" موقف الرفض والتنديد، ويجعل ذلك من قلة الورع، وترك التحفظ[48]. فهو يعلق على قوله:

أيَّ محلٍّ أرتقي *** أيَّ عظيم أتقي
وكلُّ ما خلق اللـــــــــهُ وما لم يـخلقِ
محتقَرٌ في هِمَّتي *** كشعرة في مَفْرِقي

فقال: (هذه أبيات فيها قلة ورع، احتقر ما خلق الله عز وجل.. وهذا يجاوز في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون فيما خلق الله عز وجل، الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه، وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه، لخروجه عن وجه الكبر إلى حد الكفر)[49].

7 ـ وأما "عبد القاهر الجرجاني" (ت: 471هـ أو 473هـ)، فقد شنع على "المتنبي" في قوله:

يترشَّفْنَ من فمي رَشَفَاتٍ *** هُنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

(47) "جمع الجواهر" ـ أبو إسحاق الحصري القيرواني ـ ص: 33.
(48) "المنصف في الدلالة على سرقات المتنبي" ـ ابن وكيع التنيسي ـ ص: 128.
(49) "المنصف في الدلالة على سرقات المتنبي" ـ ص: 203.

فيقول: (وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق، إذا دعته شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجد، ويتغزل بهذا الجنس)[48].

8 ـ وأما القاضي "أبو بكر الباقلاني" (ت: 403هـ)، فقد استنكر قول "امرئ القيس":

فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضع *** فألهيتها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

ويرى أنه (فيه من الفحش والتفحش، ما يستنكف الكريم عن مثله، ويأنف من ذكره)[49]، وقال في بيته:

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له *** بشق وتحتى شقُّها لم يحوَّلِ

بأنه (غاية في الفحش ، ونهاية في السخف، وأي فائدة ذكره عشيقته كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب هذه المذاهب، ويرد هذه الموارد، إن هذا ليبغضه إلى كل من سمع كلامه، ويوجب له المقت، وهو ــ لو صدق ـ لكان قبيحا[50]، فكيف ويجوز أن يكون كاذبا)[51].

و"الباقلاني" هنا، لا يحكم على جودة الشعر، من خلال فنيته، وجمال نظمه، وحسن مخرجه، ولطف تأتيه، وإنما الحسن مُنصب على المعاني الجليلة، والمضامين الحسنة، ومتى ما كانت هذه خسيسة وضيعة، صادمة للنفوس، مقززة للإحساس، فلا حسن ولا إحسان: (وهذا[52] مما تستنكره النفس، ويشمئز منه القلب، وليس فيه شيء من الإحسان والحسن)[53].

---

(48) "أسرار البلاغة" ــ ص: 203.

(49) " إعجاز القرآن" ــ الباقلاني ــ ص: 167.

(50) بل ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي الصريح عن إفشاء ما يقع بين الزوج وزوجته، فقال: (إن من أشر الناس عند الله منزلــة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها)، صحيح مسلم ــ كتاب: النكاح ــ 1437، فكيف إذا كان ذلك مع غير زوجه ولو كان صادقا، فكيف لو كان كاذبا.

(51) " إعجاز القرآن" ــ ص: 167

(52) أي هذا النوع من الشعر الذي يشبه شعر" امرئ القيس" المذكور.

(53) المصدر نفسه ــ ص: 167.

9 ـ و "أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي" (ت: 463هـ) صاحب كتاب: "بهجة المجالس وأنس المجالس"، اتجه في هذا السبيل، سبيل تشديد النكير على الشعر المخالف، والشعراء المتهتكين، الذين يقلبون الحقائق، ويرضون بالاتصاف بما نهى عنه الشرع، ومدح ما استهجنه الدين، جاعلا معياره في ذلك الجانب المضموني، وما يحمله الشعر من قيم، فهو يقول حين حديثه عن صفة" الاستبداد": (الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء، والمشورة عند غاية العلماء، ولا أعلم أحدا رضي الاستبداد وحمده، إلا رجل واحد مفتون، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة، ويرتصد الفرصة، وكلا الرجلين فاسق مائق، مثال أحدهما قول "عمر بن أبي ربيعة" يخاطب من يخدعه:

ليت هندا أنجزتنا ما تَعِدْ *** وشفت أنفسنا مما تجدْ

واستبدت مرة واحـــدة *** إنما العاجز من لا يستبدْ

ومثال الآخر، قول "سعد بن ناشب العنبري"الأعرابي:

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمه *** ونكَّـب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسه *** ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا)[54]

10 ـ أما "أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه" (ت: 421هـ)، فبقدر ما يدعو إلى الخير، ومصاحبة الأطهار، والاستفادة من خير الحكم وأطيب الأشعار، بقدر ما يؤكد على مخاطر الرذيلة ونبذ ما يدعو إلى الفتنة ، ولذلك رأيناه يحذر طالب النجاة (من معاشرة أهل الشر والمجون، والمجاهدين بإصابة اللذات القبيحة، وركوب الفواحش، المفتخرين بها، المنهمكين فيها، ولا يصغي إلى أخبارهم مستطيبا، ولا يروي أشعارهم مستحسنا، ولا يحضر مجالسهم مبتهجا)[55] ..ومن (ابتلي بأن يربيه والده على رواية الشعر الفاحش، وقبول أكاذيبه، واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات،

(54) "بهجة المجالس وأنس المجالس" ـ ج: 1 ـ ص: 457.

(55) "تهذيب الأخلاق" ص: 179 ـ 180.

كما يوجد في شعر "امرئ القيس" و"النابغة" [56]وأشباههما.. فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيما، وخسرانا لا ربحا) [57].

11 ــ أما "أبو محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي" (ت: 456هـ)، الذي اشتغل بالأدب ردحا من الزمن، قبل أن يتحول إلى الفقه، فهو يرى أن الشعر تعتريه ثلاثة أحكام:

1 ــ مباح، وهو (من الأشعار التي فيها الحِكم والخير، كشعر "حسان بن ثابت" و "كعب بن مالك" و "عبد الله بن رواحة " رضي الله عنهم، وكشعر "صالح بن عبد القدوس" ونحو ذلك، فإنها نعم العون على تنبيه النفس[58].

2 ــ مباح مكروه، وهو عنده متعلق بالمدح والرثاء، (فأما إباحتها، فلأن فيهما ذكرَ فضائل الموت والممدوح، وهذا يقتضي لراوي ذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال، وأما كراهتنا لهما، فإن أكثر ما في هذين النوعين الكذب، ولا خير في الكذب) [59].

3 ـ مرفوض يتجنب، وهو أربعة أنواع:

أ ــ الأغزال الرقيقة التي (تحث على الصبابة، وتدعو إلى الفتنة.. وتسهل الانهماك في الشطارة والعشق.. لا سيما ما كان يُعنى بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة، فإن هذا النوع يُسَهِّل الفسوق، ويهون المعاصي، ويُردي جملة)[60].

ب ــ وأشعار التصعلك وذكر الحروب، لأنها (تسهل على المرء موارد التلف.. وتهون

---

[56] هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، من فحول الجاهلية وحكمائهم، مدح ملوك الحيرة وغسان، واتخذه الشعراء حكما بينهم (الشعر والشعراء : 107/1).

[57] "تهذيب الأخلاق" ــ ص: 51 ــ 52.

[58] "رسائل ابن حزم" ــ رسالة العلوم" ــ ص: 67.

[59] المصدر نفسه ــ ص: 67.

[60] المصدر نفسه ــ ص: 68.

الجنايات والأحوال الشنيعة)[61].

ج ـ وأشعار التغرب، لانها (تسهل التحول والتغرب)[62].

د ـ والهجاء ، لأنه (يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه)[63] .

ولا يتصور في "ابن حزم"، أنه انتهج منهج التحكم في الشعر، عن طريق إخضاعه للأحكام الفقهية، وإنما كان منطلقا من نظرة الأديب المتذوق، المتمرس على الشعر، إبداعا وفهما ونقدا، يقول: (ولا يظن ظان، أن هذا علم جهلناه فذممناه، فقد علم من داخلنا، أو بلغه أمرنا ، كيف توسعنا في رواية الأشعار، وكيف تمكننا من الإشراف على معانيها، وكيف وقوفنا على أفانين الشعر، ومحاسنه، ومعانيه، وأقسامه، وكيف قوتنا على صنعته، وكيف تَأَتِّي مقصدِه ومقطوعه لنا، وكيف سهولة نظمه علينا في الإطالة فيه والتقصير، ولكن الحق أولى بما قيل)[64] .

و"ابن حزم" ـ هنا ـ وهو يراعي الجانب الأخلاقي في قول الشعر وروايته، فإنه ينحو به منحى تربويا، لعلمه اليقين بقوة أثره في النفوس وشدة سحره، خاصة بالنسبة للمحدَثين الصغار، فيكون منعه من باب سد الذرائع، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: (دع ما يَريبك إلى مالا يَريبك)[65] .

هذه بعض المواقف التي تبين حرص علمائنا ونقادنا على السلامة والإحسان في قول الشعر وروايته ووقوفهم في وجه الشعرا ء المتهتكين، المستهترين بالمقدسات، العابثين بالدين والأخلاق، الهائمين وراء قول الشعر في كل واد، تجذبهم الشهوة إلى أن يدوسوا الثوابت الإسلامية، ويستخفوا بالمبادئ الشرعية، دون خوف أو وجل، ومع ذلك ، فإن هؤلاء النقاد، حينما وقفوا هذه المواقف، (عللوا تجاوزات الشعراء، بأنها

---

(61) المصدر نفسه ـ ص: 68.

(62) المصدر نفسه ـ ص: 68.

(63) المصدر نفسه ـ ص: 68.

(64) المصدر نفسه ـ ص: 69.

(65) سنن الترمذي ـ كتاب: "صفة القيامة والرقائق والورع" ـ رقم الحديث : 2518.

ضرب من المبالغة، يدل على ضعف في العقيدة، ولم يفسرها أحد بأنها مواقف فكرية أو معتقدات، يبثها الشاعر في شعره، أو يحاول أن يهاجم بها العقيدة الإسلامية، وحملوها على طبيعة الشعر، الذي يجنح إلى المبالغة غالبا، وعنفوا عليها الشعراء)[66]، ولو كان الأمر غير ذلك، لربما كانت مواقفهم أكثر شدة، وأعظم عنفا، وأعلى نبرة.. ومع ذلك، فقد ترادفت صيحات أخرى، اتخذت من إسقاط الفاحش والرديء، ضربا آخر من ضروب الشجب والتنديد.

يتبع.

(66) "مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي" ــ د. عبد الباسط بدر ــ ص 125.

عبد العَزيز المَيْمَني الرَّاجَكُوتي

علامة الهند وشيخ العربية وآدابها وإمام المحققين

1306 – 1398هـ

1888 – 1978 م

محمد اولاد عتو

يُعدُّ العلامةُ المَيْمَني من أكبر علماء الهند المعنيين بشؤون التراث وقضاياه، كان نسيجَ وحْده، وغُرَّة عصره في علوم العربية وآدابها، شُغِف بالعربية أيما شغف، وندر حياته لدراستها وتدريسها، فذهب يتذوّقها ويتنسّم عطر شذاها تذوقَ عاشقٍ خبير، وعرف كيف يروِّي نفسَه من مصادرها الصافية حتى تضلَّع، وأدرك أسرارها وإعجازها وسحر بيانها، يُسعِفه في ذلك حافظةٌ قويةٌ وذكاءٌ متوقدٌ. قرأ الكثير وحفظ من أشعار العرب ما يجعله من طبقة حُفَّاظ الشعر العربي الأوائل.فكان يُدهش أقرانَه وجلساءَه بسعة روايته وسرعة استحضار شواهده.

وقد انبرى بكل ما في قلبه من الإيمان، والأمانة والإخلاص لإنقاذ عدد كبير من نصوص التراث النادرة من الضياع، فعمل على إخراجها وتحقيقها تحقيقا مميزا جعل منه مدرسة شامخة أصيلة في ميدان التحقيق.

مولده ونشأته:

ولد العلامة عبد العزيز بن الحاج عبد الكريم بن يعقوب بن أباني الميمني الرَّاجَكُوتي في نحو سنة 1306هـ (1888م) ببلدة راجكوت في إقليم كاتهياوار (سوراشترا الحالية) على الساحل الغربي للهند. وأصل آبائه من بلدة بردولي في

مقاطعة جام نكر من ولاية كاتهياوار. وكان من بيت عريق في التجارة، وقد أسلم الأب ابنه إلى الكتاب لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، على طريقة أهل زمانه. فاندفع الصبي في طلب العلم مظهرا ما يميزه عن أترابه من علامات النجابة والحرص والولع بالعلم، فاقتنع الأب بمواهب ابنه وقدراته، فآثر أن يشجعه ليمضي في سبيله، ويتخلى عن التجارة، حرفة آبائه المتوارثة[1].

وانطلق الميمني في رحلته إلى مراكز العلم يستكمل دراساته العالية، فرحل إلى لكنوء ورامبور ودهلي، وتلقى على أبرز شيوخ عصره ومنهم:

ـ المحدث المسند الراوية الرحلة حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني، الذي أجازه برواية الحديث عنه بسنده سنة 1326هـ بمدينة دهلي.

ـ الأستاذ الكبير نذير أحمد الدهلوي، الذي كان الميمني يشيد به و يذكره بكل تقدير.

ـ الشيخ محمد طيب المكي نزيل رامبور.

---

[1] وفي ترجمته ينظر:

- " عبد العزيز الميمني الراجكوتي"، مقال للدكتور شاكر الفحام، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق:(يناير 1979) مج 54 /ج1،ص 236-279. وقد أفدت منه كثيراً، وكان عليه جل اعتمادي في تفاصيل حياته، أما مؤلفاته وتحقيقاته فمعظمها تمكنت من الرجوع إليه.
- " عبد العزيز الميمني كما عرفته"، كلمة موجزة للأستاذ السيد محمد يوسف -وهو أخص تلامذة الميمني-، مجلة الأديب، (اكتوبر1960م)، 53-54.ذكره الدكتور الفحام.
- " العاجز عبد العزيز الميمني "،بقلم الميمني، وهي كلمة موجزة عرف فيها بنفسه، إلا أنه مع الأسف تحدث فقط عن أجداده، وجزء من بدايته الأولى في طلب العلم.نشر في مجلو " الوعي" الباكستانية، العدد31/من سنة 1958م.
- " بحوث وتحقيقات من تأليف الميمني" وهو في جزأين: الجزء الأول يضم مقالات نقد وتعريف في 490 ص، والجزء الثاني يضم نصوصاً محققة جلها رسائل نادرة في 400 ص. من إعداد محمد عزير شمس، وتقديم شاكر الفحام، ومراجعة محمد اليعلاوي.ط(1) 1995م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.وكان المفروض أن يعرف معد هذه البحوث بمؤلفها ولو بإيجاز، إلا أنه اكتفى بالوعد بنشر دراسة مفصلة عن الميمني و تراثه، وقد مضت ست سنوات و لم يظهر هذا العمل بعد.والحاجة ماسة لدراسة توفي العلامة الميمني حقه من التعريف به وبتراثه العلمي.

مقاطعة جام نكر من ولاية كاتهياوار. وكان من بيت عريق في التجارة، وقد أسلم الأب ابنه إلى الكتاب لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، على طريقة أهل زمانه. فاندفع الصبي في طلب العلم مظهرا ما يميزه عن أترابه من علامات النجابة والحرص والولع بالعلم، فاقتنع الأب بمواهب ابنه وقدراته، فآثر أن يشجعه ليمضي في سبيله، ويتخلى عن التجارة، حرفة آبائه المتوارثة[1].

وانطلق الميمني في رحلته إلى مراكز العلم يستكمل دراساته العالية، فرحل إلى لكنوء ورامبور ودهلي، وتلقى على أبرز شيوخ عصره ومنهم:

ـ المحدث المسند الراوية الرحلة حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني، الذي أجازه برواية الحديث عنه بسنده سنة 1326هـ بمدينة دهلي.

ـ الأستاذ الكبير نذير أحمد الدهلوي، الذي كان الميمني يشيد به و يذكره بكل تقدير.

ـ الشيخ محمد طيب المكي نزيل رامبور.

---

[1] وفي ترجمته ينظر:

- " عبد العزيز الميمني الراجكوتي"، مقال للدكتور شاكر الفحام، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق:(يناير 1979) مج 54 /ج1،ص 236-279. وقد أفدت منه كثيراً، وكان عليه جل اعتمادي في تفاصيل حياته، أما مؤلفاته وتحقيقاته فمعظمها تمكنت من الرجوع إليه.
- " عبد العزيز الميمني كما عرفته"، كلمة موجزة للأستاذ السيد محمد يوسف -وهو أخص تلامذة الميمني-، مجلة الأديب، (اكتوبر1960م)، 53-54.ذكره الدكتور الفحام.
- " العاجز عبد العزيز الميمني "،بقلم الميمني، وهي كلمة موجزة عرف فيها بنفسه، إلا أنه مع الأسف تحدث فقط عن أجداده، وجزء من بدايته الأولى في طلب العلم.نشر في مجلو " الوعي" الباكستانية، العدد31/من سنة 1958م.
- " بحوث وتحقيقات من تأليف الميمني" وهو في جزأين: الجزء الأول يضم مقالات نقد وتعريف في 490 ص، والجزء الثاني يضم نصوصاً محققة جلها رسائل نادرة في 400 ص. من إعداد محمد عزير شمس، وتقديم شاكر الفحام، ومراجعة محمد اليعلاوي.ط(1) 1995م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.وكان المفروض أن يعرف معد هذه البحوث بمؤلفها ولو بإيجاز، إلا أنه اكتفى بالوعد بنشر دراسة مفصلة عن الميمني و تراثه، وقد مضت ست سنوات و لم يظهر هذا العمل بعد.والحاجة ماسة لدراسة توفي العلامة الميمني حقه من التعريف به وبتراثه العلمي.

لم يقنع الميمني بالمألوف الموروث في طريقة تلقي العلم، فاختط لنفسه نهجا خاصا يلبي رغبته ويرضي طموحه، إذ ضجر من طريقة التلقي السائدة آنذاك، وآلى أن يكون شيخَه الوحيدَ نفسُه، ويقول عن ذلك:" وقد وثِقت تمام الثِّقة أنه لن يحصل لي من هؤلاء الشيوخ كبير فائدة، وأني لن أستفيد في المستقبل شيئا، إلا إذا ما جعلت شيخي نفسي، ولا أراجع أحداً منهم."[2] فصبر نفسه على الاطلاع على كتب القدماء، وقد ساعده استكمال أدوات البحث على التعمُّق في علوم اللغة والأدب، فحفظ من الشعر العربي القديم ما يزيد على سبعين ألف بيت، وحَظِي بذخيرة لغوية لا تُضَاهَى، يُعينه في ذلك ذاكرةٌ قويةٌ مسعفةٌ، وذكاءٌ متيقظٌ، وصبرٌ ودأبٌ لا يمل معهما العمل والمذاكرة والبحث. وأخبر الميمني عن نفسه أنه حفظ في صباه: المعلقات العشر، وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، والجمهرة، والمفضليات، والكامل للمبرد، والنوادر لأبي زيد، والبيان والتَّبَيُّن، وأدب الكاتب، والاقتضاب، وغيرها. وقد درس دراسة فاحصة في وقت مبكر الكثير من أمهات المصادر، وتمكن من تقويمها تقويم عالم خبير[3].

ولم يكن الميمني في تلك السَّعَة من الجِدَة ليتمكَّن من اقتناء ما كان يود اقتناءه من الكتب والمخطوطات الكثيرة التي يتوق إليها، فكان يضطر لنسخ الكتب الأصول بيده ليروي ظَمَأه الشديد للمعرفة.

وظائفه العلمية:

بدأ حياته المهنية بالتدريس حين التحق بالكلية الإسلامية ببشاور ليدرس اللغة العربية والفارسية.

---

[2] بحوث وتحقيقات: 19-20.

[3] ينظر مقاله:" كتب أعجبتني" ، وقد أعيد نشره في أول: بحوث وتحقيقات:21-25.

ثم انتقل إلى الكلية الشرقية بمدينة لاهور (عاصمة بنجاب)، ولم تطل إقامته فيها، حيث غادرها مغاضبا بسبب ما عاناه فيها من التأذّي بهيمنة الإنكليز على هذه الكلية في ثياب المستشرقين وثياب أتباعهم.

والتحق بالجامعة الإسلامية في عليكره، حيث استقر به المقامُ، واستقام له العملُ والعطاءُ، وأخذ يتدرج في المناصب العلمية الرسمية من مقرئٍ إلى أستاذ مساعدٍ، فأستاذ، فرئيس قسم اللغة العربية. فشرَّف هذه المناصب وزيَّنها، وصدر عنه في هذه الحقبة أحسنُ مؤلفاته وأغلى تحقيقاته.

انتُخب العلامةُ الميمني عضوا مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق في (26 كانون الثاني 1928م)، وكان آنذاك في الأربعين من عمره، وظل عضواً في هذا المجمع خمسين سنة أو ما يزيد، وتوطَّدت بينه وبين المجمعيين أواصرُ المحبة والتقدير والاعتراف بخدماته الجليلة للعربية وآدابها. ومَنَح الميمني دمشقَ و مجمعَها العلمي عميقَ المودة وخالصَ البر وكبير العون، وحفظت له أنضر الذكريات، وكرَّمته وأشادت بعلمه وفضله، ويبلغ التكريمُ ذروتَه يوم تمنحه الحكومةُ السوريةُ وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى(المرسوم رقم :1180 تاريخ1397/07/23هـ ـ 1977/07/09م) تقديراً لعظيم جهوده في تحقيق التراث العربي ونشر العربية[4].كما أصبح الميمني عضوا مراسلا في مجمع القاهرة.

وأُحيلَ العلامةُ الميمني على التقاعد سنة 1372هـ(نونبر 1952م) وقد بلغ من العمر أربعة وستين عاماً[5]، فغادر عليكره (الهند) إلى باكستان ليقيم في كراتشي، وأُسنِد إليه في هذه الفترة رئاسةُ القسم العربي بجامعة كراتشي ، إلى مناصب علمية أخرى، مثل مدير معهد الدراسات الإسلامية لمعارف باكستان، ولكنه يظل أبداً يتابع رسالته وعمله في نشر العربية وتحقيق تراثها.

---

(4) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،مج 52 : :927، مج 54 : 257.

(5) التنبيهات : 354.

الميمني المحقق:

إن الباحث المتمعن في أعمال العلامة الميمني يلاحظ أنه ـ رحمه الله ـ كان يتنازعه أمران:

ـ أولهما: حبه للتراث والغيرة عليه والاعتزاز به، والعمل بدأب ومثابرة للحفاظ عليه، والاندفاع في نشره والتعريف به وتحبيبه للناشئة من طلبة العلم، وهذا جعل منه محققا لا نظير له في عصره.

ـ ثانيهما: وهو أمر ناتج عن الأمر الأول ويتجلى في الخوض في قضايا التراث بين نقد وتعريف وتأليف، وهذا جعل منه أديباً مؤلفاً من أكابر الأدباء المعاصرين.

وبالرجوع إلى تحقيقاته، يلاحظ أن الميمني تهيأت له العدة الكاملة التي يحتاجها المحقق، بل إنه امتاز بخصوصيات قلما توافرت لغيره، فبالإضافة إلى باعه الطويل والعريض في الدراية باللغة العربية التي كان مولعا بها ولوع الجاحظ وأضرابه، والاطلاع الواسع على التراث المطبوع والمخطوط والإحاطة بنفائسه، جذبته المخطوطات العربية ففُتِن بها، وتتبعها في مظانها في مكتبات الهند ومصر والشام والحجاز واسطنبول وأمثالها، حتى غدا أعرفَ الناس بها، يتحدث عما تفرَّق منها وتشتَّت، فيُدني القصي ويُقرِّب البعيد، وقد يواتيه الحظُّ فيقوى على رد الجزء الضائع ليجمعه بأخيه[6].لقد ساعده هذا على تنمية خبرته بالخطوط الأمر الذي جعله من أقدر الناس على قراءة مخطوط وفك ألغازه، وإكمال خرومه.

ومن جهة أخرى كان يُتقن اللغتين الأوردية والفارسية، حيث نشر الكثير بهما في كبريات مجلات الهند، كمجلة "المعارف" في مدينة أعظم كره وغيرها، الأمر الذي جعله يبلغ الغاية في تصحيح الكتب، وضبط أسمائها، والكشف عن كثير من الأوهام المتعلقة بذلك.

---

[6] ينظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري: القسم الأول:4م، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.

وتظهر براعتُه في التحقيق في عمله في سمط اللآلئ وذيله، الذي يُعدُّ بحق أهم كل تحقيقاته. يقول عنه الدكتور محمود محمد الطناحي:" وقد أبان العلامة الميمني في تحقيق هذا الكتاب عن علم غزير، وإحاطة جامعة بالتراث العربي، وبخاصة ما يتصل بالشعر ورواياته، وأخبار الشعراء والرواة، ومداخلة الكتب، واستنطاقها، وبراعة التعامل معها. ويعد تحقيق هذا الكتاب آية من آيات الإبداع في تحقيق النصوص وتوثيقها، وقد كانت حواشيه ولاتزال معينا ثرا، وكلاً مباحاً لمحققي الأدب وناشري الشعر القديم، يفيدون منه دون إحالة عليه، أو يحيلون إحالات ضالة ظالمة، لا تذكر وجه الاستفادة والنفع منه،كما يحيلون على كتاب لمحقق آخر مغمور. وبالله نعوذ من الجور وعدم الإنصاف"[6].

كما يقول عنه الدكتور شاكر الفحام :" إن سمط اللآلئ دون مرية تاج أعمال الميمني في التحقيق. احتفل له وروى، وتأنى في عمله وتأنق، كان يعنيه الكمال فمشى على رود يتمهَّل، فأتى بالعجائب. ونثر في كتابه الفوائد الفرائد، وأبان عن دُرَرٍ مكنونة فيما سطر من حواشٍ وطُرَرٍ، ومن الحق أن الميمني كان يؤثر الإيجاز والاقتضاب في تعليقاته، ويتوخى في كتابته الخاصة المثقفة، ويقدم نفائسه بعد مطاولة،يريد من مطالعي كتبه أن يتشجموا العناء ليظفروا ببغيتهم، ويضن ببنات أفكاره أن ينالها الآخرون دون أن يبذلوا ما يكافئها من الجهد، ولكنك متى اعتدت طريقته ظفرت بالجَمِّ الكثير، وتفتَّحت لك كنوزُ المصادر تختار منها ما تشاء"[7].

الميمني المؤلف:

لئن كان من المألوف عند كثير من المعاصرين أن يطغى عندهم جانبُ التحقيق على جانب التأليف، فإن العلامة الميمني من القلائل الذين أبدعوا في

---

[6] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي للطناحي:127-128.

[7] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مج 45/ج 1 (يناير 1979م) : 260.

التحقيق مثلما أبدعوا في التأليف. ويعد كتاب" أبو العلاء المعري وما إليه " أهم و أبرز عمل يصور مستواه في التأليف ويعكس منهجه في التصنيف.

ولقد لقي هذا الكتابُ إبان صدوره كثيراً من الترحيب والتنويه من لدن كبار المثقفين و المهتمين آنذاك، فقرظه أحمد تيمور باشا ومحمد الخضر حسين وعبد الوهاب النجار والشيخ أحمد محمد شاكر وغيرهم ، ومما جاء في تقريظ هذا الأخير:" قرأت كتابكم " أبو العلاء المعري وما إليه "وما اعتدت تقريظ كتاب ، فلم أملك قلمي عن الكتابة إليكم. وجدتكم أوفيتم البحث حقه واستوعبتم كل ما يستحقه موضوعه من الأدلة والحجاج، مع دقة النظر وحسن ترتيب... وأرجو أن تقبل تهنئتي على ما أوتيت من بَسْطة في العلم ومن سَعَة الاطلاع ومن قدرة على امتلاك ناصية القول. وأسأل الله أن يزيدك من فضله، وأن ينفع بك العرب واللغة العربية، والمسلمين والإسلام، والسلام."[8]

لقد رزق الميمني ملكة التعبير، فأسلست له العربية قيادها، يصرفها كيف يشاء، فتميز بأسلوبه المشرق المعجب، يمتع الناس بنصاعة بيانه، ورواء ديباجته، وربما بالغ أحيانا فتأنق في عبارته وبالغ في انتقائها حتى إنه ليصطنع الغريب من الألفاظ أحيانا إدلالاً واعتداداً، إنه ليذكرك بأولئك المبدعين من كتاب القرن الرابع الهجري.

وهذا نموذجٌ يظهر من جهة معاناته في التحقيق والطباعة، كما يظهر من جهة أخرى طريقته في التعبير والإبانة عن نفسه. يقول في خاتمة سمط اللآلئ تحت عنوان "نفثة مصدور":

برئت ذِمَّتي وعُهدتي، وخفَّ كاهلي عن هذا الحمل الذي اخترته من بين أشغالي، من دون جبر أو قهر، فآدني حمله، وقطع مطاي، وقصم مني الظهر. وكان

[8] تنظر هذه التقاريظ في آخر كتاب:"أبـــو العلاء العري وما إليه"، مصورة دار الكتب العلمية بيروت 1983م.

هذا الضيف قد خيم بي منذ سبع سنين كسني يوسف، و لات حين مناص أو تلهّف وتأسّف، وكان ينظر قَرَما إلى أفلاذ كبدي ولحمي الزِيَم.

فأطعمتُه لحمي وأسقيتُه دمي...

ثم كلفني قطع 4000 ميل، وشُقَّة شاسعة، يقصُر عنها خَبَبي. ولكني بعد كيت وذيت، ولوٍّ ولَيْت، أحمد المولى سبحانه على أنه غادر البيت، وإن كان غادرني أيضاً لقيً كالمَيْت.

فجاء الكتاب على ما يروق كلَّ أديبٍ ظريفٍ جمالُه وبهاؤُه، ويطبّي كل شادٍ- فلا يملك نفسه إعجابا به- منظرُه ورواؤُه. على أن الخبير المنصف يراه فريداً في بابه، لم يُنسَج على منواله، ولا حُذي على مثاله، من جميع جهات المزايا التي لا عهد للناس بها، والتي استأثر بها، ومنها:

- ضبط الكلمة بعدة أشكال.
- ووضع خط تحت أعلام الشعراء الذين ترجم لهم.
- والألفاظ التي تأتي في أثناء نسق الكلام تابعة كتبت بحروف أصغر، إلى غيرها.

و هذا كله ثمرة وقوف المؤلف على الطبع وتردده في إبرام ذلك إلى المطبعة وتوصية عمالها، فإني ولا خفاء بالحق لم أُخلد إلى الراحة، ولا ركنت إلى الدعة، فلم أبق حِلْسَ البيت، لا يفارقني الحشمة والوقار، أو يزدهيني المعاهد والديار، فلم أوثر النضائد الوثيرة، على الفوائد الأثيرة، فلم أكمن كمن لم يُرِم المحل، كما قال الأول:

تَهْلانُ ذو الهَضَبات لا يتحلحل

وقد أعانتني اللجنةُ... وجميعُ عمال المطبعة ... حتى يأتي الكتاب على حسب ما أردت، مما لا عهد للناس به في المطابع التجارية، وذلك كله في مائة يوم، فوفّى وأربى، ودل بذلك على مقدرة تامة،وخبرة تامة بالفن وأدواته.(8)"

عقيدته:

كان الميمني يوقع إنتاجاته العلمية فيصف نفسه بالعاجز، أو بخادم العلم، وقد يجمعهما معاً تواضعا منه، وتقليلاً لشأنه، وتعبيراً عما يكنه للعلم وأهله من تقدير واحترام.وقد تكنىّ في صدر شبابه بأبي البركات، ثم عدل عنها بأَخَرَةٍ إلى أبي عمر. وكانت النسبة التي التزمها طوال حياته : الميمني الراجكوتي ، يضيف إليها أحيانا الهندي تذكيرا ببلده الهند، وكان يضم إلى نسبتيه : كلمة "السلفي" أو "الأثري"، يشير بذلك إلى العقيدة التي ارتضاها وسكن إليها.

وبالرغم من اشتغاله طوال حياته بالعربية وعلومها وآدابها، فإن سماعه الحديث في مرحلة الطلب والتكوين، وتأثره بشيخه المحدث المسند الراوية الرحلة حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني، الذي أجازه برواية الحديث عنه بسنده سنة 1326هـ بمدينة دهلي، وتوسعه في الاطلاع على مختلف فنون التراث ومصادره، كل هذا جعله صحيح العقيدة، مستقيم المذهب،لم يقع في ما وقع فيه غيره ـ ممن غلب عليهم طول الاشتغال بالأدب ـ من الزلل والسقط الذي يضر بالعقيدة.

إن الجهاد في سبيل نشر الدعوة إلى الله، وخدمة الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يقتصر فقط على الاشتغال بالعلوم الشرعية، بل يمتد ذلك إلى ما يعين على فهم وتشرب النصوص الشرعية مما يسمى بعلوم الآلة، لقد رأى الميمني أن يخدم الوحي بخدمة لسانه في بلاد غير عربية، فوقف نفسه ينشر نفائس

(8) سمط اللآلئ:2/974.

التراث ويقدم للعربية خدمات تمكن من خلالها نشر العربية والدعوة إليها، و تقديمها صافية صحيحة سليمة مما علق بها من أدران عصور الانكماش والجمود. ولعمري لقد كان ذلك منه مشاركة في حفظ الوحي من نوع آخر. ولقد عبر عن هذا الأمر الدكتور محمد محمد حسين خير تعبير حين قال:

"إن الذين صانوا العربية، ووضعوا لها القواعد التي حفظتها طوال هذه القرون، وأقامت ألسنة الناطقين بها على سنَنِها: كانوا يعملون بهداية من الله وتوفيق، لأنهم كانوا الأدوات والوسائل إلى تحقيق وعده الصادق النافذ، الذي لا يعوق نفاذه شيء في قوله تعالى:" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون". وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته؟"[9]

تراثه العلمي :

أولاً: تحقيقاته:

1ـ" ثلاث رسائل "[10]:

ـ مقالة "كلاَّ" وما جاء منها في كتاب الله، لأبي الحسين أحمد بن فارس.

ـ كتاب"ما تلحن فيه العوام" لعلي بن حمزة الكسائي.

ـ "رسالة محيي الدين بن عربي إلى الإمام الفخر الرازي".

وكانت هذه الرسائل من نوادر المخطوطات، عثر عليها في لكنؤ وجامع بومباي.

2 ـ" رسالة الملائكة "[11]:

---

(9) من مقال له بعنوان:" فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب."مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، عدد:11/179-239 لسنة 1401هـ ص196.

(10) ط (1) 1344هـ (1925-1926م) المطبعة السلفية، القاهرة.

(11) ط (1) 1345هـ (1926-1927م) المطبعة السلفية، القاهرة.

وكان قد أخرجها عن نسخة مطبوعة سقيمة مليئة بالتحريف والتشويه، وقابلها على نسخة خطية سدت بعض الخلل .

ويرى الميمني أن رسالة الملائكة للمعري أخت رسالة الغفران والطير في التمثيل الذي لم يسبقه فيه عديل له أو مثيل.

وقد ألفها أبو العلاء المعري على جواب مسائل تصريفية وجهها إليه بعض أهل العلم، فأجاب عنها بهذا الطريق المشتمل على الفوائد الأنيقة، مع صورتها المستغربة الرشيقة[12].

3 ـ" فائت شعر أبي العلاء "[13]:

وهو مما لايوجد في كتبه المعروفة، وفيه بعض شعر نُحل له[14].

4 ـ "زيادات ديوان شعر المتنبي"[15]:

وعلى الغلاف تحت اسم الكتاب كتب الميمني يقول عن هذه الزيادات:" نتَفْتُها وهي نيّف وأربعون قطعة أو قصيدة من ثلاث نسخ خطية من الديوان، أهمها نسخة الرئيس حبيب الرحمن خان الشِّرْواني، ومن طبعتين قديمتين من الديوان سنة 1257هـ و1261هـ ومن كثير من الدواوين الأدبية والمجاميع.

وقد أشاد شيخ العربية أبو فهر محمود محمد شاكر بصنيع الأستاذ الميمني في كتابه الشهير:" المتنبي". وهو يذكره دائما بإجلال ويصدر اسمه ب" أستاذنا"، ولكلام الميني وشهادته وزن كبير عنده[16].

---

(12) رسالة الملائكة :3 ، بآخر كتاب:" أبو العلاء المعري وما إليه.". وقد ظهر بعدُ أن ما طبعه الميمني ليس إلا مقدمة الرسالة، وطبعت "رسالة الملائكة " تامة لأول مرة بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي عن النسخة الخطية الوحيدة التامة المحفوظة بدار الكتب الظاهرية بمطبعة الترقي بدمشق: 1363هـ (1944م).

(13) ط (1) 1345هـ (1926-1927م) المطبعة السلفية، القاهرة.

(14) فائت شعر أبي العلاء:77

(15) ط (1) 1345هـ (1926-1927م) المطبعة السلفية، القاهرة.

(16) ينظر "المتنبي":53.

5 ـ" النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف القيروانيين " ويليه ملحق فيه لمع من شعر الشاعر الحكيم أبي الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي الأندلسي[17]:

وهي نُتفٌ مختارة من دواوين الأدب، لتكون نموذجاً من شعرهما.

6 ـ" خزانة الأدب "[18]:

وصدرت في أربعة أجزاء فقط تحمل تعليقات وتحقيقات للميمني وأحمد تيمور باشا.

7ـ "القصيدة اليتيمة" لدو قلة المنْبَجي[19].

وهذه القصيدة يتيمة الدهر وفريدة العصر، عُزيت إلى سبعة عشر شاعراً كل منهم قد ادعاها وهو يكذب في دعواه. وفي سبب تسميتها قصة طريفة[20].

8ـ"الرُّبيع بن ضبع الفَزَاري: أخباره وشعره "[من كتاب "التيجان"][21]

وكان الرُّبيع بن ضبع أحكم العرب في زمانه وأشعرهم وأخطبهم. وشعره وخطبه مما يحرص عليه.

9 ـ" أقدم كتاب في العالم على رأي " أوجاويذان فرد"[22]":

خلفه أوشهنج الملك وصية على من خلفه، ونقله من اللسان القديم إلى اللسان الفارسي كنجور بن إسفنديار وزير ملك إيرانشهر، ونقله إلى العربية الحسن بن

---

[17] ط (1) 1343 هـ (1924-1925م) المطبعة السلفية، القاهرة.

[18] ج 1-4 ط (1) 1347- 1351 هـ المطبعة السلفية، القاهرة. وينظر ما يتعلق بهذه الطبعة:مقدمة تحقيق الخزانة لعبد السلام هارون:22/1.

[19] نشرت في مجلة "الزهراء" عدد شعبان 1346 هـ.

[20] ينظر: بحوث وتحقيقات:218/2.

[21] نشر في مجلة "الزهراء" عدد جمادى الثانية 1346 هـ ، وهو منقول من كتاب " التيجان في ملوك حمير" لأبي محمد بن هشام.

[22] بحوث وتحقيقات:234/2. وقد قرأ الميمني هذا المقال في مؤتمر المستشرقين الخامس (الهند) في جلسته المنعقدة في 23 نونبر 1928م في لاهور. ونشره في مجلة المجمع العلمي بدمشق على حلقتين:129/9-193،139-200.

سهل أخو ذي الرياستين، و تممه الأستاذ أبو علي أحمد بن مسكويه، بأن ألحق به حكم الفرس والهند والعرب والروم.

والكتاب وصية غالية موجزة ومركزة، يستحق أن يعاد نشره مشروحاً، ومعلقاً عليه بما يجلي إشاراته، وهذا أوله عسى أن ينبئ بمضمونه:

" أما بعدُ، فإن أفضل ما أعطي العبد في الدنيا الحكمة، وأفضل ما أعطي في الآخرة المغفرة، وأفضل ما أعطي في نفسه الموعظة،وأفضل ما سأل العبد العافية، وأفضل ما قال كلمة التوحيد. ورأس اليقين المعرفة بال،له وملاك العلم العمل، وملاك العمل السنة، وإصابة السنة لزوم القصد".

10 ـ "كتاب المداخلات أو المداخل"، لأبي عمر الزاهد غلام ثعلب[23].

والكتاب رسالة مفيدة في اللغة.

11 ـ" أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهاني "[24]:

وقد ضم أربعة عشر لفظة تتبع تطورها اللغوي، إلى أبواب أخرى، وصنيعه في هذه الألفاظ كان يجب أن يتخذ نموذجا في وضع معجم للغة العربية على هذا النحو. جاء في أوله." اعلم أن العرب سمت أشياء عرفت ما أرادت بها، فكثرت اليوم في أفواه الناس، وجازت على غير ما قيلت عليه.

فمن ذلك البناء:

كان الرجل يتزوج المرأة فإذا أراد الدخول بها بنى عليها بيتا من شعر أو صوف أو وبر، فيقال: بنى على فلانة بيتاً. فكثر ذلك في كلامهم حتى صار الرجل يدخل المرأة داراً قد بنيت قبلها بزمان فيقال بنى عليها[25].

---

[23] نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق: 9/449-532،460-601،544-616.

[24] ط (1) 1350 هـ (1931-1932م) المطبعة السلفية، القاهرة.

[25] بحوث وتحقيقات:292/2.

12 ـ " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد"[26]:

وهي رسالة من نوادر المصنفات القديمة، موضوعها عنوانها، وقد أخرجها الميمني عن نسخة تفردت بها خزانة بانكي بور.

13 ـ" نسب عدنان وقحطان" لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد [27]:

وقال الميمني عنه:" وقد تقدم لي نشر ما اتفق لفظه للمبرد، وهذا أثر ثان له يحيى حياة طيبة، على أنه لا يوجد بين أيدينا كتاب في الأنساب صغير الجِرْم، يضمن حاجة المتأدبين ويفي بضرورتهم، ينوب عن الدواوين الضخام والدفاتر الكبار، وهو علمٌ لا مندوحة للمتأدب أن يشْدُوَ منه بطرف، ويحصل منه بنصيب، ويجني من الأدب غصنه الرطيب"[28].

14 ـ "سمط اللآلئ" وهو تحقيق حافل لكتاب "اللآلئ في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري وذيله"، وقد سمى الميمني تحقيقه لهذا الكتاب"سمط اللآلئ"[29]:

وهو ثلاثة أجزاء في مجلدين ضخمين من القطع الكبير في 1243ص، وقد سبق الكلام عنه.

15 ـ" الوحشيات "[30]:

وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي، أنجز الميمني تحقيقه في عليكره- الهند (03أيار1940م). وكان من حظ هذا الكتاب أن راجعه وزاد في حواشيه شيخ العربية محمود محمد شاكر.

16ـ" ديوان سحيم عبد بني الحسحاس "[31]:

---

[26] ط (1) 1350 هـ المطبعة السلفية، القاهرة.

[27] ط (1) 1354 هـ (1936م) لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

[28] نسب عدنان وقحطان:4.وبحوث وتحقيقات:326/2.

[29] ط (1) 1354 هـ (1936م) لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

[30] ط (1) 1363 هـ دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب☹33).

[31] ط (1) 1369 هـ (1950م) دار الكتب المصرية، القاهرة.

نشره الميمني حين أصبح رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكره بالهند، وكان الديوان قد هجع طويلاً في دار الكتب قبل ظهوره، شأنه في ذلك شأن سائر كتبه التي عانى في طبعها ما عانى من المماطلة وغبن الحق.

17 ـ" ديوان حميد بن ثور الهلالي "[32]:

صنع الميمني ديوان حميد وكانت نواته مخطوطة مصحفة محرفة نسخت للأستاذ أحمد تيمور عن مخطوط بعنوان: منتخبات من كتاب المنتخب في محاسن أشعار العرب، فصحح الميمني قصائد حميد الثلاث التي وردت فيها ، ثم ضم إليه كل ما وجده من شعر حميد في الدواوين[33].

18 ـ" الفاضل "[34]:

نشره الميمني حين أحيل على التقاعد، وقد وصف هذا الكتاب بقوله:" والكتاب للمبرد حقا، يشبه " الكامل"من جميع الجهات، كأنه كامل صغير، يصلح لأن يدخل في مناهج الدروس، فيتدارسه النشء"[35].

19 ـ" المنقوص و الممدود "[36]:

نشره عن نسخة ساقطة بخزانة جامع بومباي الهند، مما جعله يكتب على غلافه:" نسخه وصححه وسبرما فيه ونقحه وقيد شوارده ورقع خروقه عبد العزيز الميمني الراجكوتي"[37].

20 ـ" التنبيهات على أغاليط الرواة "[38]:

---

[32] ط (1) 1371 هـ (1951م) دار الكتب المصرية، القاهرة.

[33] ينظر مجلة المجمع العلمي العربي:مج101/37.

[34] ط (1) 1375 هـ (1956م) دار الكتب المصرية، القاهرة.

[35] الفاضل:126.

[36] ط (1) 1387 هـ (1967م) دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب:(41).

[37] المنقوص و الممدود:10.

[38] ط (1) 1387 هـ (1967م) دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب:(41).

ويمثل هذا الكتاب في رأي الميمني" القمة التي بلغها جهده، لا في تحقيق التراث وإحياء النصوص القديمة فحسب، بل في مباراة العلماء الأعلام في آرائهم، والاحتجاج لهم وعليهم على طريقتهم هم، كما يتضح من ذلك لمن يتعمق في حواشي الكتاب المركزة الوجيزة[39].

21 ـ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، لعَرَّام بن الأصبغ السُّلَمي:

و هو عبارة عن أول جغرافيا الحجاز وتهامة، و قد وقف عليه البكري وياقوت وانتشلا جل ما فيه أو كله.

22 ـ السفر الأول من من " تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح " للَّبلي (المقدمة)[40]:

23 ـ المجلد الأول من كتاب " العباب الزاخر واللباب الفاخر" للصغاني (المقدمة)[41]:

ثانياً:مؤلفاته:

1 ـ" ابن رشيق "[42]:

وهو محاضرة كان ألقاها بالأوردية في جمعية الشرقيين بمدينة لاهور (آذار 1923م)، ثم نقلها إلى العربية. وقد طبع أصلها الأوردي في مجلة المعارف التي تصدر في (أعظم كره-الهند)، وهي من أشهر مجلات الهند.

2 ـ" أبو العلاء المعري وما إليه "[43]:

---

[39] ينظر مجلة المجمع العلمي العربي:مج52/581.

[40] نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق:35/541-545.

[41] نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق:35/546-566.

[42] ط (1) 1343 هـ (1924-1925م) المطبعة السلفية، القاهرة.

[43] ط (1) 1344 هـ (1925-1926م) المطبعة السلفية، القاهرة.

كان الميمني حين تأليف هذا الكتاب في قمة صفائه وذروة يقظته، حين أقدم على تصنيفه وهو في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وقد اكتملت له أدوات البحث، وتمكن من الإحاطة بالمصادر واستيعاب مناهج المتقدمين وطرق التأليف عندهم، فاختط لنفسه منهجا مميزا في هذه الدراسة التي ظلت الدراسة الجادة المتينة للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري، التي تعرف بسيرته وفهم شعره ومراميه دون الوقوع في شباك التَّغَرُّب، حيث محَّص الأخبار وتتبَّع الأسانيد بحكم تكوينه الحديثي وتشربه لمناهج المتقدمين في مختلف الفنون وخصوصا منهم المحدثين، وتتبع وقائع عصر المعري، كما اعتمد آثار المؤلف ودرسها دراسة عميقة متفهمة، دون مسلمات سابقة أو رواسب حاجزة.

3 ـ" إقليد الخزانة "[44]:

وهو فهرس دقيق للكتب التي أشار إليها عبد القادر البغدادي في كتابه:" خزانة الأدب". ومما زاد في قدر الإقليد أن الميمني أشار في هوامشه إلى ما يوجد من مخطوطات هذه الكتب في خزائن الهند العامة والخاصة، أو في غيرها مما وصل إليه علمه، وإلى ما طبع حديثاً من هذه الكتب. وقد ورد بعض أسماء الكتب محرفة في خزانة الأدب المطبوعة فعني بتصحيحها، فأصبح إقليده بذلك مجمع فوائد وملتقى فرائد.

والإقليد يكمل "مفتاح الخزانة " الذي وضعه الأستاذ أحمد تيمور.

وقد عرَّف بالإقليد والمفتاح الشيخ عبد السلام محمد هارون، وأشاد بهما في تقديمه لفهارس طبعته المحققة الكاملة لخزانة الأدب[45].

---

[44] ط (1) 1345-1346 هـ (1927م) لاهور ، الهند.

[45] ينظر: خزانة الأدب:12/10-14.

ويدخل في تآليف العلامة الميمني عدد كبير من المحاضرات العلمية والبحوث والمقالات التي عرف فيها بالكتب أو نقدها وتتبع أوهام تحقيقاتها، أو أرشد إلى الطريقة المثلى في نشرها أو إعادة نشرها[46].

ثالثاً: أعمال أنجزها الميمني ولم تعرف طريقها إلى النشر:

1ـ معجم الأمثال السائرة والأيام الدائرة والبنين والبنات والآباء والأمهات والذوين والذوات:

وهذا ضاعت بطاقاته في حياته.

2 ـ"نظرة في النجوم من " اللزوم"".

3 ـ"نظرة إلى ديوان شعري النعمان بن بشير وبكر الدلفي".

4 ـ"ديوان توبة بن الحمير وليلى الأخيلية".

5 ـ"ديوان كعب بن زهير (برواية الأحول)":

كان دفعه للنشر في القسم الأدبي بدار الكتب في القاهرة، ولم ينشر بعد.

6 ـ" المستجاد من فعلات الأجواد ":

7 ـ"حاشية ابن بري وابن ظفر الصقلي على درة الغواص".

وبعد، فمعذرة إليك يا أبا البركات، فإني لا شك قد قصرت في أن أوفيك حقك، وهذا جهد المقل، وقد حالت أشغال، وضاق الوقت، وعسى أن يمن الله بدراسة مفصلة تعرف بهذا الرجل الذي قلما يجود الزمان بمثله.

---

(46) جعل الأستاذ محمد عزير شمس المجلد الأول من بحوث وتحقيقات في قسمين، خصص الأول للمقالات ، والثاني للنقد والتعريف، و لم يستقص كل إنتاج المميني.

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ كَلامِ السَّلَفِ

* وقال عون بن عُمارة: سمعت هشاما الدَّستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوما قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل.

* قلت ـ أي الذهبي ـ: والله ولا أنا؛ فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنَبُلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، طلبه قوم منهم أوَّلاً لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. فهذا أيضا حسن، ثم نشروه بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليُثْنَى عليهم، فلهم ما نَووا: قال عليه السلام: "من غزا ينوي عقالا فله ما نوى". وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالِم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظَلَموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركِبوا الكبائر والفواحش، فتبّاً لهم، فما هؤلاء بعلماء!.

وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحِيَل، وأفتى بالرُّخَص، وروى الشاذَّ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئا كبيرا، وتضلَّعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بانَ نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخا يقتدى به في العلم،

فصاروا همجا رعاعا، غايةُ المدرس منهم أن يُحصِّل كتبا مثمنة يخزنها وينظر فيها يوما ما ، فيصحف ما يورده ولا يقرره. فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم ولا رأيت عالما. [سير أعلام النبلاء: 7/152-153].

* وقال الذهبي في ترجمته لأحمد بن أبي الحواري الصوفي تعليقا على بعض كلامه: قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾. وقد قال النبيﷺ: (لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآتي النساء وآكل اللحم. فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فلم يشرع لنا الرهبانية، ولا التمزق ولا الوصال، بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة، فيأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته﴾. وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى. ثم العابد العَرِيُّ من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدُّقَّة والكِسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابا يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب ـ والله ـ في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي، صاحب كرامات وتَمَكُّن، وربما حصل له شك وتزلزل إيمانه، فالخلوة والجوع أبو جاد الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء.بلى، السلوك، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين،

والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماتنا الله على محبتهم. [سير أعلام النبلاء: 12/89-91].

* وعن أبي جعفر الحذاء قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا وافقتِ السريرةُ العلانيةَ فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجَوْر. [حلية الصفوة: 2/234].

* وحدث شعبة وهشام عن قتادة، عن يونس بن جبير، قال: شيعنا جندبا، فقلت له: أوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن، فإنه نور بالليل المظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإذا عرض بلاء، فقدِّم مالك دون دينك، فإن تجاوز البلاء، فقدم مالك ونفسك دون دينك، فإن المخروب من خَرِب دينه، والمسلوب من سلب دينه، واعلم أنه لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار.

* وعن عماد بن نجيح: عن أبي عمران الجوني، عن جندب، قال: كنا غلمانا حَزاوِرَة مع رسول اللهﷺ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازدَدْنا به إيمانا.

* وعن حماد بن زيد: عن عطاء بن السائب، أن أبا عبد الرحمن قال: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخَر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعلم والعمل به، وسيرث القرآنَ بعدنا قومٌ يشربونه شُرب الماء، لا يجاوز تراقيهم. [سير أعلام النبلاء: 4/269].

وقال عباس الدوري: كان بعض أصحابنا يقول: كان سفيان الثوري كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين:

تفْنى اللَّذاذةُ ممن نال صَفوتَها *** من الحرام ويبقَى الوِزرُ والعارُ
تبْقى عَواقبُ سوءٍ في مغبَّتها *** لا خيرَ في لذَّة من بعدِها النارُ

[روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ لابن القيم: 330].